إصدارات الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (٢٥)



قصة رسالة

مجموعة لقاءات استعرض فيها الباحثون رسائلهم العلمية في الماجستير والدكتوراه

تقديم

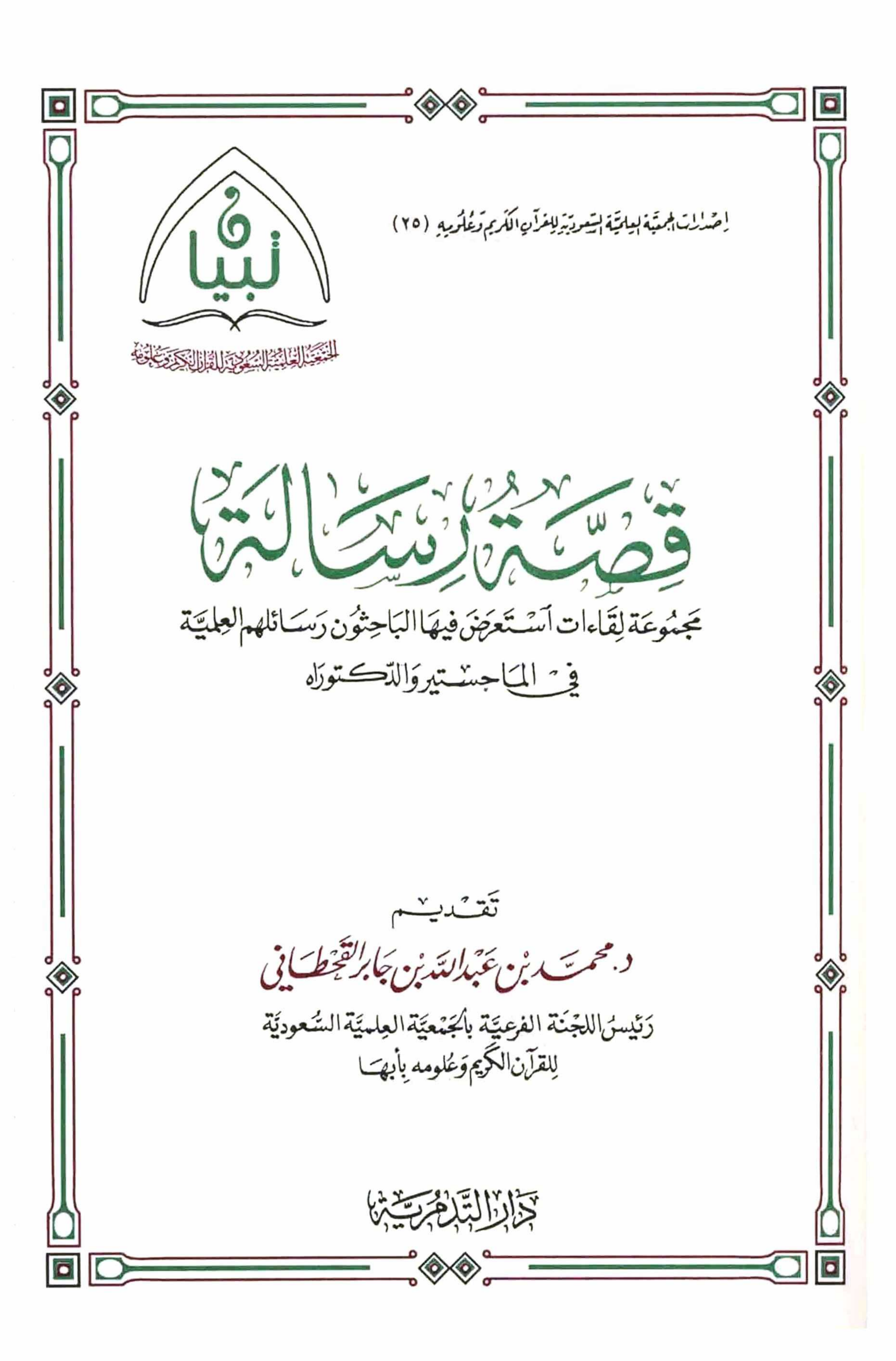
د. محمد بن عبدالله بن جابر القحطاني

رئيس اللجنة الفرعية بالجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه بأبها



طبع على نفقة مؤسسة عبدالله بن زيد الغنيم الخيرية

دار التدمرية


إصدارات الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (٢٥)
تبيان
الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه
قصة رسالة
مجموعة لقاءات استعرض فيها الباحثون رسائلهم العلمية
في الماجستير والدكتوراه
تقديم
د. محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني
رئيس اللجنة الفرعية بالجمعية العلمية السعودية
للقرآن الكريم وعلومه بأبها
دار التدمرية

تنويه

يتم نشر هذه اللقاءات والمداخلات والأسئلة والإضافات كما هي دون تعديل أو إضافة

قصة رسالة ..

مجموعة من لقاءات
استعرض فيها الباحثون رسائلهم العلمية
في الماجستير والدكتوراه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً –صلى الله عليه وسلم – عبدُه ورسوله؛ أما بعد:

فإن المتابع للحركة العلمية، والخبيرَ بالمصنفات والبحوث في العلوم الشرعية لا يشك في أن الرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه تعتبر من أبرز ما ساهم في إثراءِ المكتبات بالكثير من الكتب القيمة والبحوث المحررة، خاصة في العقود الخمسة الماضية.

بل يمكن القول بأن هذه الرسائل العلمية أَحْيَت حركة التأليف، وجددت في طرائق البحث، كما ساهمت في نشر ما غيبته مكتبات العالم من نفيس المخطوطات، إضافة إلى أنها تعتبر من أهم ركائز النهوض بالتعليم، ومن أبرز وسائل التعلم الذاتي.

ومما تمتاز به هذه الرسائل عن غيرها من الكتب والدراسات أن إعدادها يمر بمراحل عديدة من النظر والتمحيص الذي يشارك فيه عدد كبير من الأساتذة المتخصصين في الأقسام العلمية الأكاديمية، ثم تتم كتابتها بقدر كبير من الدقة والتحري والضبط، ثم تعرض بعد الفراغ منها للمناقشة والتحكيم؛ فلا تُجاز حتى تستوفي الحد الأدنى من معايير القبول والاجتياز.

ويمكن القول بعد هذا: إن هذه الرسائل تعتبر عملاً علمياً جماعياً، يشترك في إعداده الباحث والقسم العلمي الأكاديمي والمشرف ولجنة التحكيم.

وإذا كان الأمر كذلك؛ فإنه ينبغي العناية بهذه الرسائل، والسعي في طباعتها ونشرها والتعريف بها، والحرص على قراءتها والاطلاع عليها، كما يتعين على الجهات المعنية إبرازُ نتائج هذه الرسائل، ودراسة التوصيات التي تضمنتها، وتفعيل هذه النتائج والتوصيات في المجالات المتصلة بها.

وانطلاقاً مما سبق بيانه؛ **حرصت الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه – تبيان –** على العناية بالرسائل العلمية في مجال الدراسات القرآنية، وبذلت جهودا موفقة تهدف إلى المساهمة الفاعلة في تشجيع البحث العلمي في هذا المجال.

ومما قامت به فيما يتعلق بالرسائل العلمية للماجستير والدكتوراه:

١- منح جائزة سنوية لأفضل رسالة في مجال الدراسات القرآنية.

٢- المساهمة في طباعة الرسائل المتميزة ونشرها وتوزيعها على المتخصصين وغيرهم من الباحثين.

٣- عقد اللقاءات العلمية والدورات التدريبية لطلاب الدراسات العليا والباحثين لإكسابهم المهارات المهمة التي تساهم في إنجاح مشاريعهم البحثية.

٤- استضافة الباحثين الذين تميزت رسائلهم العلمية، وحضيت بالقبول، وكان لها أثر مبارك على الدراسات القرآنية، وذلك في مشروع علمي نوعي قامت به اللجنة الفرعية للجمعية في أبها، تحت مسمى **"قصة رسالة"**.

ويهدف مشروع "**قصة رسالة**" إلى التعريف بالرسائل المتميزة عن طريق استضافة أصحاب هذه الرسائل المعدين لها، ليقوموا بعرض مفصل لكيفية اختيارهم لموضوعات رسائلهم، ولطريقة إعدادها وكتابتها، مع ذكر ما يحسن ذكره من المواقف والتجارب، ثم يتم عرض أبرز ما اشتملت عليه هذه الرسائل من مسائل ونتائج وتوصيات.

وقد عرض في هذه اللقاءات قصة عدد من الرسائل المعروفة والمتميزة، ومنها: رسالة قواعد الترجيح عند المفسرين للدكتور حسين الحربي، ورسالة الشاهد الشعري وأثره في التفسير للدكتور عبدالرحمن معاضه الشهري، ورسالة الإجماع في التفسير للدكتور محمد الخضيري، ورسالة تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم – دراسة وتحقيق الأستاذ الدكتور حكمت بشير ياسين، وقصة المفاجأت الخمس .

وقد كانت هذه اللقاءات تعقد بحضور عدد من أساتذة الجامعات والباحثين في جو علمي حافل بالنقاشات المثرية، والحوارات النافعة.

وقد لقي هذا المشروع نجاحا وقبولا من المتخصصين وطلبة العلم، فحرصت الجمعية ممثلة في مجلس إدارتها الحالي، الذي يرأسه فضيلة الأستاذ الدكتور محمد السريع -وفقه الله – على طباعة مادة هذه اللقاءات بعد تفريغها وتنسيقها وترتيبها، فتم هذا الأمر بحمد الله وتوفيقه، ونرجو أن تكون المادة العلمية لهذه اللقاءات نافعة مفيدة للباحثين في الدراسات القرآنية، وغيرهم من المهتمين بالبحث العلمي.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا جميعا لخدمة كتابه الكريم، وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهله وخاصته، كما أسأله سبحانه أن ينفع بالجهود المباركة التي تقوم بها جمعية تبيان، وأن يجزي القائمين عليها خير الجزاء.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه الدكتور: محمد بن عبدالله بن جابر القحطاني

عضو جمعية تبيان، ورئيس لجنتها الفرعية في أبها

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه

جامعة الملك خالد

المقدمة

افتتح هذا اللقاء بكلمة المقدم له د: محمد بن عبدالله بن جابر، رحّب فيها بالحضور، وأشار إلى أهمية مثل هذه اللقاءات العلمية التخصصية، وأنها من أبواب مذاكرة العلم ومدارسته مع أهله، كما أنها تعرّف المتخصصين والدارسين بالرسائل العلمية المهمة التي يحتاجونها، ويحسن بهم الاطلاع عليها، ومعرفة مضمونها، والإفادة منها.

وبعد ذلك ألقى فضيلة الشيخ الدكتور: قاسم القثردي، رئيس اللجنة الفرعية للجمعية بأبها ،كلمة ترحيبية، شكر فيها منظمي اللقاء والمعدين له والحاضرين، ورحّب فيها بالدكتور حسين الحربي، وشكره على قبوله الدعوة ومشاركته في هذا اللقاء، وعرّف فيها بالجمعية العلمية للقرآن وعلومه، وبيّن أهم أهدافها وبرامجها.

ثم طلب من الدكتور : حسين الحربي إلقاء موضوعه، والتحدث عن قصته مع رسالته .

وقبل ذكر الشيخ الدكتور: حسين الحربي لقصة رسالته "قواعد الترجيح عند المفسرين" ذكر مقدم اللقاء – ملقي هذه الأسطر المكتوبة- قصته المختصرة مع هذه الرسالة، فقال:

(أثناء دراستنا للسنة التحضيرية للماجستير عام ١٤١٥هـ ،كان يدرسنا فضيلة الشيخ الأستاذ الكبير: مناع القطان رحمه الله، وكان عضواً في لجنة مناقشة أكثر من مائة وخمسين رسالة علمية – بين مشرف ومناقش – فسألناه عن

أفضل رسالة أشرف عليها أو ناقشها، فأجابنا بداية بأها رسالة الدكتور: عبدالله الطيار: "البنوك الإسلامية بين النظرية والتطبيق"، ثم قمنا بعد ذلك بزيارة لشيخنا مناع القطان في بيته، فأخبرنا بأن هناك رسالة أخرى يشرف عليها، وقد اقترب موعد مناقشتها، وهي بحق أفضل رسالة أشرف عليها، وهي رسالة: "قواعد الترجيح عند المفسرين"، التي نجتمع الليلة لسماع قصتها).

ثم قرأ المقدم بعض ما كتبه الشيخ مناع القطان في تقريظه لهذه الرسالة، قال: (والرسالة التي بين يدي القارئ: "قواعد الترجيح عند المفسرين – دراسة نظرية تطبيقية"، التي أعدها الأخ الشيخ :حسين بن علي بن حسين الحربي، ونال بها درجة الماجستير بامتياز مع التوصية بطباعتها وتداولها لدى الجامعات.

هذه الرسالة تتميز بالجدة والأصالة والإبداع وعمق البحث والتوثيق العلمي، وكم كنت أود أن تجيز لائحة الدراسات العليا بجامعتنا – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – تحويل رسالة الماجستير المتميزة إلى رسالة دكتوراه كما في بعض لوائح الجامعات الغربية، فتكون هذه الرسالة جديرة بذلك.

وهذا العمل المضني الشاق بما فيه من عبقرية فذة يعد نموذجا للرسائل الجامعية التي تثري المكتبة الإسلامية بعامة والتفسيرية منها بخاصة).

ثم ترك المقدم مجال الكلام بعد ذلك لضيف اللقاء، الدكتور: حسين الحربي.

وأول ما بدأ به الدكتور هو حمد الله تعالى وشكره على أن يسر هذا اللقاء، ثم شكر الجمعية السعودية للقرآن وعلومه وفرعها في أبها على دعوته لهذا اللقاء.

وهذا ملخص ما ذكره في عرضه لقصة رسالته.

أولاً: قصة اختيار موضوع: "قواعد الترجيح" لرسالة الماجستير:

قد كانت بداية هذا الموضوع نتيجة لعدد من المعطيات التي يسرها الله تعالى في فترة الطلب والبحث، ومن أهمها:

١- توفيق الله ﷻ وإعانته.

٢- القراءة الطويلة السردية لبعض كتب التفسير، المصحوبة بتقييد الفوائد.

ولهذه القراءة قصة؛ حيث كنتُ أقرأ تفسير ابن كثير قبل النوم بنصف ساعة يومياً، وصاحب ذلك حضور لدرس في تفسير ابن كثير للإمام عبدالعزيز ابن باز رحمه الله .

وقد ولدت فكرة هذا الموضوع من خلال تعامل ابن كثير مع الأقوال التفسيرية، من حيث ذكره لها، وموازنته بينها ،وترجيحاته لما يراه راجحاً منها ، ومناقشته لغيره من المفسرين.

- وهنا نبّه الشيخ إلى قضية مهمة للباحثين، ولمن أراد أن يسجل موضوعاً على وجه الخصوص؛ وهي أن يختار كتاباً مهما في تخصصه أو أكثر، ثم يقرأه قراءة مركزة، ومن خلال هذه القراءة يخرج بكثير من الفوائد، ويكتشف عدة موضوعات تحتاج إلى بحث. وهذا أفضل وأحسن من أن يختار موضوعاً ابتداءً، ثم يحاول أن يبحث فيه.

٣- أثر أعضاء هيئة التدريس المتميزين على طلابهم؛ فلا زلت أذكر الفتوحات الإلهية على بعضهم في قاعة الدرس التي قد يغير الواحد منها مسار

الطالب في طريقة تحصيله وبحثه.

٤- المناقشات العلمية مع الزملاء في قاعة الدرس وفي مجال العمل؛ فقد كان لهم أثر كبير في تقويم الأفكار وتحسينها، ومن هؤلاء الزملاء في قسم الدراسات القرآنية في كلية المعلمين في الرياض: الشيخ : محمد الفوزان ، رئيس القسم آنذاك، والإخوة: مساعد الطيار، ومحمد الخضيري، ومحمد المسند، وعيسى الدريبي.

٥- التفرغ العلمي الفعلي لا الاصطلاحي؛ فقد انقطعت للدراسة -خاصة في مرحلة إعداد الأبحاث- انقطاعاً كلياً فوجدت أثره واضحاً.

٦- وبعد اختيار الموضوع كان للمشرف دور كبير، فقد أشرف على هذا البحث الشيخ: مناع القطان، الذي تميّز بالموسوعية؛ فالمشرف الموسوعي يفتح آفاقاً للباحث لم تكن في خلده. وقد أعانت هذه الموسوعية على تجاوز الكثير من العقبات التي واجهت هذا البحث؛ فقد كانت مادة البحث قائمة على علوم أخرى، كعلم أصول الفقه، وأصول اللغة، وعلم البلاغة، وغيرها. وقد كان المشرف يلزمني بقراءة بعض الكتب في تلك العلوم، ومن ذلك أنه ألزمني بقراءة: "المزهرفي علوم اللغة"، و"الصاحبي"، وكان يحيلني في مسائل أصول الفقه على الدكتور: أحمد سير مباركي.

ثانيا: الصعوبات:

١/ عدم وضوح حدود البحث ابتداءً، وعدم توفر دراسات سابقة.

٢/ تعلق الموضوع بشكل دقيق بعدد من العلوم خارج التخصص: كعلم الأصول، والقواعد الفقهية، وأصول اللغة؛ مما احتاج معه دراسة هذه العلوم بشكل تخصصي.

٣/ اعتماد البحث بشكل كامل على الاستقراء، ويكتنف ذلك تعرض الاستقراء لعدم الاستقصاء، وطلب الكمال فيه.

ثالثاً: اختيار عينة الدراسة :

بعد أن تم تحديد الموضوع وفكرته؛ فكرت في تحديد الكتب التي يتم استقراؤها لتكون عينة الدراسة؛ فرأيت أن كتب التفسير لا تخرج عن ثلاثة أقسام:

القسم الأول: كتب مختصرة لا تذكر الخلاف، قصد مؤلفوها إلى الاختصار، وجعلوه منهجاً لهم.

القسم الثاني: مَنْ يذكر الخلاف؛ غير أنه سارد له دون أن يكون من منهجه تحقيق الراجح، وبيان الضعيف من الأقوال. كالماوردي ،وابن الجوزي.

القسم الثالث : من جمع بين ذكر الخلاف والترجيح فيه؛ فاحتفيت بهذا القسم، واخترت ثلاثة من أهم كتب هذا القسم؛ لاستقرائها استقراءً كاملاً، واستخراج القواعد التي اعتمدوا عليها؛ في اختيار الأقوال والترجيح بينها:

فكان أن وقع الاختيار على تفسير ابن جرير: إمام أهل التفسير بحق؛ لم يترك خلافاً إلا وبيّنه، واختار ما يراه راجحاً، مع تنصيصه على الأقوال الضعيفة والشاذة.

وتفسير ابن عطية: بما يمثله من مدرسة الأندلس، ومدرسة الرأي؛ مع ميزة مناقشاته لابن جرير الطبري واستدراكاته عليه، وما يثريه هذا الخلاف في تحليل المسائل، وتنازع القواعد.

والثالث تفسير الشنقيطي بما يمثله من المدرسة الأثرية، والمدرسة الأصولية المتميزة، والنفس الماتع في تحرير المسائل، وتخريج الفروع على الأصول.

وقد وفقني الله لقراءة تفسير الطبري وتفسير الشنقيطي كاملاً، وقراءة أكثر تفسير ابن عطية قبل البداية في البحث، ثم أكملته بعد ذلك. وقد استغرق مني ذلك أربعة عشر شهراً، كانت أفضل أيام عمري –فالحمد لله على توفيقه-.

والحمد لله أن البرامج الحاسوبية لم تكن موجودة، إذ إنها مع فائدتها تحرم الباحث من كثير من الفوائد والملكات التي لا يمكن أن يحصلها إلا بالقراءة من الكتب مباشرة، وبالرجوع إلى المصادر حقيقة.

وبعد جمع الأمثلة من الأقوال التفسيرية على قواعد الترجيح من التفاسير الثلاثة آنفة الذكر في كامل تفسير القرآن، ثم مراجعة ومقارنة أقوالهم بعامة المفسرين الذين استطعت جمع كتبهم، من أجل النظر في تحليلهم للخلاف، واعتماد القواعد التي رجحوا بها؛ ليصدق نسبة هذه القواعد إلى المفسرين عموماً لا إلى هؤلاء الثلاثة فحسب.

واستفدت كثيراً من نفس شيخي الإسلام : ابن تيمية وابن القيم على الجميع رحمة الله.

وبعد هذا الاستقراء، والدراسة، والمقارنة، وجدت أن بعض هذه القواعد منصوص عليه بلفظه في كتبهم، وبعضها: اعتمد مضمونها في الترجيح دون أن

ينص على لفظها في أقوال المفسرين؛ فاجتهدت في صياغتها في ضوء عباراتهم .
وقد حرصت في الأمثلة التطبيقية على الأمثلة التي لها أثر عملي أو عقدي؛ حتى تتضح أهمية القاعدة–وقد نصحني بذلك كل من الدكتور أحمد سير مباركي، والدكتور جبريل البصيلي.

رابعاً: تصنيف القواعد في الكتاب:

١- قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني:

* القراءات والرسم.
* السـياق.

٢- قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة النبوية والآثار:

* قواعد السنة النبوية.
* قواعد الآثـار.
* القواعد المتعلقة بقرائن في السياق أو خارجية.

٣- قواعد الترجيح المتعلقة بلغة العرب:

* قواعد تتعلق باستعمال العرب للألفاظ والمعاني.
* قواعد تتعلق بمرجع الضمير.
* قواعد تتعلق بالإعراب.

خامساً: أنواع قواعد الترجيح التي تضمنها البحث:

١. القواعد التي ترجح بعض الأقوال في تفسير الآية، دون أن تتعرض لبقية

الأقوال بتضعيف أو ردّ ، سوى القول الراجح ، وهي أكثر قواعد البحث.

٢. القواعد التي تضعف بعض الأقوال أو تبطلها، وإن لم تتعـــرض إلى مـــا سواها بترجيح، وصلة هذا النوع بالتـــرجيح؛ أنها تحصر الصواب، والـــراجح فيما عدا الوجه أو الأوجه التي ضعفتها ، مثل قاعدة: (كل تفسير خالف القرآن أو السنة أو إجماع الأمة فهو رد).

٣. القواعد العامة التي تضبط النظر في الأقوال المختلفة في تفسير الآية مثل قاعدة: (العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)، وكقاعدة: (ليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات التتريل عليه).

* فمجموع قواعد البحث: منها ما يشير إلى الرجحان، ومنها ما يشير إلى البطلان، ومنها ما يشير إلي تضعيف بعض الأقوال، ومنها قواعد عامة للنظر في الأقوال المختلفة في التفسير.

سادساً: تنازع القواعد:

وهو من أهم المباحث التي يجب على طالب العلم ضـــبطها، بعـــد ضـــبط القواعد العامة، وذلك بأن يعلم طالب العلم أن

هذه القواعد إما أن يؤيد بعضها بعضاً في ترجيح قول، وهذا لا إشكال فيه؛ فهو من تعاضد الأدلة.

* وإما أن يكون بعضها يرجح قولاً، وبعضها يرجح آخر.... ويُـــرجح في هذه الحالة من القواعد ما حقق غلبة الظن...

قال الزركشي: (واعلم أن التراجيح كثيرة، ومناطها ما كان إفادته للظـــن أكثر... فهو الأرجح، وقد تتعارض هذه المرجحات، فيَعتمِد المجتهد في ذلـــك على ما غلب على ظنه).اهـــ

* فقاعدة التفسير النبوي؛ مقدمة على ما سواها من القواعد.

* وقواعد السنة النبوية، وإجماع السلف، وجماهيرهم، مقدمة على قواعـــد السياق وقواعد اللغة.

* وقواعد العموم؛ مقدمة على قواعد السياق وغيرها؛ فقواعد العموم أقوى من قواعد السياق، فتخصيص العام يكون بالقرآن أو الســـنة أو الإجمـــاع لا السياق.

* وقاعدة المحدث عنه في الضمائر مقدمة على غيرها من قواعد الضـــمائر عند التعارض.

* ويجب مراعاة السياق دائماً؛ فهو المقصود بهذه القواعد، حتى يُفهم على وجهه، مع مراعاة حمل القرآن على عموم ألفاظه، ما لم يرد دليل بالتخصيص.

تنبيه على مسألة مهمة، وهي: أن القراءة الناقدة تفتقر لها كثير من الأبحاث :

أحياناً تمر على الباحثين بعض المصطلحات والمسائل؛ التي يتوارد فيها كلام أهل العلم بشهرة وكثرة نقل، غير أنه عند التأمل يجد النظر له فيها مجالا.

مثل: مسألة متى يكون لقول الصحابي حكم الرفع؟

(كان ينبغي بيان ماذا يريد سعادة الدكتور من إيراده لهذه المسألة وتوضيح الإشكال فيها إن كان ثم إشكال، ومن أجود ما قرأت فيها ما أورده د/ خالد السبت في رسالته: قواعد التفسير)

سابعاً: من أهم النتائج:

١- أن علم أصول التفسير وقواعده لم يُخدم خدمة توازي مكانته، كما خدمت علوم أخرى، كالفقه بأصوله وقواعده، والحديث بعلوم الحديث ومصطلحه.

٢- مشكلة المثال في كتب علوم القرآن؛ حيث يتكرر ذكر المثال الواحد على المسألة، من السابق إلى اللاحق دون إثراء المسألة بأمثلة أخرى، وهذا كثير جداً في كتب علوم القرآن...... لذا كم تمنيت أن تجمع أمثلة كل نوع من علوم القرآن، من كامل تفسير القرآن ، وحبذا لو كان هنا عمل موسوعي أو بلغرافي (يبين معناها) لحصر الأمثلة على كل نوع.

٣- كثرة وتيرة النقل الحرفي في جملة من كتب التفسير، وفي ظني ـ وأرجو أن لا أكون مجازفاً ـ أنه لو تم تتبع بعض كتب التفسير، وإعادة كل نص تم نقله إلى مصدره، وحصر ما جادت به قريحة صاحب التصنيف؛ لاجتمع لنا من عدة مجلدات نزر يسير... ولهذا أمثلة كثيرة.

٤- أن رسالة قواعد الترجيح كانت بداية على طريق غير مسلوك، فيحصل فيه من العثرات ما تستوجب إقالة الكرام أمثالكم لها، إذ كل أمر في أوله يبدأ ضعيفا ثم يشتد عوده ويقوى.

(حبذا لو علق على هذه النتيجة بما يدل على القيمة العلمية لرسالة قواعد الترجيح التي أسميها شخصيا: (بيضة الديك)، مما يدل على تفردها في بابها).

الأسئلة التي وجهت للدكتور: حسين الحربي:

١- سؤال عن الجمع بين العموم الذي ورد في عنـــوان الرســـالة، وهـــو: "قواعد الترجيح عند المفسرين"، مع أنه ذكر أنه اعتمد في استقراء هذه القواعد على ثلاثة تفاسير فقط، وهي : تفاسير ابن جرير وابن عطية والشنقيطي.

* وقد أجاب عن ذلك بما حاصله: أنه جعل هذه التفاسير عينـــة للبحـــث ابتداءً حتى يحصل الاستقراء الكامل من خلالها، ثم رجع بعد ذلك إلى التفاســـير الأخرى، وقد تبين له من خلال بحثه أن القواعد التي اســـتخرجها مـــن هـــذه التفاسير الثلاثة تكاد تكون هي المذكورة والمعتمدة عند غيرهم، ولا يكاد يخرج عنها إلا عدد قليل جدا لا يؤثر في إطلاق العموم المذكور في العنوان.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

قصة رسالة

د.حكمت بشير ياسين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد، فقصة هذه الرسالة متعلقة بإمامٍ محدثٍ ناقدٍ، ومفسرٍ مؤرخٍ، حظـي بعلم أبيه وخاله أبي زرعة، ألا وهو الإمام الناقد صاحب الجرحِ والتعديل ابن أبي حاتم عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي المتوفى سنة سبعة وعشرين وثلاث مائة للهجرة رحمه الله تعالى.

فقد صحبت كتاب هذا الإمام مدة ثلاث سنين، وتشرفت أيضاً بالاطلاع على المخطوطات من هذا التفسير لدراستها؛ كما شرفت بجمع الرسائل الـتي شارك فيها زملائي لتحقيق التفسير، وتنسيقها لطباعتها ولتوحيـد الدراسـة، وعمل معجم لرجال ابن أبي حاتم حتى لا تتكرر التراجم، وفي هـذا المعجـم أوردنا الترجمة مرة واحدة؛ للاختصار وعدم إثقال الكتـاب وعـدم تكـرار التراجم.

وتتبنى دار ابن الجوزي طباعة هذا السفر العظيم من كتب التفسير المتميزة، وكان تحقيق هذا التفسير في جامعة أم القرى التي احتضنتنا في الدراسات العليا، واستقطبت لنا العلماء من أنحاء المعمورة من كبـار العلمـاء في التفسـير وفي الحديث، فاستفدنا فائدة كبيرة من هذه الجامعة المباركة في الدراسات العليـا، كما استفدنا أيضاً قبلها في كلية الدعوة في الجامعة الإسلامية. فجزى الله خيراً

هذه الحكومة الرشيدة على إنشاء هذه الجامعات التي نفعت أبناء البلد ونفعت أبناء الأمة في العالم الإسلامي، فجزاهم الله خير الجزاء وحقق آمالهم في خدمة الإسلام وخدمة القرآن.

كان التخصص في المرحلية الجامعية في الكتاب والسنة فلما عملت في الماجستير في الحديث الشريف في مرويات سلمة بن الأكوع من كتب السنة، كان جديراً بي حينما انتقلت إلى مرحلة الدكتوراه أن أعمل في التفسير حتى أجيد التخصص في الكتاب والسنة.

ومن فضل الله عز وجل كانت رسالة الماجستير ممهدة للعمل في التفسير؛ لأن علم التفسير بالمأثور أو الباحث في علم التفسير لا يستطيع أن يقوم بهذا التخصص بدون تخصص علم الحديث، فهو الأساس لعلم التفسير، ثم رأيت أن أحد الزملاء الأفاضل وهو فضيلة الدكتور: أحمد بن عبد الله العماري الزهراني، اختار وطرق هذا الموضوع، فقلت: ما دام أنه قد تمت الموافقة له فستأتي إن شاء الله الموافقة لي طبيعة ، فأبدأ به إلى أن تأتي، وقد قطعت شوطاً في تحقيق هذا الكتاب تفسير ابن أبي حاتم واسمه: "تفسير القرآن العظيم مسنداً عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة رضي الله عنهم، والتابعين رحمهم الله" ، هكذا كان عنوانه فقد كان عنوانه جذاباً ومشوقاً؛ لأنه اعتمد على أركان التفسير رحمه الله رحمةً واسعةً .

وبدأت والحمد لله بالتحقيق وجمع النسخ، وأكرمتني الجامعة برحلة علمية إلى تركيا وألمانيا. وبفضل من الله عز وجل تمكنت من تصوير هذا الجزء الذي

أريد أن أحققه، ويشكل الجزء الثاني وفيه سورتا آل عمران والنساء. والحمد لله، والنسخة الأخرى كانت في ألمانيا الشرقية مكتبة (جوتا) لم أتمكن من دخول ألمانيا؛ لأنهم لم يزودونني بالتأشيرة لزيارة ألمانيا، لكني وضعتها بالحسبان وحسبت لها حساباً بأن تأتي إن شاء الله.

المهم أننا اعتمدنا على النسخة الفريدة في اسطنبول، والحمد لله كان فضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبة – رحمه الله – المشرف على هذه الرسالة وكان في غاية الاهتمام والتوجيه، وحينما توفي أتحفوني بمشرف آخر فضيلة الأستاذ الدكتور عبد العال بن سالم عبد العال –رحمه الله–، فهششت لذلك فقد كان حنوناً كريماً واسع الصدر، وقد استفدت من هذه الصفات في التعامل مع طلابي والحمد لله بالحنان والرفق بهم وسعة الصدر معهم، سواءً في مكتبي أو في بيتي أو من خلال الهاتف، وأيضاً جعلت مكتبتي بين أيديهم كما كانت مكتبات هؤلاء العظماء مفتوحةً لي وصدورهم منشرحة بي، وكما تدين تدان فرحمهم الله رحمةً واسعةً، وجمعنا وإياهم في جنات النعيم .

إنّ الحافظ الناقد الإمام ابن أبي حاتم الرازي بهرني حينما قال: (ألفت كتاب الجرح والتعديل لبيان معاني كلام الله وسنن المصطفى ﷺ)، ولهذا توجت رسالتي بهذه المقالة ، قلت : يا سبحان الله يؤلف الجرح والتعديل بسبب التفسير!! . فشدني وقوى من عزمي في العكوف على دراسة الكتاب كله، وخصوصاً أن فضيلة الدكتور: أحمد بن عبد الله العماري الزهراني هو الذي بدأ هذا المشروع، والزملاء الذين سجلوا في هذا الموضوع كلهم قاموا بترجمة

للمفسر، فتزاحمت الأقلام على ترجمة المؤلف، فقلت : لا داعي للتكرار، لـــذا قررت استقراء الكتاب كله لأقدم دراسة مبتكرة فكانت لنا جلسات علميـــة، اشترك فيها أكثر من عشرة طلاب في التحقيق ولله الحمد ، فكنا نلتقي بين حين وآخر للتشاور في بعض المشكلات، ومحاولة الإجابة على بعض الاستفسارات، وتداولنا أيضا المخطوطات، فعندي مخطوطة تفسير سورة آل عمران والنســاء أتحفتهم بها ، وهم أيضاً أتحفوني بنسخهم الخطية، فاستطعت أن أتعرف علـــى جميع شيوخ ابن أبي حاتم من خلال هذه السور التي أتحفوني بها، وهذه بركـــة العمل الجماعي في التفسير، التعاون على البر والتقوى والواحد ينفـــع الآخـــر، ولهذا استطعت أن آتي بترجمة مبتكرة بقدر المســتطاع، وخصوصـــاً بالنســـبة للرحلات، فقد كنت أتصور الرحلات من خلال قراءة كتـــب الـــرحلات في القرن الثالث في كتب الجغرافيا مثل: "أحسن التقاسيم والأقاليم"، كيف كانت المسافة بين بلدة كذا وكذا، كم كيلو؟ كم مرحلة ؟ كم فرسخ ؟ أُبين هـــذه المساحة وأوضح أيضًا ما فيها من المشكلات والجبال والوديـــان واللصـــوص والسباع، فكل هذا الكلام الذي يذكره الرحالة أضعه في ترجمة ابن أبي حاتم في سفرته مثلاً من أصبهان إلى مكة المكرمة، ومن بلاد الريّ إلى مكة المكرمة، ومن بلاد الريّ إلى بغداد إلى سامراء إلى الموصل؛ لأنه رحمه الله كان دقيقاً إذ يقول : حدثني فلان ابن فلان ابن فلان في سامراء، وأحياناً كان يذكر السنة "في ســـنة كذا"، وقد استطعتُ أن أقف على بداية تأليفه هذا الكتاب، فقد بدأه مبكراً إذ أخذه أبوه في رحلة علمية، وتعبدية في الحج فلقي كبار العلماء في بغـــداد، وفي

سامراء وفي البصرة وفي الكوفة، وفي مكة المكرمة وفي المدينة المنـــورة، فهـــذه المعلومات ساعدت على إثراء الدراسة وعدم التكرار.

ومن خلال استقراء التفسير وكتاب الجرح والتعديل تعرفت على شيوخه، وعلى تحديد السنوات التي أخذ فيها العلم عن أولئك المحدثين حين مـــا يـــذكر السنة، وبذلك حصلنا على كثير من الفوائد والمسائل من خلال استقراء كتبه، فمثلاً: من كتابه الزهد نستفيد أنه كان يعالج بعض مظاهر الترف، ويرشد إلى التقلل من ملذات الدنيا، إذ كان يعيش في القرن الرابع الهجـــري، لاســـيما أن الترف قد دبّ في الدولة العباسية في تلك الفترة، فحينما يؤلف في الزهد، كأنه ينشد ويرشد الأمة إلى الزهد في الدنيا، وأيضاً القلوب كما تعلمون تقسو فهـــو يحاول أن يرقق القلوب بقصص التابعين في الزهد، إذ ذكر ثمانية مـــن التـــابعين وذكر زهدهم رحمهم الله، هذه المسألة في مؤلفات المؤلف نستطيع أن نحللـــها ونستنبط منها فوائد.

وكذلك في تصحيح المسار في علم التفسير حينما رأى الـــدخيل قـــد دبّ وانتشر في علم التفسير ورأى الروايات الموضوعة والضعيفة قرر أن يؤلف هـــذا الكتاب، وأن يورده بأصح الأسانيد فهي عملية تأصيل في علم التفسير، وهـــي محاولة جادة من عالم ناقد متمكن أخذ علم أبيه وعلم خاله أبي زرعة رحمهمـــا الله، ومن أركان بلاد الريّ آنذاك.

ومن خلال استقراء كتبه وجدت أن ثلث الآثار أخذها عن أبيه، والثلـــث الثاني عن خاله أبي زرعة، و الثلث الآخر عن بقية الشيوخ، فهو يبدأ بـــالأقربين

ثم بالآخرين من بلاد الري ومن البلدان الإسلامية التي طوف بها وارتحل إليها طلباً للعلم.

هذا المنهج في عنايته بأصح الأسانيد التبس على كثير من طلاب العلم، وظن البعض منهم أنه خالف منهجه بأنه يورد التفسير بأصح الأسانيد، ثم نجده يسوق أسانيد ضعيفة وحسنة وصحيحة.

والتفسير الصحيح لعمل ابن أبي حاتم أنه إذا كان عنده إسناد حسن وضعيف وصحيح فإنه يأخذ الصحيح، فإذا وجد إسناداً حسناً وآخر ضعيفاً وآخر موضوعاً فيأخذ الحسن، وإذا وجد إسناداً موضوعاً وإسنادا آخر ضعيفاً لا شك أنه سيأخذ بالإسناد الضعيف، ثم يأتي بالآثار التي تقويه، وأحياناً يسرد أقوال جماعة من الصحابة والتابعين لتقوية الرواية الضعيفة.

إن الحكم على هذه الأسانيد استغرق ردحاً من الزمن، أحياناً يا إخواني الأعزاء كان الإسناد الواحد يستغرق بضعة أسابيع - متقطعة ليس متصلة -، لأني انشغل بالتحقيق وبأعمال أخرى، ثم أكرّ على هذا السند لأنظر فكنت أجمع أقوال النقاد في الحكم على الأسانيد، حتى اجتمع عندي كثير من البطاقات، وفي كل سند حكم عليه أجعل له بطاقة، ولهذا تمخض عندي جملة من الأسانيد التي حكم عليها النقاد عن ابن عباس، وكذلك الأسانيد التي حكم عليها النقاد عن ابن مسعود، وهي أسانيد مشكلة تحتاج إلى جهود في استقراء أقوال النقاد في الحكم على الإسناد، وفيها ثمرات جليلة وجديدة، منها:

استنباط الحكم من النقاد على الرجل الذي لم نجد له ترجمة أو اختلف فيه،

وقد حكم على سنده النقاد بالصحة فيستفاد من ذلك توثيقه ضمنًا، وكـــذلك بالنسبة لتصحيح وتحسين من هو صدوق سيء الحفظ، أو صدوق يهم، فإن هذا التصحيح يستند على أن الرواية من نسخة فهو سيء الحفظ ولكن الرواية مـــن السطور وليس من الصدور، فروايته من السطور مكتوبة وليست من الصدور، فهو يخطئ لو كان من حفظه ولكن ينقل من كتب ومن نسخ مشهورة كنسخة أبي العالية، ونسخة علي بن أبي طلحة ،ونسخة الحسن البصري، ونسخة سعيد ابن جبير، ونسخة عطاء الخراساني، وعطاء بن أبي رباح، وهكذا نسخ كـــثيرة جداً، فقد تتبعتها وجعلت لها دراسةً وافيةً بأقوالِ النقاد.

وطبقت الاستقراء الذي كنت أرشد إليه بالأمس، فاستطعت أن أتعـــرف على تفاسير القرن الأول وعلى مناهجها، وتفاسير القرن الثاني ومناهجها، وعلى التفاسير في القرن الثالث ومناهجها، وقد استفدت منها فائدة كبيرة في البنـــاء المعرفي في نقد التفسير ولله الحمد.

ومن أسباب تأليفي التفسير الصحيح: التأثر بصناعة ابن أبي حاتم الـــرازي رحمه الله رحمةً واسعةً، وهذه الدراسة أيضاً فيها مقارنة بينه وبين أقرانه كالإمام الطبري من معاصريه، والإمام النسائي في التفسير -وهو جـــزء مـــن الســـنن الكبرى- .

ومن نتائج هذه المقارنة: ظهور أن أسانيد ابن أبي حاتم تـــوازي في العلـــو أسانيد الإمام النسائي والبخاري ومسلم، وهذا من بركة الرحلة في طلب العلم، إذ في الرحلة يروي عن شيوخ لهم أسانيد عالية، فحين يروي عنـــهم تكـــون

أسانيده عالية، فهو لا يرضى بأي إسناد، فلهذا حينما نقارن نجد العلو واضحاً في أسانيده إضافة إلى مسألة الصحة التي تحراها، وهو أهل لذلك، فقد استفاد من نقد أبيه وأبي زرعة كما رأينا في العلل وهكذا في التفسير وفي الجرح والتعديل، هذه بركات الاستقراء يا إخوان.

البارحة أخذنا وقتاً واسعاً في قضية الاستقراء؛ لأن البحث العلمي لا يقوم بدون استقراء وآداب طالب العلم، - وستجدون قصة التفسير إن شاء الله في الملفات التي ستوزع عليكم وهي من أعمال الكرسي -.

في قصة التفسير تلكم أتكلم عن: "تطور علم التفسير" من نشأته إلى زماننا هذا، هذا كله يا إخواننا بالاستقراء من فضل الله عز وجل، والحمد لله أحفظ ذلك، فالآن إذا سألتموني عن أي قرن أبين لك ابتكارات كل قرن بفضل الله عز وجل، هذه بركات الاستقراء لأنك تتعرف على تطور هذا العلم، وعلى المبتكرين من طراز ابن أبي حاتم.

وفي القرن الرابع ظهرت عدة ابتكارات، أولاً على يد ابن أبي حاتم في النقد وفي تأصيل التفسير بأصح الأسانيد، وكذلك بصناعة الإمام الطحاوي في أحكام القرآن؛ فقد تميز وترفع عن التعصب الذي وقع في كتاب أحكام القرآن للجصاص، ولهذا اقترح أن تكون مقارنة بين أحكام القرآن للجصاص وأحكام الطحاوي، وكلاهما من أبناء القرن الرابع الهجري ومن الأحناف، فنجد الإمام الطحاوي سلك مسلك المحدثين في الرواية، وقد تمتعت بهذا الكتاب، وأيضاً اقتنصت بالاستقراء الروايات الصحيحة التي لا توجد في التفسير الصحيح

وأضفتها في الطبعة الجديدة.

الدراسة لتفسير ابن أبي حاتم بلغت مائة وستة وثمانين صفحة حاولت عدم التكرار فيها، وأن يستفيد القارئ منها، ولهذا رأت إدارة مكتبة ابن الجوزي أن تكون هذه المقدمة هي تاج الكتاب في البداية، لكن ذكرت لهم أن الباحث الأول بذل جهوداً كبيرة، وفتح الباب فلابد أن تذكر مقدمته لما فيها من الفوائد، وأن مقدمتي تكميلية .

وكانت لجنة الإشراف على أرقى ما يرام ضبطاً ومتابعةً، ودعما وحنانا ورفقاً رحمهم الله رحمةً واسعةً، فهذه كانت أيضاً من أسباب التسهيل في الإنجاز، وكذلك التوجيه في المقدمة والدراسة، وكان فضيلة المشرف في المناقشة الأستاذ عبد العال يدافع دفاعاً عجيباً، ويغلظ على المناقش الأول، وفي الوقت نفسه كان معتنياً بالمتابعة والنتائج الجديدة؛ لأن هذا الاستقراء يا إخواني يأتي بنتائج مبتكرة ومنضبطة بإذن الله تعالى.

وكذلك في المقارنة مع التفاسير الأخرى أيضاً بينت القيمة العلمية لهذا الكتاب من حيث قوة هذه الأسانيد، وكذلك من حيث صحة الإسناد، وكان المؤلف يسلك مسلك الاختصار فيقول مثلاً: ما رويته عن أبي العالية في سورة البقرة فهو بهذا الإسناد الذي أرويه عن أبي عن عصام العسقلاني عن آدم ابن أبي إلياس العسقلاني، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس عن أبي العالية، وهذه طريقة ذكية مبتكرة في الاختصار؛ لأن هذا الإسناد يتكرر كثيراً جداً، فهو ابتكر ابتكاراً يفضل ما قام به الطبري، إذ جاءت الأسانيد متكررة في تفسير

الطبري، كما في الإحصائية عند الأستاذ محمد فؤاد سزكين في "تاريخ التراث العربي"، إذ يقول: (أفاد الطبري من قتادة ثلاثة آلاف مرة بسنده عن بشر بن معاذ العقدي عن يزيد بن زريع عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة).

من هنا يا إخواني يأتي سبب العكوف على دراسة الإسناد التي تستغرق أحياناً بضعة أسابيع فقد يقال: لقد بالغت في هذا! أقول له يا أخي هذا الإسناد يتكرر عشرات الألوف في كتب التفسير وغيرها في العقيدة والتاريخ والحديث والفقه، فهذه الدراسة تستحق العكوف حتى نصل إلى نتيجة في التحليل ودراسة ذلك السند، هذا هو سبب العكوف على جمع أقوال النقاد حتى إذا أردنا أن نحكم على السند نكون قد استندنا على أقوال علماء جهابذة نقاد معتبرين ومنصفين.

وفي دراسة هذا الكتاب حينما كنت أتتبع كتب التفسير وخصوصاً الأثرية كنت راغباً فيها جداً لما فيها من العلم الغزير ولما فيها من الأدلة القوية، فحينما تقول: ثبت عن ابن عباس وعن ابن مسعود فإنه يؤخذ بقوة بدون إشكال، ولا قيل ولا قال، ولاسيما حينما تكثر الأقوال وحينما ترى إسناداً ثابتاً عن صحابي يحل لنا مشكل الاختلاف والترجيح ولله الحمد.

ومن خلال هذا الاستقراء وجدت كتباً كثيرة، منها: تفسير الإمام أحمد وفيه مائة وعشرون ألف رواية. فأين ذهب هذا التفسير؟ وكذلك تفسير الإمام مالك. فأين هو؟ ويقولون: هو أول كتاب ألف على طريقه الإسناد -هكذا يقول الحافظ ابن حجر حينما ذكر لنا إجازته لهذا التفسير- ، ولهذا أقول لكم:

إن كتب الإجازات تحتاج أيضا إلى تثوير، وبينت لكم أهميتها والحمد لله، وهكذا وجدت تفسير إسحاق بن راهوية، وتفسير الإمام البخاري، فأين هي؟ عسى الله أن يوفقني لوضع خطة عمل لجمعها ودراستها.

والحمد لله بعض هذه التفاسير كنت أجدها يا إخواني في بطـــون كتـــب المذهب؛ لأن أهل المذهب يعتنون بكتب أئمتهم و يتـــداولونها، ويحفظونهـــا، ويضمنونها في تضاعيف كتبهم، وإذا بتفسير الإمام مالك أجده في آخر شـــرح القبس في شرح موطأ مالك بن أنس للإمام الجهبذ ابن العربي، والاهتمام بكتب أهل المذهب أحياناً تأتيك بثمرات، ونفسه تفسير الإمام أحمد وجدت قطعة منه في كتاب: "بدائع الفوائد" في المجلد الثالث، يقول ابن قيم الجوزية: (جزء مـــن تفسير الإمام أحمد بخط القاضي أبي يعلى). -الله أكبر- ولهذا قلت إذاً وجبت، بأن أجمع مرويات الإمام أحمد بإذن الله تعالى بعد أن انتهي من هذه الرسالة التي كرمني الله بها سبحانه وتعالى، فانتهيت منها والحمد لله في سنة ونصف مع ذلك الاستقراء، ومع تفرغ، وبرنامج كالبرنامج العسكري في تنظيم وقـــت الطعـــام والشراب، وفي وقت البحث، والاتصالات والـــرحلات، وإشـــغال المشـــايخ بالهاتف، وكثرة السؤال، ثم أقول بعد أن أسمع الإجابة: يا أستاذي العزيز ممكن أن تتحفني بمصدر من مصادر على هذا الجواب العظيم الذي أتحفتني به والـــذي أثلج صدري؟ فيعطيني ويفكر ويقول: نعم خذ هذه المصادر، وأحياناً يذكرون لي الصفحة والجزء، وأنا أيضاً أذكر لكم الصفحة والجزء من بدائع الفوائـــد في الجزء الثالث من صفحة تسعين إلى صفحة مئة وعشرين تجد نصوصاً من هـــذا

التفسير المبارك تفسير الإمام أحمد بن حنبل.

وحققت أيضاً في مسألةٍ التبست على بعض العلماء بأنه لم يؤلف التفسير، فقلت ما دام قد صرح ابن القيم وهو مولع بكتب الحنابلة وهو مجدد ومبتكر في المذهب الحنبلي، وهو خزانة معارف للمذهب الحنبلي؛ إذاً أذهب إليه. من أجل ذلك جعلتها قاعدة في كتابي: "القواعد المنهجية في التنقيب عن المفقود من الكتب والأجزاء التراثية" وطبقتها تطبيقاً في مرويات الإمام مالك، ومرويات الإمام أحمد، ومرويات إسحاق ابن راهويه، ومرويات ابن مردويه، وسُنيد، وابن أبي شيبة، حيث وزعت على طلابي في رسائل الماجستير والدكتوراه والحمد لله، وسجلت هذه المرويات، وأخذ تفسير البخاري من خارج صحيحه، والحمد لله، تم ذلك بتطبيق هذه القواعد، ومن خلال الاستقراء.

انظروا يا إخوان إلى بركة الاستقراء، وهذا يفسر لكم لماذا البارحة ركزت على قضية الاستقراء؟؛ لأني ذقت حلاوتها، وقطفت ثمراتها، فأردت أن أتحف إخواني بتلك المعلومات، وبتلك التجربة التي أعتز بها اعتزازاً عظيماً، لأني طبقتها أيضاً في قسم الدراسات العليا في البحث العلمي في اختيار الرسائل، والحمد لله استفاد كثير من طلاب العلم في جمع المرويات المفقودة، وفي تحقيق المخطوطات المسندة، كتفسير ابن المنذر، وتفسير نافع بن أبي نعيم، وتفسير يحي ين يمان، وتفسير عطاء ابن أبي مسلم الخرساني، وهذه التفاسير الأربعة من فضل الله عز وجل قد قمت بتحقيقها، ونشرتها مكتبة الدار، وتفسير البستي أيضاً من المخطوطات العجيبة، وكانوا يظنون أنه تفسير ابن ماجه، والأمر ليس كذلك

فتفسير البستي أسانيده عالية وصحيحة فأرشدت تلاميذي لتحقيقه، وخطه وعر فأرشدهم بقولي: ضع الدر المنثور على يمينك، والطبري على شمالك، وانظر إلى الإسناد فإن أعياك إسناد فعليك بعين الشمال من تفسير الطبري، وإذا أعياك المتن فعليك بالدر المنثور، فإنه درر منثورة نثرها الحافظ السيوطي في كتابه الذي جمعه من أربع مئة وثمانين مصدرا.

يا إخواني: إن السيوطي وظف المكتبة الإسلامية المحمودية التي كان مشرفاً عليها، والتي فهرسها الحافظ ابن حجر بفهرسين: فهرس للكتب، وفهرس للتلاميذ، وظفها لخدمة العلم، والتأليف.

وهذه نكته لطيفة وجدت كتاباً في الوقف في الكتب للسيوطي فبحثت عنه حثيثاً، وإذا به فتوى أجاز فيها الاستعارة من الكتب الوقفية، وهذا من ولعه وحاجته بأن يحفظ تراث الأمة الذي بدد على يد التتار، كما قرأتم في تاريخ بغداد، فقد كان النهر يجري بضعة أيام متلوناً بالأحبار من تلك المخطوطات، فأدرك الإمام السيوطي الهجوم الصليبي الإفرنجي، والتي تسمى بالحملات العلمية في مصادرة التراث، فكان السفراء يكلفون بتصدير هذا التراث بالسفن، وبحنادس الليالي وظلماتها كانوا يأتون إلى التجار وإلى الأماكن التي فيها التراث ، ويأخذونه ويصدرونه إلى متاحفهم، وبعض المتاحف تسلسل الكتاب بسلسلة من حديد، كما في إيطاليا في بعض المكتبات تسلسل الكتاب حتى لا يخرج، فانظروا إلى القيمة العلمية وإلى عظمة هذا التراث، وهكذا فالإمام السيوطي حفظ لنا العلوم في خزائنه، فكل كتاب من كتبه أعتبره خزانة في ذلك العلم،

الإتقان خزانة في علوم القرآن، الدر المنثور خزانة في التفسير، السيرة النبوية خزانة في السيرة، وهكذا المزهر في علوم اللغة العربية خزانة في علوم العربية، ويفصل لك علوم اللغة العربية التي لابد من الرجوع إليها، للارتقاء بالأمة في البحث العلمي وفي تعظيم قرآنها، فحبر لنا عجائب في هذا المزهر، فعلاً كله أزهار، وثماره تقطر علماً وأدباً ولغةً وبلاغةً وفوائد، رحم الله الإمام السيوطي على هذا العمل الجليل، وعلى هذا العمل الجبار الذي جعل بعض علماء الأمة يقلدونه فيه، كما رأينا في ابن عقيلة المكي الحنفي فحينما رأى ابتكارات السيوطي في علوم القرآن حيث بلغت موضوعات الإتقان ثمانية وثمانين علماً انبهر ، فزاد ابن عقيلة ستين نوعاً على ذلك. وهكذا صنع في تفسير الجوهر المنظوم زاد على السيوطي في كتابه الدر المنثور لكن الزيادات كانت محدودة، وهذا الكتاب اقترحته على الطالبات وعلى الطلاب المعسرين لكي ينجزوا لنا بسرعة تحقيق هذا الكتاب بما فيه من السهولة واليسر.

إن عمل الإمام السيوطي في هذه الموسوعات هي ثمرة اعتكاف، وله لذته في الاستقراء، ومن ثم تأتي البركات والفتوحات والأفكار.

وكذلك الحافظ ابن حجر في الإصابة إذ رجع إلى تسعمائة وخمسين مصدرا، لقد رجع إلى جميع كتب الصحابة، وعلى سبيل المثال الصحابة لابن السكن نقل منه ألف رواية، الآن يمكن أن تخرج لنا كتاب الصحابة لابن السكن ببركات أمير المؤمنين في كتابه الإصابة.

ابحثوا يا إخواني في موارد العلماء ستجدون علماً عجيباً، وستجدون

مكتبات وخزائن عجيبة لهؤلاء العلماء الذين خبروا الكتب والخزائن، وانتقوا منها اللباب والثمرات، كما في فتح الباري فقد نافت المصادر على الألف فأبدع إبداعاً عجيباً، ووضع لنا أسس التحقيق.

وإذا ذُكر بدء التحقيق فإنه ينسب إلى الألمان.. كلا ، فإنه حقيق أن ينسب إلى الشراح، فإن الشراح لكتب اللغة أو لكتب الحديث أو الفقه أو الأصول هم المحققون، فإن قيل كيف؟ قلت: لأنهم يجمعون النسخ كما في فتح الباري اطلع على نسخة المستملي والحموي وابن عساكر وأبي ذر وغيرها، جمعها الإمام الحافظ ابن حجر أمير المؤمنين جمعاً وقابل بين النسخ وهذا هو عين التحقيق، وهكذا الإمام النووي في شرح الإمام مسلم يذكر نسخة الجلودي والنسخ الأخرى، وهكذا الشراح لسنن أبي داود وسنن ابن ماجة وسنن الترمذي.

وهذه الشروح هي أسس التحقيق، هذه الشروحات هي المبادئ لعلم التحقيق وليس الألمان لأنه إذا قيل من بدأ بالتحقيق؟ الجواب سيقال: الألمان، نعم هم حققوا بعد ذلك ولكن تحقيقاتهم تحتاج إلى مراجعة.

قلنا بالأمس: ومن سبل الابتكار النقد، ومنها: نقد كتب المستشرقين، وقد أحصى لنا معالي الأستاذ الدكتور/ النملة أكثر من خمسمائة عمل حول أعمال المستشرقين، فممكن أيضاً نحن نمد هذا الابتكار في تقويم، وفي نقد هذه الأعمال لأننا رأينا فيها ما فيها، إذ ناقشت في قسم الاستشراق في كتاب: "مقدمتان في علوم القرآن" لآرثر جفري - مستشرق أمريكي - وجد الباحث أخطاء غزيرة جداً، وهذا القسم من الأقسام الفريدة في جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية فرع المدينة والآن أُلحق بجامعة طيبة، ووضع لها رجل خبير بأعمال المستشرقين فضيلة الأستاذ الدكتور عمر مصطفى حلبي جزاه الله خيرا يعتني بنقد أعمال المستشرقين، وعنده استقراء كامل لأعمال المستشرقين.

انظروا إلى بركات ابن أبي حاتم. كيف انتقلنا من وادٍ إلى وادٍ، ومن حديقة إلى حديقة، والله إني أتجول بكم في حدائق، ما رأيكم؟ هل هي حدائق أم صحاري ؟ حدائق. نقطف ثمارها يا أخواني، حتى نستثمر هذه الجلسات في البحث العلمي لجلب المصالح والخيرات وفي دفع الشر وأوكاره بإذن الله تعالى، وصلِّ اللهم على القائل: (ومن يتحرَ الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه) .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجزء الثاني: من قصة رسالة د.حكمت بشير ياسين

د.حكمت: ويطيب لي أيضاً في هذا الشوط الثاني أن أوصي أخواني وصية محب ومخلص لكم بتوسيع الصدر مع طلابنا، والحنان والرفق بهم، والإجابة على سؤالاتهم حتى لو لم يكن لديك إجابة، تعطيه الإجابة فيما بعد.

جزاكم الله خيراً؛ لأنكم توصلون العلم لهؤلاء، وتزرعون في قلوبهم الاستجابة، حينما يرى منك الاستجابة، فإنك تغرس فيه هذه الاستجابة، وسترون ذلك في أولادكم.

مداخلة: كما رعيت أبناء الناس رعى الله أبناءك.

د.حكمت: والله كم أكرمنا شيوخنا رحمهم الله، أذكر أن أحد الشيوخ الأزهريين في الجامعة الإسلامية كان يعطي راتباً لأحد طلابه.

رحمهم الله. ما هذا الحنان!!

هذا يترك آثاراً عميقة ترقى بالنفوس، ولهذا أنتجوا قيادات وروادا وعلماء ووزراء وسفراء، رأيتهم في ملتقى خريجي الجامعة الإسلامية في قارة آسيا، جمعنا معهم المسؤلوون في الجامعة -أكرمهم الله- وقد فرحت فرحاً شديداً.

قلت سبحان الله: كيف وصل هؤلاء لهذه المناصب! لاشك بتلك التربية وبهذه العناية؛ لأن الطالب أحياناً ييأس حين لا يجد تشجيعاً، فتكون عنده عقدة، إما من الدرس، أو من الكلية كلها -والله المستعان- فيعزف عزوفاً وزهداً في ذلك.

فهذه الوصية يا إخواني الأعزاء أرجو أن نضعها في الحسبان، واعلموا أن كتب الإجازات رأيتها حافلةً بالرحمة، أول ما يعطي الشيخ إجازة يقول له: "الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" – الله أكبر –!!

يا إخواني نحن في حاجة عظيمة لرحمة الله عز وجل، ورحمته واسعة تأتي بالعجب العجاب!!

فما بالك إذا رحمنا طلابنا وطالباتنا هؤلاء – الله أكبر – سنكون سبباً في نزول رحمة الله عز وجل، يعني: ستجعل تأثيراً كبيراً في الكون كله، لأنّ الله سبحانه وتعالى يحب ذلك، وكما تعلمون أن الله تعالى إذا أحب عبداً، نادى جبريل إني أحب فلاناً فأحبه، فيُحبه جبريل، فينادي من في السماء إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه من في السماء – معناه يعرفونه كلهم – فيجعل له القبول في الأرض...الله أكبر !!

إيش البركات هذه حين نتراحم فيما بيننا ومع طلابنا ومع طالباتنا!!

أسأل الله أن يمكننا من ذلك، وأن يوسع صدورنا.

بالنسبة للأسئلة أنا أرحب بالأسئلة لأنها تنور الجلسة، وتجدد النشاط، وتنشط الخلايا الدماغية التي أسعى لتشغيلها، لأنها تستوعب شيئاً عجيباً كمؤلفات السيوطي تستوعبها خلية واحدة، هكذا يقول علماء الأعصاب رحمهم الله.

مداخلة: نعم يا فضيلة الشيخ لو تترك لإخوانك...يقول مديرالندوة: لو

أحد أراد أن يسأل الشيخ.

د. عبد الفتاح: بسم الله الرحمن الرحيم ، في الحقيقة أن هذا السبر العلمي الذي سعدنا به ومن خلاله بالأستاذ الدكتور حكمت، أفدنا منه إفادةً عظيمة، ونحن عطاش لمثل هذه الجلسات العلمية الطيبة التي تتغشاها الملائكة ويذكرنا الله من خلالها في ملأٍ خير من هذا الملأ، أسأل الله أن يديم علينا نعمة العلم والتعلم، وأن يسبغ علينا جميعاً نعمه ظاهرةً وباطنةً- اللهم آمين- من خلال تأكيد فضيلتكم على الهندسة الفكرية، كما عند الزراعيين من باب الاستنباط تماشياً مع أفكاركم النيرة، إذا كان الزراعيون عندهم الهندسة الزراعية، فنحن نريد من المفكرين للدين الإسلامي الهندسة الفكرية التي يريدها فضيلتكم أن يصوغ منها مفكرون وعلماء يثمرون ما مضى، ويعودون بالفكر الإسلامي لمناط العالمية؛ لأن الله ربانا بمحمد ﷺ ليربي بنا العالم أجمع ، فالناس جميعا في ذمتنا، وما من إنسان أعجمي إلا وسيكون في عنق واحد من علماء الإسلام ؛ لماذا لم تخبرنا؟ لماذا لم تعلمنا؟ لماذا لماذا ؟ فأنت من أصحاب اللغة العربية ومن أصحاب اللسان والكتاب، والله أنزل القرآن بلساننا من أجل أن ننشره في العالم أجمع.

من خلال الهندسة الفكرية التي يدعو فضيلتكم إليها علمت في اللقاء قبل العشاء أن فضيلتكم وقف على سمات كل قرن من القرون فيما يخص التفسير.

السؤال: ما الأشياء التي زدتم فيها على الشيخ الذهبي في كتابه: (التفسير والمفسرون) -رحمه الله- ؟

السؤال الثاني: يقيني أن فضيلتكم قد وقف على قصة التفسير للأستاذ

الدكتور الشرباصي، وقصة التفسير للدكتور عبد الصبور شاهين، فما الذي وفقتم في الفتوحات إليه فوق ما ذكروه؟ وفقكم الله وجزاكم عنا خير الجزاء.

د. حكمت: آمين، وشكراً لك على هذا الاهتمام وعلى هذا التفاعل والاستجابة والتفاهم، وعلى هذه الأسئلة المهمة.

السؤال الأول: بالنسبة لصناعة الدكتور الذهبي -رحمه الله- وهو من العلماء الذين فتحوا الباب لدراسة مناهج التفاسير، ولهذا استفدنا منه في مجال الكتب التي لم نطلع عليها، لأني أُدرِّس في الدراسات العليا مادة طبقات ومناهج المفسرين ، فلابد أن أعطي الباحث حقه في كل قرن فالكتب التي لم نصل إليها نستفيدها من الدكتور الذهبي -رحمه الله.

أما الإضافات والابتكارات فإني أقارن بين علماء القرن الأول والثاني وعندي المنهج النبوي في التفسير.. كيف كان يكرر، وكيف كان يستخدم الإشارة مع العبارة، وكيف كان يستخدم الرسوم، ورأينا أيضاً بعض التشبيهات البلاغية بالأمس، فتلك التشبيهات تفتح آفاقا كما رأينا في وصف ثمرة وورقة سدرة المنتهى.

وهكذا الحال بالنسبة لمناهج الصحابة أستقرئ مناهجهم من خلال مروياتهم الصحيحة وأعطيها لطلابي، وبفضل الله عز وجل أكلف الطلاب بدراسة التفاسير التي لم تدرس، فنخرج جميعاً بنتائج وابتكارات فيها إرث لهم وللأساتذة الذين جاءوا من بعدي فهم يترحمون ويترضون علينا فجزاهم الله خيرا، وخصوصاً الذي يدرس هذه المادة فضيلة د. محمد بكر عابد. حفظه الله،

رجل وفيّ دائماً يقول: انظروا هذا إنجاز الدكتور جزاه الله خيراً [١].

يعني حينما نذهب يا إخواني لابد أن نترك شيئاً خيراً، لا نبخل أبـــداً فـــلا تقول أنا سأذهب وسيأتي أحدهم بعدي، سيبدلك الله بمقام أعلى وأعلى؛ لأنك تريد وتنشد خدمة القرآن وأبناء المسلمين، وبالفعل والله رأيت هذا، يعني لم ينتهِ العمل كما رأيتم وإذا بالأبحاث وبالمناصب أو بالجوائز –سبحان الله– يعني أمور معروفة كما تدين تدان.

مداخلة: أشكر فضيلة الشيخ وأثني على ما قاله: أن الإمام الذهبي –رحمـــه الله– في كتابه: (التفسير والمفسرون) فتح الباب لدراسة توصـــيفية، لكـــن إذا نظرت إلى الثراء العظيم لهذه الأمة تقول: هذه رؤوس أقلام .

كتاب الذهبي رحمه الله قرأناه ورجعنا إليه كثيراً ، وهو فتح مـــن الله عـــز وجل، لا ينقص هذا من قدر الكتاب أبداً، ولكن ما قاله الشيخ لو ذهبنا نكتب توصيفا تحليليا لفترةٍ معينة من الفترات جاءت مجلدات مثل مجلدات الـــذهبي – حسب تصوري – وأظن أن الشيخ – حسب ما فهمت من كلامه – يعمـــل دراسة تحليلية، يأتي بالكتاب ويقارن؟ في أي قرن كتب؟ وماذا عمل فيه؟ وماذا ابتكر فيه صاحبه؟

د. حكمت: سأضرب أمثلة من الإضافات، يعني: من خلال استقراء منهج الصحابة.

---

(١) وقد طبعت تلك الأبحاث والمحاضرات في مجلد يقع في سبعمائة صفحة.

أجد أنهم بكروا في الكتابة، فكان مجاهد بن جبر يسأل ابن عباس فيجيبه، فقد عرض القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، - وفي رواية ثلاثين عرضة وفيها خطأ - يسأله عند كل آية، ويقول له ابن عباس: أكتب فيكتب، فإذن الكتابة بدأت مبكرة بدليل أن ابن عباس متوفى سنة ثمان وستين، فمعناه: أن الكتابة بدأت في منتصف القرن الأول فكانت مبكرة، وقد توفي ابن مسعود قبله، وكان يسميه: " ترجمان القرآن".

مداخلة: بخلاف ما نسمعه عن عصور التطوير.

د. حكمت: نعم، فالكتابة بدأت مبكرة لكن على صحف، وحين تقرأ في تقييد العلم للخطيب البغدادي، ترى العجب العجاب من المفسرين الذين يكتبون على أشياء كثيرة جداً.

فإذاً نرى منهجية النقد في الإجابة على ما استدركته عائشة على الصحابة، نرى علوم النقد، نرى أدب النقد، ابن عباس يقول لتلميذه سعيد بن جبير حينما يخطئ: عجلت. معناه : لو تفكرت وترويت لأتيت بالصواب. فكلمة: "عجلت" تقطر أدباً، وهذه نحتاجها مع تلاميذنا حين يخطئون، أحياناً نقول له: اجلس، أو نضحك عليه، أو نقول كلمة لا تليق كما نسمع أحياناً.

مداخلة: لو تأتي بالجواب الثاني.

د. حكمت: نعم، ولكن حتى نأتي بالجواب على سؤال الدكتور عبد الفتاح فتح الله عليه.

أيضاً هذا فيما عند الصحابة والتابعين يكتبون، وينقد بعضهم بعضاً ويبينون

الأخطاء التي تحصل عند البعض، ثم أتباع التابعين ألفوا كتبا كمقاتل بن سليمان وهذا عنده ثنائيات يا إخواني؛ لأنه تابع تابعي. مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان كلاهما بلخي وكلاهما توفي سنة خمسين ومائة للهجرة وكلاهما مفسر، لكن مقاتل بن حيان أعلى درجة من مقاتل بن سليمان، وكتاب مقاتل بن سليمان من الكتب النفيسة المتقدمة في القرن الثاني، فحين نبحث في منهجها نرى كثيرا من الابتكارات في هذه الكتب، ونرى أيضاً علو الإسناد، وهذا في كتابه الوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان فهو أساس علم الوجوه والنظائر، هو أول من ابتكره!! انظروا !!

وما نسب إليه من التجسيم لم يثبت قط في كتبه ولله الحمد، فقد دُرست كتبه، ودُرس أيضاً من ناحية العقيدة، فهذا يحتاج إلى التأكد من نسبة القول للإمام الشافعي: أنه كان مجسماً.

نعم.. فالابتكارات أثرت ، فجاء الدامغاني في قاموسه فاستفاد من هذا وأضاف عليه.

وهكذا في القرن الثالث: جمع الكتب والصحف في تفسير عبد الرزاق، تفسير عبد الرزاق يا إخواني فيه إسناد عن معمر عن قتادة وهو على شرط الصحيحين، ويكرره حتى يشكل نصف الكتاب، فإذا عرفنا أن هذا الإسناد صحيح فكأنك عرفت الحكم على نصف الكتاب.

يا الله ما أفضل الحكم على الأسانيد!! وما أحوجنا إليها وما أسهلها! وهكذا لو نأتي لكل قرن نجد تجديداً وابتكارات من خلال هذه القراءات.

اعلموا يا إخواني أن عدد التفاسير وصلت إلى ستة آلاف ومائة وعشرين حسب إحصائيات مجمع الملك فهد بالخطة التي وضعتها حينما كنت مديراً للدراسات القرآنية، جزاهم الله خيراً، جمعوا المادة حسب الخطة وخرجوا بهذا الإنتاج وهو استقراء شبه تام، لكن مع الأسف بضعة كتب منها فقط في تفسير القرآن بالقرآن، من أجل ذلك كنت أدندن بالأمس حول تفسير القرآن بالقرآن بالاستقراء والاقتراحات وبالمزايا والابتكارات[١].

مداخلة:

أولا: أحسن الله إليك، لا أجد جزاء أعطيك أحسن من هذا.

وثانياً: أشكر باسمي شخصياً لهذه الزيارة الكريمة وهذا اللقاء.

وثالثاً: عندي موضوع تعرضت له وهو تحقيق كتب أهل السلف المتقدمين في التفسير، وهذا لا شك واجب شرعي على الأمة أن تحيط بسلفها من كان على جادة الصواب من أهل السنة إذا وجد أصل الكتاب، لكني فهمت من سياق الحديث أن عددا من الطلاب عملوا على جمع تفاسير السلف مما ذكر له تفسير في كتب التراجم من خلال كتب التفسير الموجودة.

ألا ترون مثل هذا الجمع لا يحقق كثير فائدة من إخراج من صحيح النسبة للمؤلف؟ كما أنه يسلخ قول هذا المفسر من بقية الأقوال المقارنة بها في الآية من أقوال السلف في السياق ذاته، ودراسة قول المفسر على ظاهره من كلام

(١) لم يجب الشيخ على السؤال الثاني الذي طرحه د. عبد الفتاح.

المفسرين في سياق معين يعطي النظر الأصوب في فهم النص أكثر من إفراده منفصلاً _هذا أحد القضايا_.

عندي شيء شخصي أحسن الله إليكم في موضوع تأخر إخراج كتابكم، وهذا كنت دونتها قبل أن تعلن لنا أنه سيطبع في دار ابن الجوزي .

باقي سؤال: متى تتوقعون أن يُرى؟

وما مدى التزامكم بما ذكره أبو حاتم في المقدمة في الالتزام بالأسانيد الصحيحة؟

وكم نسبة الصحيح في التفسير وكم يمثل نسبة الضعيف والذي لا يثبت؟

د. حكمت: شكراً جزيلاً على هذه الملحوظات القيمة والسؤالات النفيسة التي سنستفيد منها جميعاً.

أولاً: بالنسبة لجمع أقوال السلف: هو تمرس وتعلق بالأقوال المأثورة بالصحابة والتابعين حتى يكون لطالب العلم **دربة** ودراية بالتفسير الأثري الذي هو أساس التفسير.

إن علم التفسير لا يقوم إلا بالأثر، لو جردنا الأثر من التفسير ماذا بقي!! لو جردنا أسباب النزول عن النبي ﷺ والناسخ والمنسوخ وغريب القرآن الذي ورد بالأثر ماذا بقي من التفسير!!

إذاً من الأهداف التعرف والتمرس على المصادر التي تعتني بأقوال السلف الذين هم فرسان هذا الميدان، وكثير من تلك المصادر مفقودة، وقد وضعت لها قواعد لجمعها؛ لأنهم كانوا يتحفوني بالأسئلة فعزمت على تأليف كتاب

وأعطيهم إياه فأوفر عليهم الجهد والوقت، والحمد لله ضربت أمثلة عددها خمسمائة كتاب من الكتب المفقودة كيف تجمع في كتابي: "القواعد المنهجية في التنقيب في المفقود من الكتب التراثية".

ثانياً: التزام ابن أبي حاتم كما ذكرت في منهجه أصح التفسير، لكن ذكرت في الخاتمة إحصائيات لا تحضرني الآن النسبة، ولعل الروايات الضعيفة تبلغ عشرة بالمائة، أو خمسة عشر بالمائة.

وسبب تأخر الطباعة أن بعض الأساتذة يبطئ في المقابلة والتصحيح للرسالة، وأيضاً الدار كان عندها مشاريع كثيرة ومن ضمنها هذا، وأبشركم أيضاً أن تفسير ابن كثير أسند إلي والحمد لله أحقق على نسخ مهمة منها، ورد في بعضها ما نصه: "قال الحافظ ابن كثير حفظه الله" :

نستنبط من هذا النص أن النسخة كانت في زمن الحافظ ابن كثير. وكذلك بفضلٍ من عند الله تمكنت من الحكم على الأسانيد كلها في الأحاديث والآثار، وهذا فتح من الله عز وجل – ومن يتحرَ الخير يُعطه – هي مجازفة ولكنها فتوح من الله عز وجل تيسرت ولله الحمد[1].

مداخلة د. محمد: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، فقد تشرفنا في هذا اللقاء المبارك مع فضيلتكم، وعلم التفسير من العلوم المحببة للنفس، إلا أنه يدور بين الباحثين وجود

---

(١) وقد نشرت هذا الكتاب دار ابن الجوزي في سبعة أجزاء .

الإسرائيليات والأحاديث الضعيفة مما كان يشغلني وكنت أتمنى إخراج تفسير صحيح على منهج المحدثين، فقرّت العين في هذا الجمع المبارك في هذه الليلة المباركة بين المحدّثين وأهل القرآن وهذا هو الأصل في الطلب.

السؤال الأول: هل تفسير ابن أبي حاتم كاملا؟ لأنه كان في أطروحتي الماجستير بعض الإحالات عليه؟

السؤال الثاني: ألا يوجد مشروع لجمع التفسير الصحيح وإخراج الإسرائيليات وأسانيد السدّي الصغير ونحوها؟ والحقيقة أني بدأت مع بعض طلابي في مادة التخريج في شيء من هذا الحلم ولكن المجهود الفردي ضعيف وفي البداية هو ابتكار مبدئي، فأحبّ أن يطلعنا فضيلتكم إلى ما وصل إليه المفسرون بالإضافة إلى ابن أبي حاتم في جمع صحيح التفسير لاسيما خطورة القول في القرآن بغير أثر صحيح عن النبي ﷺ أو التابعين أو أن يكون الملجئ إلى اللغة بعدهما، وصلّ اللهم على نبينا محمد.

د. حكمت: جزاكم الله خيراً يا دكتور محمد على هذه الأهداف السامية، فالتفسير هذا الموجود منه النصف، ولا يعني من أوله إلى منتصفه، وإنما أجزاء متفرقة مفقودة، وقد عزمت إن شاء الله على جمع هذا المفقود، وبدأت من سورة الروم إلى الزخرف في مجلد وراجعته ودفعته إلى دار ابن الجوزي على أمل أن يقوم أحد الأخوة والباحثين من المختصين في التفسير أيضاً للإكمال، ولكن ما رأينا أُنجز شيئاً، وأنا توقفت بسببه، فإذا أحجم فأنا سأستأنف العمل بإذن الله تعالى في إكمال هذا في تطبيق القواعد المنهجية في المفقود من الكتب والأجزاء

التراثية.

"قضية التفسير الصحيح"، لا شك أن مشروع جمع التفسير الصحيح مطلب مهم وقد طرقه شيخ الإسلام ابن تيمية، ووجدت له كلاماً من مؤلفاته تفسير الصحيح أو صحيح التفسير، فهو مطلب مهم لكن يحتاج إلى آلات النقد في نقد الأسانيد؛ لأن فيها مسائل شائكة، أنا حاولت أن أجعله في حاشية المصحف، فقد طُلب مني القيام بهذا، والحمد لله عكفت ثمانية أشهر على هذا حينما أسلفت لكم في الليلة السابقة بأني أُصيغ التفسير معتمدا على الصحيح بأساليب البلاغة والإعراب أُضمنه البلاغة والإعراب بدون تصريح (تضمين) وضربت لذلك مثالاً: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ (البقرة:٥) أي هؤلاء أصحاب الدرجات العالية لأنه يشير إلى بعيد في الدرجات الرفيعة العالية.

وحينما نقول: استفهام إنكاري، أقول: ينكر الله عز وجل، وأقول: يقسم الله تعالى، عند ورود واو القسم وهكذا، ومنذ سنتين وهو في المطبعة - نسأل الله أن ييسر -، لكن هذا يمكن إذا كان فيه مشروع علمي مشترك بإذن الله تعالى سيستفاد من التفسير الصحيح، وأنا متأكد من أنه يمكن أن يكون إضافات عليه لأني أضفت مجلداً كاملاً، فكلما فكرنا وأمعنا سنأتي بجديد، نعم كل ما بذلنا جهدا ما يضيع شيء منه بإذن الله تعالى. أنا أشجع على هذا؛ لأنه تكميل لهذا المشروع بإذن الله تعالى، ممكن تفوت أشياء، وأنا مستعد أن أساعد في هذا في أي استفسار أو سؤال، لأني مكثت في دراسة الصحيح ما يقارب عشرين

سنة بفضل الله عز وجل تدريساً وبحثاً وإشرافاً ومناقشات بفضل الله عز وجل .

مداخلة: بعد شكر الله عز وجل نشكر اللجنة العلميـــة للقـــرآن الكـــريم وعلومه، ونشكر سعادة الدكتور حكمت بشير ياسين على خطواته، نسأل الله تعالى أن يجعلها في ميزان حسناته، لا أطيل ولكن بعد أن علمنا أن فضـــيلتكم جمعت تفسير الإمام أحمد وبعضه من كتاب بدائع الفوائد برواية أبي يعلى، نريد فقط التعليق على مقولة نسبت للإمام أحمد: [ثلاثة لا أصـــل لهـــا...ومنـــها التفسير] وشكراً.

د. حكمت: بارك الله فيكم، في الحقيقة: هذه الكلمـــة يتناولهـــا العلمـــاء بالشرح، إما أن هذا لا أصل له مثل الحديث بالأسانيد المرفوعة للـــنبي ﷺ ، أو بالنسبة إلى الصحف الموضوعة والضعيفة التي دبت في كتب التفسير وهي كثيرة جداً، كما ورد في مرويات السدي الصغير ومحمد بن السائب الكلبي، وبعـــض الوضاعين الذين اشتهروا بوضع النسخ التفسيرية، فهذه توجيهات العلمـــاء: لا أصل لها.

وقد صنف الإمام أحمد تفسيراً لكنه فُقد، وقد حاولت جمـــع كـــثير مـــن نصوصه من مسنده، لأنه فيه أحاديث كثيرة جداً ذكرها الحافظ ابـــن كـــثير والسيوطي في تفسيريهما، واستأنسنا بها وأضفناها في هذه المرويات فقد بلغت أربعة أجزاء، بدأت الجزء الأول ثم أعطي الباقين من الباحثين لتكميل المشـــوار، – وهكذا طريقتي في المشاريع الكبيرة والحمد والشكر لله –، وكما في كتـــاب "استدراكات على التراث العربي" فقد أخذت التفسير والقـــراءات وأعطيـــت

الحديث والفقه والكيمياء والزراعة للباحثين الآخرين، فهذا بركة العمل الجماعي في الإنتاج العلمي، نستطيع أن ننجز أعمالا كبيرة إن شاء الله.

مداخلة د.عبد الغني: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. نشكر أستاذنا وشيخنا الدكتور حكمت بشير ياسين على هذه الجهود الجبارة، أسأل الله تعالى أن يجعلها في موازين حسناته، وأن يبارك له في هذه الخطوات لخدمة كتاب الله وخدمة رسول الله ﷺ ، وما سمعنا بالأمس واليوم – حقيقة - أجاد الشيخ فيه وأمتع وأطرب الأذان وشنف، لله دره.

سؤالي لفضيلتكم: من خلال تفسير ابن أبي حاتم تجدون أقوالاً متعددة لصحابي واحد حول الآية الكريمة، فما عمل فضيلتكم **في** هذه القضية؟

سؤالي الثاني: قلتم أن ابن أبي حاتم قد أورد نسبة عشرة بالمائة من الضعيف أو خمسة عشر تقريباً وهو إمام الجرح والتعديل، فهل يعدّ ذلك منه من قبيل التساهل، أم أنه ارتكن على قاعدة حديثية أنتم على دراية بها ؟ وجزاكم الله خيراً.

د. حكمت: بارك الله فيكم وجزاكم الله خيراً.

السؤال الأول: بالنسبة لطريقتي مع ابن أبي حاتم حينما يورد أقوالا متضادة عن صحابي واحد، أحاول الحكم على هذه الأسانيد فإذا عرفنا أن هذه الرواية صحيحة والبقية ضعيفة فكأنه ترجيح صامت؛ لأننا صححنا هذه الرواية

وضعفنا الروايتين الباقيتين.

أما بالنسبة للضعيف الذي أورده ابن أبي حاتم، فهذه النسبة أنـا أقـدرها تقديراً في الوقت الحاضر، وإن صحت الأقوال جميعها فهو من قبيـل الخـلاف المتنوع، وهذا جعلناه في الدراسة، أما بالنسبة للروايات الضعيفة فقد أسلفت أنه يسوق التفسير بأصح الأسانيد، فإذا وجد في الروايتين حسنة وضـعيفة يـأتي بالحسنة، وإذا وجد حسنة وصحيحة يأتي بالصحيحة، وإذا وجد رواية ضعيفة وموضوعة يأتي بالضعيفة، يقول: هذه أصح من الموضوع، إذاً الصحة نسبية ولا يعني أن كلها صحيحة؛ لأن البعض يقول: إنه ناقض منهجه. وهو في الحقيقة لم يناقض منهجه، وإنما صرح قي مقدمة كتابه بأصح الأسانيد فهذا هو التوجيـه الذي رأيته.

مداخلة: بسم الله، والصلاة والسلام على نبينا محمد وبعد.. نشكر لكـم حضوركم، ونسأل الله أن ينفع بكم وبنا جميعاً إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

أقول أيها الشيخ المبارك إنك تقول: إن هناك نسبة مما أُثر عن ابن أبي حاتم من روايات فيها ضعف، ألا يدعونا ذلك إلى النظر في تلك التفاسير التي تخرج ويشترط فيها الصحة، وأن اشتراط صحة الأسانيد ليست مقبولة على إطلاقهـا عند أهل التفسير، أقصد بذلك أن علم التفسير ليس كعلم الحديث فينبري كل أحد إلى التصحيح والتضعيف، ثم يقرأ الإنسان التفسير فيجده مبتوراً، وأنـك حينما ترى التفاسير التي خرجت الصحيحة أن الإنسان حينما يقرأ في التفسـير يجد أن هناك بترا، وهذا البتر يفقد التفسير رونقه وجماله. جزاك الله خيراً.

د. حكمت : أحسنتم .. لا شك أن الحكم على أسانيد التفسير يختلف عن أسانيد الحديث لأني أسلفت أن أسانيد الحديث تتكــرر كــثيرا؛ لأن نســخا مشهورة تكتب من تلك النسخ مثل نسخة علي بن أبي طلحــة، وأبي عطيــة العوفي، لكن نرى في منهج ابن أبي حاتم حينما يورد الضعيف يردفه بشــواهد تصحح أو تقوي ذلك الضعيف فهو يعالج هذا؛ لأنه يقول : وروي عن فــلان وفلان وفلان به أو مثله أو نحوه، فكأنه يريد التقوية لهذه الرواية الضعيفة، ولهذا قلت للأخ محمد أن الحكم فيه مسائل شائكة وخصوصاً كيف نبرر أنه نسخة!!

أتعلمون من أين عرفنا النسخ ؟ من تفسير الثعلبي – ســبحان الله – لأنــه صرح في كتابه عن هذه النسخ التي أفاد منها، وسماها تفسير مثل: تفسير قتادة، وتفسير عطاء بن أبي رباح، وعطاء بن السائب، وتفسير ســعيد بــن جــبير وغيرهم.

د.حاتم: جزاكم الله خيراً وأحسن إليكم .. اجتماعنا اليوم ابتكار، فــالله خلقنا في أحسن تقويم، وكرمنا على خلقه بأمور كثيرة، وأرسل إلينــا أفضــل الأنبياء وأنزل إلينا خير كتبه، ونسأل الله أن يجعلنا ممن يستمع القــول فيتبــع أحسنه.

سمعنا من شيخنا فوائد كثيرة وجمة، والصحيح لا شك مطلب نفيس لطالب العلم والباحثين عن الحق والحقيقة، ولكن أليس هناك مترلة للأشياء الضعيفة في التفسير للعلماء؟ هل يتصور أنهم كانوا يضيعون وقتهم وخاصة أن كثيرا منهم له حسن ظن عند كثير من أهل العلم، ألا يوجد هناك مغازي كثيرة لمثــل هــذه

الروايات الضعيفة للإتيان بها هذا جانب؟.

والجانب الآخر متى نقدم اللغة على الضعيف من الروايات في التفسير؟

هل اللغة تكون أولى أم الروايات الضعيفة؟

والأمر الثالث: كيف نحتاط من فتح باب التأويل والاستناد بها إلى الروايات الضعيفة، أعني بالتأويل: التأويل الفاسد والبعيد وليس التأويل الصحيح والقريب؟

ومن الأشياء المبتكرة التي أود أن أنصح بها نفسي وإخواني نصحنا الشيخ الرحمة بالطلاب ونجتهد بإتباع الأحسن وفي نقل الأحسن لطلابنا، وإذا ما رأينا هناك خلافاً أن نختار منه الأحسن، أو نوفق بين الأقوال وبالله التوفيق. وصلّ اللهم على سيدنا محمد، ونحسن الظن بالعلماء المخالفين إذا كانوا من أهل السنة والجماعة.

د.حكمت: شكر الله لكم ..

بالنسبة **للسؤال الأول**: للعلماء في الضعيف مناهج، أحيانا يبين أحدهم أنه مرجوح أو يردفه بشاهد صحيح من اللغة أو الأثر، هذا من مناهج العلماء في إيراد الضعيف، كما يصنعه ابن كثير في تفسير القرآن العظيم، والحافظ ابن كثير تأثر بابن أبي حاتم في عنوانه: (تفسير القرآن العظيم) فهو عنوان تفسير ابن أبي حاتم، ولهذا يثني عليه كثيراً، يقول : (قال المحدث العابد الناقد) يصفه بصفات عالية لتأثره به.

السؤال الثاني: هل نقدم اللغة على الرواية الضعيفة؟ نعم، إلا إذا وجدنا

للرواية الضعيفة شاهداً فهذا أولى من تقديم اللغة، أما إذا فقدنا الشاهد فنقــدم اللغة للمتابعة، وخصوصاً إذا كان التفسير اللغوي يعتمد على الشعر الأصــيل، واللغة درجات: الشعر الرصين أعلاها.

يا إخواني إذا أردت الأخذ من اللغة فخذ من أقوال الصحابة؛ لأنهــم مــن أعرق القبائل، ويمكن الأخذ بأقوالهم لمن أراد أن يأخذ من اللغة؛ لأن الــبعض يقول بلسان عربي، نعم، وهؤلاء أساطين البلاغة والبيان رضي الله عنهم.

السؤال الثالث: أولا نتأكد هل هذا التأويل ثبت عن هذا المفســر، فــإذا تأكدنا من ذلك نقارنه مع الأقوال الراجحة، ونقول: إما فاته الرواية الصحيحة عن النبي ﷺ في تفسير الآية، أو أنه تأثر ببعض الروايات من أهل الكتاب، فكثير ينقلون ويتأثرون بروايات أهل الكتاب بشيء من التأويل، فالتأويل يا إخــوان مسألة حساسة، وغالبا ما يعامل المؤول الذي يتفاخر بتأويله مثل معاملــة مــن ينقل منه. فيقولون: هذا مؤول . نعم ، ولكن أستدرك قائلا: هل نعامل الجميع سواء؟

هذه مسألة أرجو الانتباه إليها، هل نعامل مثلاً الــذي يفتخــر ويتبــاهى بتأويلاته ؟ نقول: هذا مؤول، ثم نأتي إلى رجل آخر من المفسرين ينقل عن هذا المؤول، ونقول: إنه مؤول. ونعاملهم سواء؟

أظن أنه لابد أن تختلف المعاملة وليس كما يذكر بعض الإخوة. فلابد من إنصاف العلماء حينما ينقلون بعض التأويلات؛ لأن هذا كما تعلمــون يفســر القرآن كله، أحياناً يعجب بقول فلان، وفي قوله شيء من التأويل، أو يقــول

لتلميذه: خذ تفسير هذه من تفسير فلان وهذه الآية من تفسير فلان، فيفوتــه أحياناً شيء، ولا يعني هذا أننا سنأخذ بهذا القول، لا ما نأخذ به لكن ما ننسبه لهذا الأمر المؤول هكذا وينسف كتابه. (لا أدري معنى هذه الجملة؟)

وأيضاً حينما نريد أن نبين منهجا من مناهج العلماء : أول ما نبدأ بالمزايا، أذكر مرة أني كنت أبين منهج الزمخشري وأثــني عليــه ثنــاء في الإبــداعات والابتكارات التي أتى بها فالبعض ما يتحمل، فأقول له أصبر، ومع هذه المحاسن فإنه إذا جاء الحديث مخالف لبدعته فهو يحاول أن يلوي هذا الحديث أو يحاول أن يضعف هذا الحديث، وهو ثابت في الصحيحين، وأجد أن الطالب ارتــاح، ولكن حينما أبدأ أذكر الملاحظات على المؤلف تنسد نفس السامع، ويقــول: هذا التفسير ما ينفعنا، ولكن نستفيد من المزايا التي كما ذكــرت في الجلســة السابقة، فإذا رأينا فعلاً هذه الملاحظات، علينا أيضاً سلك هذا المنهج البلاغي في الإيجابيات، ونترك التأويلات ونكون أعطينا القرآن حقــه في التحــدي وفي التأويلات وفي هذا الإعجاز وفي تعظيم هذا القرآن.

مداخلة د.محمد: نريد من الشيخ وفقه الله أن يعطينا نبذة مختصرة مفيدة عن مشروع نفع الله به نفعا عظيما، وهو مشروع التفسير الميســر، لأن الشــيخ – حفظه الله– كان من أعضاء اللجنة التي أعدت هذا التفسير وله دراية كبيرة به، ومن الأخبار التي وصلتني البارحة عن طريق الشيخ ابن الشيخ الإمام بكر أبــو زيد أن له تفسيرا، وهذا من توفيقه سنستمع منه الآن.

ونشكر فضيلة الشيخ على هذه الدرر التي أتحفنا بها الليلة، ونشكركم على

جميل إغراءاتكم، ونذكركم أن العشاء سيكون العاشرة، وسنصعد إلى الــدور الخامس ولا مانع أن يكون لنا بعد العشاء شوط ثالث.

ومن باب الإضافة "قضية اللغة والصحابة"، أحياناً قول الصحابي يرد مــن بعض بحجة أن المعروف غير المعنى الذي ذكره، والشيخ نبه على مسألة مهمــة وهو أنه إما يستشهدون ببعض الأقوال لأنا مجهولين ،وهذا صحابي جليل مــن قريش ومن الصحابة المعروفين لاشك أن قوله مقدم على غيره حتى في اللغــة، فينبغي أن يتنبه لهذه القضية وهي من الأهمية بمكان.

بالنسبة لسؤالات د. محمد.

مداخلة: القراءات في الطهارة والمسح على الخفين عند الشيعة بنــاء علــى قراءة بخلاف عند السنة.

د.حكمت: أهل السنة يجمعون بين القراءتين وما دامت القــراءة متــواترة يوجهون المسح هذا على الخفين، وأيضاً يستنبط من الســنة، يجمعــون بــين القراءات، فنأخذ المسح؛ لأنه يشمل السفر والحضر، ويشمل المسح والغســل، فنغسل في وقت الحضر ونمسح في وقت السفر ، فنجمع بين القراءات إن شــاء الله .

بالنسبة للتفسير الميسر الذي كان من فكرة د.عبد الله بــن عبــد المحســن التركي حفظه الله ومتع به خادم العلم جزاه الله خير الجزاء، والذي بنى الجامعة المثالية للجامعات الإسلامية جزاه الله خيراً، فقد كان معنياً بإخراج هذا التفسير عنايةً فائقةً، وكان يراجع بنفسه على كثرة أشغاله، و كنت مديراً للدراســات

القرآنية وتأتيني فاكسات فوراً يراجع وترسل له الأبحاث، ويرسل بها إلى المقومين، أولاً انتخب عشرين أستاذاً من الأساتذة المشاهير داخل المملكة وخارجها، وجمعهم في مؤتمر مجمع الملك فهد لوضع الخطة، ولم أُكلف بشيء من ذلك بل عرضت طريقة أخرى للتفسير ،ويدون جزاه الله خيراً ما أقول فوضعت الخطط، ثم وُزعت الأجزاء على الأساتذة، وبدأوا وحددوا مدة شهرين لكل جزء من القرآن، ومبلغاً مجزيًا حتى ينجز في أقرب موعد، وإذا بالأبحاث تترى على مركز الدراسات القرآنية، وتشكل لجنة من فضيلة الدكتور عبد الله الأمين حفظه الله، والدكتور عبد الله محمد حويه، والدكتور ناصر الفقيه متخصص في العقيدة ورئيس لقسم العقيدة في الجامعة الإسلامية، ومؤلفاته معروفة في هذا المجال لتحري أمور التأويل، وكذلك فضيلة الدكتور أحمد الخراط وهو من رواد اللغة العربية مرجع فيها متع الله به.

أما العبد الفقير فجعلوني مقرراً لهذه اللجنة، وهم من طبقات شيوخي وبعضهم من زملائي أيضاً وكنا نراجع في الصباح ونتناقش في المساء فكانت الجلسات في غاية اللذة، وما نشعر بالتعب مع هذا العمل المبارك، ومع اهتمام معالي الدكتور التركي –حفظه الله– فكان يتابع بنفسه، وحينما رأى العمل ما كان راضياً عليه في البداية، إذ رأى الأقلام متفاوتةً في النقولات، وفي صياغة العبارة وكان يرجونا أن نوحد الصياغة، فهذا يحتاج لجهدٍ حثيث، فكنا نحاول توحيد الصياغة، وكان يأخذه أيضاً إلى لجان أخرى ليصل إلى القول الفيصل والأفضل، وتأتينا بتصحيحات فأبين له، وأحياناً يناقش مناقشات علمية دقيقة

للوصول إلى الحق جزاه الله خيراً.

في الحقيقة: التفسير الميسر يتميز بالتحرير والاختصار، وهو تفسير جملي وبعضهم يقول إجمالي، وهو جملي أفصح.

مداخلة: "بشرى" هنالك مليون نسخة سوف تطبع خلال الشهرين وسوف تنْزل.

د. حكمت: معالي الوزير سمح بالطباعة، لكن قضية المليون ما عرفتها، فهذه بشرى قوية، لأنه في البداية طُبع منه عشرون ألف نسخة، فإذا زاد العدد إلى مليون كان أقوى للبشارة ولا أملك إلا أن أقول: بسم الله ما شاء الله.

د.حكمت: ماذا عن تفسير الشيخ بكر أبو زيد يرحمه الله ؟

د.حكمت: الشيخ بكر أبو زيد بالفعل هو ممن راجع هذا التفسير الميسر، وبالفعل هو فسر القرآن، وطلب مني مراجعة هذا التفسير، وفي هذه الفترة كنت أكتب التفسير الذي ذكرته لكم، فاعتذرت عن المراجعة، لأني خشيت أن يكون هناك تداخل بين هذا وهذا، وإلا كان من الواجب المراجعة لكني اعتذرت وأحلت لمن هو أعلم مني وذكرت بالأسماء الشيخ عبد الله الأمين الشنقيطي أعلم مني في التفسير فأرشدته إليه، فالدين النصيحة، وهذا عنده ورعٌ وزهدٌ، ما يغامر مع كلام الله عز وجل، جربناه حينما كان عميداً في كلية القرآن، ففضيلة الأستاذ الدكتور عبد الله بن محمد الأمين الشنقيطي أبوه صاحب أضواء البيان عنده ورع وزهد عجيب، فمثل هذا ما يغامر، ما يتجرأ، فهو جدير بالمراجعة.

مداخلة د.حسن: قد حزنت وقلت: ختامها مسك، أسعدك الله وشفى

صدرك.

أولاً: نشكر هذه الجمعية المباركة التي يسرت لنا اللقاء بفضيلتكم، ونسأل الله أن يكتب لكم الأجر ولهم، وأعترف عن نفسي بالذات أنه يـأتيني نشـاط عندما أجلس مع رجل كبير في السن وقور، ثم تجده في روحـه وفي بحثـه وفي علمه شاباً مازال يبحث ويؤلف ويكتب، بينما نحن ما إن انتهينا من شـهادة الدكتوراه فترت الهمم وتأتي السنة والسنتان وما كتبنا شيئا ولا بحثنـا، فلمـا نجلس مع أمثالكم يا شيخ يأتينا من النشاط والهمة ما يدفنا للبحث والتـأليف، فلا تبخلوا إذا طُلبتم في أي مكان فهذا يحفز أمثالنا من الكسالى وأتكلـم عـن نفسي بالذات، فأنا والحمد لله أتاني حماس البارحة، واليوم الأمر يتصل، جزاك الله خيراً.

سؤالان أخيران: كثر ذكر الابتكار، هناك من يعترض على أن لفظ ابتكار، قد يكون اكتشاف؛ لأن الاكتشاف شيء ثمين مدفون في التراب، فهذه المسائل أو القواعد التي تستخرج من كتاب قديم هو عبارة عن اكتشاف أشياء كانـت موجودة، أما الابتكار يكون إخراج شيء غير مسبوق إليه، وهذا الأمر وجدته وأستشيركم فيه أيضاً فقد يكون لكم فيه وجهة نظر أخرى.

الأمر الثاني: ذكرتم أنكم أحصيتم أكثر من ستة آلاف تفسير. فهـل مـن توضيح لماهية هذا الإحصاء؟.

د.حكمت: الأخوة في المجمع أحصوا وأنا وضعت الخطة ونفذوها، جزاهم الله خيراً.

د. حسن: هل يوجد شيء من الدراسات على طريقة كتاب الذهبي المشهور بحيث يذكر مثلاً ماهو أفضل تفسير في القرن الثاني الثالث الرابع، ثم أفضل تفسير في القرن الثاني والثالث على الطريقة الفقهية أو الأسلوب اللغوي أو المأثور بحيث يكون فيه تفضيلات، كما في السنة مثلا أصبح صحيح البخاري هو أفضل ما في هذا الباب،ثم مسلم وهكذا، ومثلها في التفسير.

هل هناك شيء يرشدنا غير المقولات التي وجدها لابن تيمية وغيره من اختياراته في التفسير وتفضيل بعضها على بعض؟ وشكراً لكم.

د. حكمت: أحسنت وبارك الله فيك .

أولاً: بالنسبة للسؤال الأول هو سؤال وجيه، واعلموا أن الابتكارات درجات منها الاكتشاف، فهو ابتكار نسبي، لكن نحن نريد أن نجدد التخطيط في البحث العلمي، فنطلق مصطلح "الابتكار"، لأن الابتكار مطلوب في البحث العلمي وخصوصاً في الدكتوراه وفي الترقيات العلمية إن شاء الله .

أما بالنسبة للنشاط في سماع الكلام أنا حاولت أن أجذب الأسماع حتى نتابع، لأننا سنطالب الإخوة ماذا أنجزتم وماذا قطفتم من الثمار؟ وماذا تشتهي مما تقدم ؟ بإذن الله تعالى حتى تستمر هذه الفوائد العلمية، وحتى نخرج بنتائج مبتكرة بإذن الله تعالى.

والحافظ ابن حجر أيضاً سمى كتابه: "الفوائد المبتكرة في زوائد المسانيد العشرة"، فنحن حينما نأتي بزيادة فهو ابتكار، وهذا منهج أمير المؤمنين في الحديث، فهل نحن أفضل من أمير المؤمنين في الحديث!!

لا، نحن نقيس على أمير المؤمنين في الحديث. بارك الله فيكم ،فأرجوا قبول هذه العبارة – بإذن الله تعالى–، وحتى لو فيها مبالغة فنحن نريد هـذا الأمـر لاستنهاض الهمم، الفوائد المبتكرة في زوائد المسانيد العشرة، فهذه التي نقوم بها كلها عبارة عن زيادات أو اكتشافات وتبقى هي درجات الابتكارات.

والابتكار الراقي: هو أن تأتي بشيء جديد من أوله إلى آخره، وأنا أعتـبر التنظير والتقعيد هو من أعلى درجات الابتكار ومن هندسة الـتفكير، كمـا أسلفت أن هندسة التفكير تبدأ بالاستقراء وتنتهي بالتنظير، وجدت هذا مـن أصعب الأمور .. كيف تُنظّر؟

فهو من الموضوعات الصعبة في الحقيقة حينما أريد أن أتكلم عنها، فالتنظير نفسه يحتاج إلى جمع للجزئيات والاستقراءات المتنوعـة، فـأظن أنـه يمكـن الاستدلال بفعل الحافظ ابن حجر في كتابه: الفوائد المبتكرة في زوائد المسـانيد العشرة ، وأنا متأثر جداً بالحافظ ابن حجر، وبالإمام السيوطي مـن الناحيـة الموسوعية، وخصوصاً حينما جاءتنا الشبكة العنكبوتية التي تحتوي على أكثر من عشرين مليار صحيفة.

د. حكمت: شكراً جزيلاً على هذا التفاعل والتفاهم وحسن الاسـتماع، وهذه الأسئلة المفيدة التي تدل على الاهتمام.

قصة رسالة (الإجماع في التفسير)

د. محمد الخضيري

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم :

فكرة المشروع :

عرض سيرة رسالة من الرسائل العلمية التي كتبت في الجامعات ، إما رسالة ماجستير أو رسالة دكتوراه ، وكان لها تميز وأهمية في موضوعها، فيختار الموضوع وتختار الرسالة ، ثم يستضاف كاتب الرسالة المعدّ لها ، ليطرح قصته مع هذه الرسالة ، لأجل الإفادة منها من عدة أمور: من حيث ولادة الموضوع، ثم قصة كتابته ، ثم يطرح بعد ذلك أبرز النتائج التي توصل لها في بحثه .

وقد استفدنا ولله الحمد من الرسائل السابقة أموراً مهمة ، أظن أن الحاضرين يشاركوني هذا الأمر، ويوافقوني في أهمية طرح هذا الموضوع؛ فقد لقي ولله الحمد قبولاً ، حتى إن بعض الذين تابعوا قالوا : لو تحوّل فكرة هذا الموضوع إلى برنامج إعلامي ؛ لأن الكثير من الرسائل يبذل فيها جهد كبير ويتوصل فيها إلى معلومات كثيرة ، لكنها مع الأسف !! لا تلقى الحظ الذي يناسبها من التعريف والإعلام ، فتبقى إما حبيسة الأدراج في الجامعات ، أو أحياناً تطبع بأعداد قليلة، ولا تشتهر؛ بسبب عدم التعريف بها ، بما يناسب أهمية موضوعها .

فمن هذا المنطلق أحببنا أن يكون هذا المشروع ، وكما ذكـــرت ســـابقاً طُرحت ثلاثة موضوعات سابقة[١] ، وهذا هو الموضوع الرابع الذي نستمع إلى قصته هذه الليلة .

لا أريد أن أطيل عليكم ، لكن أرحب بكم مرة أخرى ، وأرحب بفضيلة الشيخ محمد ، وندع المجال له ، ونلفت انتباهكم إلى أن من أهدافنا في عـــرض قصص الرسائل ليس مجرد الطرح من جهة واحدة، بل نحب أن نســـتمع مـــن الحاضرين آراءهم **وما** يرونه مناسباً؛ لإثراء مثل هذه الموضوعات في المستقبل ، إضافة إلى أفكار أخرى نرجو – إن شاء الله – أن تحيي أو أن تساهم في إحياء مثل هذه المجالس العلمية، التي يلتقي فيها أهل العلم ، ويتناقشون موضـــوعات تهمهم وتهم المسلمين عموماً، لما لها من الأثر الكبير على الساحة العلمية .

وعليه؛ فسوف ندع لكم – إن شاء الله – مجالاً بعد انتهاء الـــدكتور مـــن عرض رسالته ؛ لطرح ما عندكم ، نسأل الله – جل وعـــلا – أن يبـــارك في الجهود وأن يرزقنا جميعاً الإخلاص والسداد ، ونترك المجال مع فضيلة الضيف، فليتفضل مشكوراً – وفقه الله تعالى– .

قصـــة الرسالة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه

(١) ما سبق في هذه الورقات موضوعان، لا ثلاثة، قواعد الترجيح للحربي، وابن أبي حاتم لحكمت بشير.

.. أما بعد ،

فلا أكتمكم جميعاً سروري واغتباطي بحضوري هذه الليلة بين ثلة من أساتذتي وزملائي ، وأسأل الله – سبحانه وتعالى – بمنه وكرمه أن يجعله اجتماعاً مباركاً علينا جميعاً ، وباسمكم جميعاً أتقدم بالشكر للجمعية السعودية للقرآن وعلومه ، وأتقدم أيضاً للشيخ الفاضل الدكتور أبي مجاهد على إتاحة الفرصة للقاء بأشياخي وزملائي في هذه الليلة المباركة ، وفي هذه المنطقة الطيبة.

وأقول : لو أردت أن أسترسل في القصص ، لجعلت الليلة كلها قصصا ، لكن سأذكر من القصة ما هو محل الشاهد ، ثم ننتقل إلى موضوع الرسالة ، وأهم النتائج التي خلصت إليها من هذه الرسالة ، التي أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها ويبارك فيها .

وقبل أن أدخل إلى الموضوع ، ما ذكره الدكتور جزاه الله خيراً من أن كثيراً من رسائل الماجستير والدكتوراه ، بقيت حبيسة الأدراج ، مع أنه بذل فيها جهود كبيرة ، وأشرف عليها أهل علم كبار ، هذا الأمر جعلني أفكر ملياً في اتقائه قبل أن أبدأ بالرسالة ، فكنت أقول كيف أبحث موضوعاً لا يبقى حبيس الدرج ؟ ، ووفقني الله تعالى لهذا الموضوع ، ثم في رسالة الدكتوراه أخذت موضوعاً علمت أنه سيكون حبيس الدرج ، فاستعنت على إخراجه من درجه بالدعاء ، قلت : "اللهم إنه جهد ، وإني أسألك أن ينتفع به المسلمون ؛ فسخر الله – عز وجل – الدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري ، ومعه الدكتور تركي بن سهو العتيبي ، والمجموعة الذين كانوا معهم ، فطبعوا الكتاب الذي هو

البسيط للواحدي في أربع وعشرين مجلداً ، وطبعته جامعة الإمام.

وبالنسبة لموضوع: "الإجماع في التفسير" ، فحينما كنت في الثاني أو الثالث متوسط نزلت ضيفاً على أحد زملائي ، وكان موظفاً في إحدى القطاعات ، فكان قد مرّ على معرض من معارض الكتاب واشترى كتاباً اسمه: (موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي) ، كان يقع ذلك الوقت في مجلدين، والآن صار في ثلاثة مجلدات لسعدي أبو جيب - رحمه الله -، وهذا الكتاب جمع فيه مؤلفه الإجماعات في الأحكام الشرعية من كتب الفقه ، فجاء الأخ بالكتاب بين يديه ، وكنّا مجموعة من الزملاء الصغار ، فقال : أنا والله يا جماعة اشتريت هذا الكتاب ولا أعرف كيف أستفيد منه؟ ففتحت الكتاب وقلت له: يا أخي هذا الكتاب يتكلم عن كذا ، ومهمته كذا ، ويفيد في كذا ، - وأنا كنت ذلك الوقت في ثالث متوسط - فقال لي : مادام أنك عرفت مهمة الكتاب فهو لك هدية ، فأخذت الكتاب مسروراً فرحاً به ، وذهبت به إلى البيت ، وصرت أطالعه بين الفينة والأخرى دون أن أقرأه قراءة متأنية مرتبة ، ولكن كنت أتسلى بقراءة بعض مسائل الإجماع التي نقلها المؤلف - رحمه الله - من كتب الفقه المعتمدة ، (المغني، والإنصاف، والأم، والمدونة وغيرها من كتب الفقه في مختلف المذاهب الإسلامية المعروفة..) .

انتهت القصة عند هذا الحد !!، وليس لها أي آثار على شخصيتي أو نفسيتي أو علمي أو تعلمي أو قراءاتي أو نحو ذلك ، لكن سبحان الله !، أحياناً قد يحدث للإنسان حدثٌ معين تكون له تبعات فيما يتبقى من عمره أو عمله ؛ فأنا

درست في كلية الشريعة ، والدارسون في كلية الشريعة تكون تخصصاتهم فقه أو أصول فقه ، فلما تخرجت من كلية الشريعة ، عيّنت معيداً فيها ، وكنا ثلاثة ، - أنا واثنين من زملائي -، ولابد أن نقسَم على تخصصات الكلية ، فقه ، وأصول فقه، والثقافة الإسلامية الموجودة في كلية الشريعة - بالرياض فقط ، ما أظنها كانت موجودة في كلية الشريعة في أبها - ، فكان لابد من قسمتنا على هذه الأقسام الثلاثة ، وجاء قرار الجامعة بتعييني معيداً بقسم الفقه الذي كان غايتي وهدفي المنشود ، فلما جئنا عند العميد قال : أنتم بالخيار ، إن شئتم عملنا بقرار الجامعة ، وإن شئتم بالقرعة ، وإن شئتم بالدرجات ، وبما أن القرار لي فيه حظ ، آثرت السكوت إيثاراً لزملائي ، فقال أحد الزملاء : بل بالدرجات ، وأنا - والله ما أكتمكم - ، ما كنت أعرف درجاتي ، ولا كنت في العادة أطالعها ، كل ما في الأمر نخرج من مستوى لمستوى حتى نتخرج ، ولا أرى الدرجات ، إلا نادراً ، فقال العميد الدكتور سعود الفنيسان - حفظه الله- وكان من مشايخنا : إذا كان بالدرجات ، فأعلاكم في الفقه فلان ، وأعلاكم في الأصول فلان ، وأعلاكم في الثقافة فلان ، الذي بيننا درجة ، أو درجتين ، المهم صار الحكم هو الدرجات ، فلما قال أعلاكم في الثقافة فلان — وهو محدثكم - ، عزمت في نفسي أن لا أدخل كلية الشريعة بعد تلك الساعة ، وكنت قد قطعت الفصل الأول من الدراسات العليا فيها ، وخرجت من كلية الشريعة ، ولم أعد إليها إلى اليوم ، الزملاء استغربوا ، استفسروا ما القصة ؟ ، ما الذي حدث؟ ، لماذا فلان لم يرجع؟ !!.

علم الدكتور سعود بالأمر فقال : قولوا له: يرجع ويدخل في القسم الذي يريد ، قلت: أنا قد خرجت ولن أعود .

لقد قنعت نفسي من كلية الشريعة، ومن جامعة الإمام التي كنت أتمنى أن أكون معيداً فيها ، فخرجت من نفسي في دقيقة واحدة ، وسبحان الله لم أعد إليها بعد!! ، بعد ذلك بقيت حبيس البيت شهرين كاملين ، - ما ذكرت كلية الشريعة إلا لصلتها بالرسالة ، حتى تفهموا ما الرابط بين الإجماع وكلية الشريعة - ، بعد ذلك جاءني أحد زملائي الذين كانوا معي في الدراسة من الأولى المتوسطة ، قال لي : يا فلان كلية المعلمين متميزة، إنها تخرج المعلمين وتفيد الناس ومستواها طيب وهي بحاجة لجهودك ولأمثالك ، وكان ذلك في عام ١٤٠٨هـ ، وكنت تخرجت قبلها بعام أي عام ١٤٠٧هـ ؛ فذهبت وقدمت أوراقي على أساس أن أكون معيداً في قسم الدراسات الإسلامية ، قسم الفقه أو فروع الفقه ؛ لأن ميولي كانت فقهية وليس في التفسير ولا في الحديث ولا في العقيدة ، فلما جئت إلى قسم الدراسات الإسلامية ، قالوا لي : والله لا مجال للإعادة عندنا ، ولما أردت أن أخرج من القسم ، قال لي رئيس القسم: زملاءنا في قسم الدراسات القرآنية ليس عندهم معيد ، ويبحثون عن معيدين، فما رأيك تذهب إليهم ، قلت : لا ، إذا لم يكن قسم الفقه فلا حاجة لي بغيره، لكني لما خرجت ندمت ! ؛ لأني عودت نفسي أن لا أقرر قرارا إلا باستخارة، فذهبت إلى مسجد الكلية ، وصليت فيه ركعتين ، واستخرت الله من أجل أن لا أندم فقط ، وإلا فليس لدي أي قناعة بأن أذهب إلى قسم الدراسات

القرآنية، فلما رجعت قالت لي نفسي : لم لا تقدم أوراقك ، والخيار بيـــدك ، أنت ملك القرار ، فدخلت فوجدت الدكتور فهد الرومي وهو من تعرفونـــه ، فقلت له : أنا سمعت أنكم بحاجة إلى معيدين ، فهلا سمحت لي أن أقدّم أوراقي، قال لي : خير إن شاء الله ، نحن نرد لك بعد أسبوع ، -كأنها خِطْبَة [1]-، وبعد أسبوع اتصل بي وقال لي: تفضل للمقابلة ، قابلوني فلما قبلوني صـــار عنـــدي إشكال ، الآن أُقدِم أم أُحجِم ؟ ، فاتصلت بأحد مشايخي الذين كان لهم أثر في تربيتي والتزامي ، اتصلت به وقلت له: أنا قدمت على قسم الدراسات القرآنية ، والآن سيتغير تخصصي تماماً !! ، فبم تشير علي؟ ، فقال كلمة لازلت إلى اليوم كأني أسمعها ، وأرى حتى المكان الذي حدثني وأنا فيه ، قال لي: يا محمـــد لا تعدل بالعيش مع القرآن شيئاً ..! ، والله كأنها - سبحان الله - قطعـــة مـــن الحكمة ، ولا أدري كيف وفّق في تلك الساعة لأن يصوغ هذه العبارة ، فقـــد كان من المفترض أن يقول مثلاً : والله قسم حلو ويصلح لك ، لا تفرط فيه ، وما شابه ذلك من العبارات الدارجة ، لكنه قال : لا تعدل بالعيش مع القـــرآن شيئاً ، هذه الكلمة - سبحان الله - صار لها أثر كبير جداً في نفسي!!، بالفعل قبلتُ القسم ، وغيّرتُ التخصص ، ذهبت إلى كلية أصول الـــدين ، وبـــدأت الدراسة في الدراسات العليا في قسم القرآن وعلومه ، بعدما تخرجنا من الســـنة التمهيدية ، وكان من زملائي فيها الدكتور مساعد الطيـــار ، وهـــو زميلـــي

---

(١) يقصد الشيخ أن المسألة لا تحتاج هذا الوقت الطويل للبت فيها.

-أيضاً - في كلية المعلمين ، و الدكتور عبد الرحمن الدهش ، أحد كبار طلاب الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - ، وغيرهم من الفضلاء .

بعدها جاءت المهمة الصعبة ، وهي اختيار الموضوع ، وكنت أتمنى أن أختار موضوعاً ينفعني وينتفع به من بعدي ، فوقع اختياري أنا والدكتور مساعد الطيار ، والدكتور محمد بن فوزان العمر ، على جمع تفسير ابن القيم ، فجئت زيارة لزميلي في الدراسات العليا في كلية الشريعة ، الدكتور عبد الرحمن فايع ، فقلت له : أنا أريد أن أزور الدكتور قاسم القثعمي ، قال: و لم؟ ، قلت: لأستشيره في جمع تفسير ابن القيم ، وفعلاً ذهبنا إلى الدكتور قاسم في بيته ، وضيّفنا جزاه الله عنا كل خير ، وسألته هذا السؤال بحكم أن رسالته في الماجستير كانت عن ابن القيم آثاره وتفسيره ، فأشار علينا بقوة ، وحثّنا على اختيار هذا الموضوع والقيام به ، وبالفعل اتفقنا وبدأنا نجمع هذا الموضوع حتى عرفنا أن الموضوع يستحق أن تكون فيه رسائل ، وأن يجتمع عليه مجموعة من الطلاب فقدّمنا المشروع للجامعة ولكن -كما تعلمون - في الجامعة لا يوجد في ذلك الوقت - حسب علمي - تعاون مع الطلاب في اختيار الموضوع، وإرشاد الطلاب حتى يصلوا الى نتيجة جيدة في هذا الموضوع، يجلس الموضوع في القسم ، ثم يعرض على مجلس القسم ، ثم يُردّ لسبب أحياناً لا يُقال لك أو لا تعلمه ، أو قد يقال لك ولكن لا تُعطى الفرصة لكي تستدرك وتُناقش وتُدافع .

قيل لنا : اجمعوا تفسير ابن القيم ثم قدّموه .

قلنا: الجمع يحتاج إلى سنتين عمل لكي نجمع بأسلوب علمي صحيح،

ونضع قواعد لما يدخل في التفسير وما لا يدخل ، وكي نجرد خمسا وأربعين أو خمسين مجلداً من كتب ابن القيم المطبوعة في ذلك الوقت ، نحتـــاج إلى وقـــت وجهد كبيرين لا نملكهما .

فقلنا : نحن نحتاج منكم رد الآن ، ولا نقول وافقوا على الموضوع موافقـــة نهائية ، وإنما على الأقل أعطونا ضوءً أخضر ، وقولوا لنا: الموضوع مقبول ، أو مرفوض ، أما مقولة: اجمعوا وبعد ذلك نقسمه بينكم وينتهي الأمر . فلا تغـــني عنا شيئا

قالوا : لا ، لا يمكن أن نعطيكم كلمة في هذا الباب حتى تجمعوا الموضوع وتأتوا به ، ثم نقول لكم يصلح أو لا يصلح ، يقسم على اثنين أو ثلاثة ، قـــد يخرج واحد منكم ، وقد يكون لواحد منكم ، وقد يدخل معكم فيه غيركم .

فلما سمعنا هذا الرد أصبنا بإحباط كبير جداً ، وعلى العموم فإن المشـــروع كان مهما جداً ومفيدا ، وإلى اليوم – بالمناسبة – لم يدرس هـــذا الموضـــوع دراسةً أكاديميةً علميةً ، بينما جمع من قبل كما تعلمون بجهود أفراد ، الشـــيخ الصالحي والأخ محمد يسري ، جهود هي تعد فردية ، ولا نقلل من هذه الجهود فهي جهود مباركة لكن يبقى أن الجهد الجامعي الأكـــاديمي ، الـــذي يأخـــذ سنوات طويلة ، يكون تحت نظام معين ، ويكون فيه أيضاً تأصيل ودراسة ، قد يكون أكثر دقة وفائدة في الموضوع .

انتهى الموضوع ، وسجل زملائي موضوعاتهم ، الدكتور مساعد كان عن الوقف أو عن علامات الوقف في مصحف مجمع الملك فهد وأثرها في التفسير ،

والدكتور محمد العمر كان في السهيلي وآثاره في علوم القرآن أو نحوه ، وبقيت من بعدهم قرابة السنة والنصف ما استطعت أن أجد موضوعاً ، وأنا أريد موضوعاً أشعر أنه يستحق أني أفني فيه سنة أو أكثر من سني من عمري، فكنت مهموماً وأفكر باستمرار وأسأل الغادي والرائح وطلاب العلم الذين سجلوا رسائل سابقة ، وكانت ترد موضوعات كثيرة ، لكن مع الأسف موضوعات مستهلكة أو ليست مفيدة ، أو لا أرجو فيما بعد أنها ستكون ذات أثر من الناحية العلمية أو من الناحية الأكاديمية على زملائي والمتخصصين في هذا القسم.

في يوم من الأيام ، – وسبحان الله أقول أثر الدعاء مهم جداً يا إخواني –، كنت أسأل الله بصدق أن يبلغني موضوعاً مهماً ، كنت معتمراً ، فبينما أنا أمشي متجها للكعبة للطواف، من غير مقدمات ومن غير أي اعتبارات أخرى ، أو حديث سابق أو تفكير في هذا الجانب ، سقط هذا الموضوع على قلبي ، بطريقة – سبحان الله – تعجبت منها ، فأنا أسميه إلهاما ، الإجماع في التفسير ، حتى أذكر أني طفت تلك الطوفة وأنا أفكر في هذا الموضوع من شدة فرحي به، واستغرابي لقربه وبعده ؛ قربه لأنه يتصل بأصل من أصول الدين وهو الإجماع ، وبعده أنه ما أحد فكّر فيه من قبل ، أو أرشدني إليه ، أو تحدث عن شيء قريب منه ، ولذلك أنا سميت هذه الفكرة ، فكرة: الإجماع في التفسير.

بدأت أفكر في الموضوع بجدية ، واتصلت بزملائي ، كان منهم الشيخ مساعد الطيار ومحمد فوزان العمر، وبعض الزملاء ، استشرتهم في الموضوع،

فكلهم أيّدوا بحث هذا الموضوع ، ثم اتصلت بمشايخي الكبار أمثال : الدكتور مصطفى مسلم ، والدكتور سعود الفنيسان ، والدكتور عبد الرحمن المحمود الذي درست على يديه العقيدة في الجامعة ، ذهبت إليه في بيته ، فقلت له يا شيخ: أنا وجدت موضوعاً أريد أن أقدمه في رسالة ماجستير ، قال: ما هو ؟ ، قلت: الإجماع في التفسير ، فأطرق ثم قال لي : سبحان الله !، هذا الموضوع ما أحد بحثه قبل؟ ، قلت: لم أسمع بذلك ، قال: هذا الموضوع القريب البعيد ، هذا قريب؛ لأنه يتصل بأصل ، يعني لو تقول مثلاً تفسير القرآن بالقرآن ، موضوع قريب إذا كان ما أحد بحث هذا الموضوع ، غريب جداً أنه ما أحد بحث هذا الموضوع ؛ لأنه ينبغي أن يبحث تفسير القرآن بالسنة ، تفسير القرآن بالإجماع ، أو الإجماع والتفسير ، فقال: قبلك واحد جاءني في قسم الدعوة فطرح علي موضوعاً يشبه موضوعك من حيث القرب والبعد ، قربه من الحقيقة ، وبعده عن الأذهان ، قلت: ما هو يا شيخ؟ قال: أثر الفتوى في الدعوة ، الفتوى مؤثرة في الدعوة ، وأثرها كبير جداً لمن يعلم ذلك ، ثم قال : انظر على قرب هذا الموضوع ما أحد فكّر فيه ، وهذا الطالب يقول: إنه اهتدى إليه. فقلت له : أسرع أسرع قبل أن يؤخذ من أحد غيرك ، وأنا أقول لك : أسرع أسرع ، هذا الموضوع جداً رائع ، وقد وفّقت فيه ، فاحمد الله سبحانه وتعالى على هدايته .

صناعة اللوبي : (يبين معناها).

استفدت من مشروع ابن القيم ، فقد كان من أهم أسباب فشل ذلك

المشروع أننا لم نكوّن لوبيا لإقناع بعض المؤثرين في القسم ؛ لكي يكونوا لنـــا سنداً ، ويدافعون عن المشروع، فاستفدت من هذه التجربة ، فهذه المرة بدأت أزور وصرت من زوار الليل لمشايخنا أعضاء القسم ، بدأت أزورهم في البيـــت وأخبرهم بالموضوع وأشرح لهم الموضوع ، فيستوضِحون ماهيته ويسألون عنه بعض الأسئلة ، وكنت كتبت مقدمة في الموضوع ، لملمته فيهـــا، وجَمَعَـــت أطرافه، فكانوا يقتنعون به ، فلما أقنعت أربعة أو خمسة مـــن ذوي النفـــوذ في القسم، والذين يعدون من الأشياخ الكبار ذوي الكلمة المسموعة ، والذين إذا قالوا شيئاً سكت البقية ، كان هذا بفضل الله - عز وجل - سبباً لمرور هـــذا المشروع بسلام .

ولذلك فإني أنصح الباحث قبل أن يقدم موضوعاً أن يصنع لوبياً من أجله ؛ لأن كثيراً من الإخوة مع الأسف في مجالس الأقسام - وهذا رأيناه بأنفســـنا - تطرح الأوراق لأول مرة عليهم ، فيقول: هذا الموضوع أظنه قد بحث ، وهذه الكلمة تسكت البقية ، ثم يقال: رُدّ الموضوع؛ لأنه تبيّن أنه مبحوث ، ولو جيء بالرجل الذي قدّم الموضوع ، وسُئِل هل بحث هذا الموضوع ؟ ، لقال: نعـــم ، بحث في جامعة الأزهر - مثلاً -. ثم يعقب قائلا: لكن موضوعي يتصل بكذا ، وبحثه في جامعة كذا يتعلق بأمر آخر ، وموضوعي يتميز بكذا ، أو له خصائص معينة ، فيستطيع من خلال هذا التوضيح — لو تسنى له - إقناع أصحاب القرار بالموافقة على الموضوع .

وعموماً، وفّق الله - سبحانه وتعالى - ، وقُبِل المشروع .

قصتي مع الشيخ : فيصل البعداني :

بعد أن قُبِلَ المشروع بثمانية أشهر ، ما شعرت إلا وأخي الشيخ فيصل البعداني ، وهو رجل من طلاب العلم والدعاة ، وزميل في الدراسة قريب، درسنا سوياً في المعهد العلمي ، وفي كلية الشريعة ، لكنه متأخر عني بسنة ، طرق علي الباب للزيارة ، وجلس معي ، قال لي: أنا أبحث عن موضوع ماجستير وقد وجدت موضوعاً ، قلت: بشر، ما هو؟ قال: إجماعات المفسرين ، قلت له: يا أخي شكلك تنكت !، قال لي: لماذا ؟ ، قلت : الموضوع موضوعي، وقد سجلته وانتهيت منه. قال لي: أسألك بالله هل الأمر كما تقول؟ ، قلت: هو والله كما أقول لك ، لكن أنت ما تعلم عن موضوعي؟ !، قال: أقسم لك بالله أني لا أعلم شيئا ، قلت: من أين جاءك الموضوع ؟ قال: والله كنت الأسبوع الماضي معتمرا ، وأنا في الحرم فكرت .

"أظن أنكم بالفعل ستستغربون وتقولون هذه من روايات بني إسرائيل ، صدّقوا أو كذّبوا والله هذا هو الذي وقع" ، قلت: أسألك بالله، هذا الموضوع ما جاءك من أحد ؟ ، زملاء كلموك ، أو تكلموا في موضوعات قُبلت قريباً ، أو أحد تحدث لك ، قال: أقسم لك بالله أني كنت أفكر في موضوع وكنت في الحرم ، فجاء موضوع الإجماع وبدأت أديره ، حتى قلت: الإجماع عند المفسرين ، فخططت كي أبدأ هذا المشروع ، وجئت والله أستشيرك .

وكان قد عزم أن يستشيرني ويستشير الشيخ مساعد ؛ لأننا زملاء ، وقريبين من بعض ، وهو درس الدراسات العليا بعدنا بسنة ، فكان بيننا نوع من الالتقاء

الدائم والمستمر ، وبيننا صداقة ، فجاء يستشيرنا أول شـــيء ، فقلـــت: إذن الموضوع قد سُجِّل، وبنفس الطريق الذي وصل إليك الموضـــوع ، وصـــل إليَّ أيضاً ، فاستحلفني وحلفت له بالله أني ما ألهمت هذا الموضـــوع إلا وأنـــا في الحرم.

وهذه من عجائب ما نسميه بالتخاطر ، لكنه تخاطر متأخر ، بعيد زمانـــاً ، بيني وبينه ما يقارب ثمانية أشهر ، بعد ذلك بدأت بمشروع الإجماع ؛ لكـــن مشكلته أني ما وجدت أحدا بحث الإجماع بصورة غير أصولية ؛ أمـــا كونـــه مبحثا في علم الأصول، أي أنه باب من أبواب الأصول ، فهذا قد بُحث كثيراً ، وفيه رسائل دكتوراه وماجستير ، وجدت في مصر وحدها ثلاثـــة بحـــوث ، بعضها ماجستير وبعضها دكتوراه ، فضلاً عن غيرها مـــن الدراســـات غـــير الأكاديمية ، لكن بحث مسائل الإجماع من حيث الحكم عليها بالصـــحة مـــن عدمه ، لم أعلم أنّ أحداً قام بهذا قبلي، في حدود علمي ، ولذلك كيف أبـــدأ المشروع ، وكيف أحكم على إجماع بأنه صحيح أو غير صحيح ، هذه بقيت مشكلة كبيرة جداً عندي ، وبقيتُ أبحث عن واحد فقط صنع مثل هذا ، فلم أجد أحداً .

أعني: أني لو أردت أن أحقق حديثاً وأحكم على إسناده لوجدت كتبـــاً بالمئات، إن لم يكن بالآلاف ، أما إجماع تحكم عليه بأنه صحيح أو ضـــعيف ، مقبول أو مردود ، فلم أجد أحداً تكلم عن ذلك أو سبقني إليه ، فحيرتني هذه المشكلة كثيراً ، فبقيت فترة طويلة وأنا لا أدري كيف أبدأ في هذا الأمر ، ولا

أكتمكم أني لما جئت إلى أول إجماع في قول الله تعالى : (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) (الفاتحة:٧)، حكى ابن أبي حاتم الإجماع فقال : اتفق المفسرون أو أجمع المفسرون على أن المراد بالمغضوب عليهم: اليهود، والضالين: النصارى. أهـ.

كيف أدرس هذا الإجماع وأثبت أنه صحيح ، أو أنه مقبول أو مردود ، كتبتُ فيها خمسةً وعشرين صفحة ، فمثلاً أقول: أما ابن جرير فقد قال كذا ، ثم أحلل عبارته، حتى أصل إلى أنه وافق الإجماع ، أو لم يوافق، أما ابن كثير ، أما فلان فقال كذا، وآخذ المفسرين من أول مفسر في الدنيا ، فوضعت كتب التفسير المجلد الأول لكل مفسر من أوّل المكتبة إلى آخرها ، آخذها واحداً واحداً ، وأجلس مع الواحد قرابة يوم كامل ، أحلل العبارة وأدرسها، وأقرأ هل توافق أو تخالف ؟، فقلت في نفسي : إذا كان هذا في أوّل إجماع، إذن فكيف سأصل إلى النهاية !.

وكنت دوماً أسأل الله سبحانه وتعالى أن يهديني لأقوم السبل في دراسة هذه الإجماعات حتى وصلت إلى الطريقة التي بين أيديكم ، أو رأيتموها في الكتاب ، وسأشرحها .

وللعلم، كنت سآتي بنسخ للكتاب ، لكن لم يكن عندي إلا نسخ قليلة ، فسألت الشيخ وقت الظهر ، كم عدد الحاضرين؟ ، قال: بين خمسة وعشرين إلى خمسة وثلاثين ، فلما رأيت أن النسخ التي عندي أقل ، فقلت: إذن ما يمكن أن أحضر نسخا أقل ، فيبقى بعض الزملاء بلا شيء ، لكن من لم يكن عنده

الكتاب ، له عهد علي أن أرسله له ، ومن كان عنده فيعفيني .

لمـــاذا الإجماع في التفسير ؟

أوّل مهمة قمت بها ، وهذه سأذكرها بعد قليل ، أني بدأت بجرد الكتـــب المختارة ، والسؤال كيف اخترت الكتب ؟ ((كيـــف اهتـــديت للطريقـــة ؟ باستشارة أو ماذا؟)) ، لا لا، لم يكن باستشارة ، ولكن بالتجربة ، حاولت أني أصنع طريقة ثم طريقة ، إلى أن وصلت إلى الطريقة المعهودة.

وبفضل الله – عز وجل – بعد ما سجَّلتُ رسالتي ، سُجّلت رسائل في كل الفنون تقريباً في الإجماع ، الإجماعات عند الفقهاء سجِّلت في جامعـــة الملـــك سعود ، وأخذوا إجماعات الفقهاء من أوّل الفقه إلى آخره ، الإجماعات في علوم القرآن ، الإجماع في القـــراءات ، الإجماعـــات في اللغـــة ، الإجماعـــات في الأصول،– وأظن الكتاب الآن نزل في معرض الكتاب –، إجماعات الأصوليين، الإجماعات في العقيدة ، إجماعات شيخ الإسلام ابن تيمية ، إجماعات ابن عبـــد البر ، أي: صار موضوع الإجماع أحد بوابات الإجماع في الدراسات العليـــا بفضل الله –عز وجل– ، وأنا أقول وسأحتذي بكم الليلة ، وأسترشد ، هـــل تعلمون أحدا بحث أو ناقش مسائل الإجماع تصحيحاً وتضعيفاً فيمن تقدّم ؟.

[ولعل سائلاً يسأل] : ((متى كان تسجيلك للموضوع ؟)) ، فـــأقول في عام ١٤١٣هـــ ، ومن بعدها سجّلت كل هذه الرسائل التي تبلغ الآن قرابة ٢٥ خمسة وعشرين رسالة ، كلها في الإجماعات .

لماذا الإجماع في التفسير ؟

أوّلاً : لأنه من أصح ألوان التفسير ، وهذا شيء نحن نعلمه ، إذا قيل: أجمع العلماء أو المفسرون أو السلف أو الصحابة ، على أن معنى هذه الآية كـــذا ، فيعد هذا نصا؛ لأنه يعتمد أو يستند إلى مصدر موثوق من مصادر الشريعة .

أيضاً ، لماذا الإجماع في التفسير؟

لأننا إذا عرفنا المجمع عليه ، لا نقع في المخالفة ، وهذا ما يجترئ عليه بعض المتأخرين ، فيقولون هذه الآية فيها خلاف أو فيها قولان ، فإذا ثبت الإجمـــاع عند المتقدمين على أن المراد بهذه الآية هو كذا . فلا قول معه وما عدا مـــا دل عليه الإجماع رد أيضاً ، ندرس الإجماع حتى نيسّر الوصول لهذه الآيات المجمع عليها في مكان واحد، بحيث لو أن هذا المشروع تتابع عليه الناس ثم جُمـــع في كتاب واحد ، استطاع الإنسان أن يصل إلى التفسير المجمع عليه مـــن خـــلال موسوعة واحدة بإذن الله - عز وجل -.

أيضاً ، ندرس الإجماع حتى نمحص المقبول من المردود في دعاوى الإجماع، فدعاوى الإجماع كثيرة جداً ؛ فأنا جمعتُ من خلال دراستي بضوابطي - التي وضعتها لنفسي - مائة وسبعة وسبعين إجماعاً ، ستة وأربعون منها أثبتُ بأدلة أنها ليست صحيحة ، فتصوّر لو أن عندك بحثا في مسألة ما ، فقرأت لفـــلان ، الشوكاني أو البغوي مثلا ، أن المفسرين قد أجمعوا، ولكن هذا الإجماع غـــير صحيح ، تكون أنت اعتمدت على شيء لا يثبت ، كأنه حديث ضـــعيف أو حديث موضوع ، فتمحيص المقبول من المردود من دعاوى الإجماع مهم جداً،

وشيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - ، قد فعل ذلك مع مراتب الإجماع لابن حزم، فقد تعقبه بعض التعقبات التي أثبت فيها صحة الإجماع أو نفيه في رسالته على مراتب الإجماع لابن حزم .

ندرس الإجماع حتى نتمكن من الإجابة على بعض الإشكالات والظواهر ، فحينما درست الإجماع وجدت فيه إشكالات ، فأول سؤال سألني الدكتور إبراهيم الهويمل في المناقشة ، وقد كان ناقشني في الماجستير ، قال لي: يا محمد رسالتك هذه ناقصة ، قلت: كيف؟ ، قال: أنت تقول من ضمن الكتب المستهدفة عندك كتاب تفسير الطبري ، أنا وجدت في تفسير الطبري قول الله - عز وجل -كذا ، أجمع أهل التأويل، وذكر العبارة ، فقلت: يا دكتور تسمح لي، أنا عندي أربعمائة وخمسين إجماعاً أخذتها من تفسير الطبري ، ما أدخلت منها في رسالتي إلا أربعا وعشرين إجماعاً ، قال لي: ولم؟ ، قلت: لأني وجدت أن الطبري - رحمه الله -، - وأنتم أعلم الناس بهذا الأمر - دائماً يقول: وبإجماع أهل التأويل ، وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل ، ثم بعدها يقول وقد روى فلان ، يذكر رواية أخرى بقول آخر ، فما هو الحل لهذه المشكلة؟! ، إنها مشكلة تقف أمام طالب العلم ، وهي ظاهرة موجودة عند الطبري ، والحل لها: عندما ترجع إلى كتب الأصول تجد أن الطبري - رحمه الله- كان لا يعتدّ بمخالفة الواحد والاثنين في إسقاط أو نقض الإجماع ، انتهت المشكلة .

ولذلك أنا أسقطت هذه الأمثلة كلها ، ولم أعدّها داخلة ضمن إطار البحث ، (وقد ذكرت هذا في المقدمة !!): " لكن انظر للطبري - رحمه الله -

بعد الدراسة وجدته إذا كان عنده إجماع ، يقول: أجمع أهل التأويل قاطبة لا خلاف بينهم ، إذا قال العبارة هذه ، فاعلم أن الإجماع صحيح ، لا يمكن أن يخرق .

وهذه كيف تأخذها أو تعرفها؟ ، لا يمكن ذلك إلا بعد الاستقراء والدراسة والتتبع ، هذه النتيجة ما تجدها إلا بعدما تمعن النظر ، ولذلك أنا أقول يمكن للواحد منكم أو لأي واحد من الطلاب ، ويمكن يعرض هذا كموضوع: الإجماع عند الطبري ، كرسالة ويدرس الطبري وحده ، لقد درست الطبري ومعه جماعة من التفاسير، وهذا لا شك سيضعف النتائج ، ومع ذلك اكتشفت نتيجة، فأتوقع لو أن آخرين دخلوا إلى هذا الميدان بصورة أدق سيكتشفون نتائج أكثر دقة ، ولذلك أتمنى أن تطرح رسائل بعنوان: الإجماع مثلا عند الطبري ، الإجماع عند القرطبي ، الإجماع عند المالكية ، أو مفسري أحكام القرآن ، أو كذا ...إلخ ، بهذا الأسلوب .

أيضا ، ندرس الإجماع للتشنيع على المبتدعة ، لأني وجدت أن كثيرا من المبتدعة يقعون في المخالفة؛ لأنهم لا يعلمون أن هذه المسألة أجمع عليها الصحابة أو السلف الصالح ، لضعف علمهم بالأثر ، فيحكون الخلاف وقد أجمع الصحابة على المعنى المقصود .

أيضاً، من الأسباب التي دعتني للكتابة في هذا الموضوع ، أنه لم يسبق لأحد الكتابة فيه، كما أزعم أو أدعي – أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون ذلك حقاً وصدقاً– وقد فتح الله به باباً لطلاب الدراسات العليا .

وجدت نفسي أمام نفق ، لا أدري إلى أي شيء أصل فيه ، وموضوع - كما يقال بِكر - ، لم يسبقني أحد إلى الكتابة فيه ، فلكي أتفادى أن ينفتح الموضوع فلا يغلق ، أو لا أصل فيه إلى نهاية ، وضعت بعد توفيق الله -عز وجل- جملة من الضوابط :

أولاً: تركت المسائل الأصولية الخاصة بباب الإجماع ، التي لا صلة لها تطبيقياً بموضوعي؛ لأن مبحث الإجماع يقع في مجلد أو مجلدين في كتب الأصول ، وهذا ليس مقصوداً لدي .

الثاني: اقتصرت في المسائل التي بحثتها أصولياً على الراجح ، وعلى الاستدلال له ، والإشارة إلى الأقوال في الهامش .

الثالث: حددت ستة كتب لاستخراج نصوص الإجماع منها ؛ لأني لو أخذت كتب التفسير كلها ، لكنت أمام بحر لا ساحل له من القراءة والبحث والتنقيب والجمع والجرد ونحوها ، وهي: تفسير الطبري ، وابن أبي حاتم ، والماوردي ، والوسيط للواحدي

- وهذا الكتاب الوحيد الذي ذكرت اسمه طبعاً؛ لأن الواحدي هو صاحبي في الدكتوراه ، له ثلاث كتب : الوجيز ، والوسيط ، والبسيط ، وبالمناسبة هذه التسمية أخذها من الغزالي ، لكن في الفقه ، فله الوجيز، والوسيط ، والبسيط ، والوجيز لا صلة له بالإجماع ولا بالآثار ولا بغيرها ، فهو مختصر جداً مثل الجلالين ، أو أوسع منه قليلاً ، البسيط مخطوط ولم يطبع بعد ، ولم نعرف منهجه فيه؛ لأن أول من بحث فيه الدكتور محمد فوزان العمر زميلنا في القسم ،

كان رئيس القسم السابق ، وقدّم فيه جزءاً من سورة البقرة ، ثم توقف ، وتوقف الناس ، ثم فتح المشروع لبقية الطلاب بعد ما أذنت الجامعة بالمشاركة في رسائل الدكتوراه وتحقيق المخطوطات ، فدخل فيه مع الدكتور محمد ثلاثة عشر باحثاً ، فصار المجموع أربعة عشر ، وبقيت فيه ثغرة في سورة البقرة ، كتبها الله لي بعدما انتهيت من الماجستير ، فأخذتها ، فصارت تلك اللبنة التي سُدّت بها تلك الثغرة ، واكتمل مشروع البسيط للواحدي بمشروعي . وكانت من قول الله عز وجل: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٧٥] إلى آخر سورة البقرة ، ووقع هذا الجزء من البقرة في مجلدين كاملين —

أيضاً تفسير ابن عطية ، والقرطبي ، وقد حاولت جاهدا أن أبـــرر لمـــاذا اخترت هؤلاء؟

فأما الطبري : فهو إمام في التفسير وكتابه يعتبر عمدة في الآثار، وأما ابـــن أبي حاتم : فكتابه كذلك أثري ، ويهتم بجمع كلام السلف، والماوردي : يهتم بتعدد الأقوال ، فقلت: أستفيد منه في هذا الباب، وأما الوســيط للواحـــدي فاخترته ؛ لأنه اهتم بالجانب الأثري ، ومتميـــز جـــداً في هـــذا الجانـــب ، – وبالمناسبة الوسيط في باب الآثار أفضل بكثير من البسيط للواحـــدي ، لأن البسيط اهتم بالقراءات وتخريجها ، واللغة بدرجة أولى ، ولا يبعد أن أقول يمكن

أن نخرج منه كتباً في النحو ، وفي فقه اللغة وغيرها ، وبالمناسبة أحد الزملاء في كلية اللغة جعل رسالة الدكتوراه له عن البسيط ، وكذا الأستاذ صالح الفـــراج رسالة الدكتوراه له حول المباحث اللغوية في البسيط - .

حددتُ هذه الكتب الستة من أجل أن أستخرج منها مسائل الإجمـــاع ، ومن أجل أن أدرسها دراسة وافية ، أيضاً ، قيّدت مجال الدراسة في أمـــرين ، وهذه أيضاً كان من فضل الله علي فيها ؛ لأن المفسر أحياناً يقول كلمة ، مثل قول ابن جرير - رحمه الله -: "وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل ". قلت: هذه أبعِدها ، لابد أن يصرح المفسر بالإجماع ، يقول أجمع المفسرون، أو لا خلاف بينهم في قول الله - عز وجل - كذا ، أن المعنى به كذا وكذا ، فلما ذكـــرت هذا الضابط ، سقطت عني كثير من العبارات والكلمات التي كانـــت مفيـــدة بالنسبة لي ، و لم آسف لماذا ؟ ؛ لأني لو فتحت الباب لوجدت كما هائلا مـــن الأمثلة التي لا يمكن أن تستوعبها رسالة ولا رسالتان ولا حتى ثلاث.

الرابع: أن يكون الإجماع في أصل المعنى ، وبيانه ، لا في أي قضـــية مـــن قضايا علوم القرآن ، فالناسخ والمنسوخ استبعدته؛ لأن الإجماعات فيه كـــثيرة ، أسباب الترول الإجماعات فيه كثيرة ، المكي والمدني الإجماعات فيه كثيرة ، عدّ الآي الإجماعات فيه كثيرة ، وبقية علوم القرآن ، القراءات الإجماعـــات فيـــه كثيرة، علوم القرآن عامة ، هناك نماذج وأمثلة كثيرة موجودة في كتب التفسير، في علوم القرآن ، كل هذا استبعدته ؛ لكوني اقتصرت على التفســـير ، وبيـــان المعنى ، وأذكر ذات مرة قال لي بعض الأخوة : "وجدتُ إجماعات لم تـــذكرها

في كتابك عند فلان من المفسرين الذين ذكرهم ، أقول: هل يمكن أن تذكر لي مثالا ، فيقول مثلاً : وأجمع العلماء على سبب نزول الآية كذا ، فـأقول: مـا قرأت المقدمة جيداً !!، وواحد يقول لي: أجمع العلماء على أن الآية هذه ناسخة لقول الله تعالى كذا ، فأقول: إذن أنت ما قرأت المقدمة جيداً !، فقد اشترطت أن لا يدخل في الإجماع ، أو ضمن بنود البحث ، إلا ما كان في بيان المعنى .

ما هي الطريقة التي سلكتها ؟

حصرت الإجماعات من الكتب السابقة ، وهذه الفقرة استعنت فيها بعـدد من الزملاء، وطلاب العلم ، أعانوني على الجرد؛ لأني كنت أمام قرابة خمسـة وسبعين مجلداً ، تحتاج إلى قراءة واستخراج هذه الكلمات منها ، ولأجل هـذا استعنت بآخرين وفاتت علي مواطن ، ثم اكتشفتها بعد تقديم الرسالة ، وأيضاً استدركها علي بعض الأفاضل من الزملاء، من طلاب العلم أمثالكم ، جزاهم الله خيراً ، وأفادوني بها ، ولي نية - إن شاء الله - وأسأل الله أن يحقق لي هذه النية ، أن أعيد النظر في هذا الأمر ، واستوعب المسائل بشكل أدق ، وخصوصاً بعد ما خرج هذا الجهاز (جهاز الحاسب) ؛ لأني قبل ذلك ما كنت أعرف من الكمبيوتر شيئاً ، وما امتلكته إلا بعد ما ناقشت رسالة الماجستير .

أوّل ما أبدأ أضع عنوانا للمسألة مناسبا : بيان قول الله - عز وجل -كذا إلى آخره ، ثم أذكر الآية ، ثم أذكر عبارة الإجماع ، عند أقدم هؤلاء ، إن كان الطبري صرح بها ، أذكر قول الطبري ، وإذا لم يكن الأقدم قد جاء بالعبـارة

الأجود، فإني أذكر أصرح من تحدث أو عبر عن الإجماع ، وقد أجمع عبارتين أو أكثر ، كأن أجعلها متناً لأناقشه ، ثم أتبع ذلك بذكر من ذَكر الإجماع ، أو من نَقَله ، إذا كان هذا الإجماع ذكره الطبري - رحمه الله -، أو حكاه البغوي أو الشوكاني ، أو مثلاً ابن عاشور في التحرير والتنوير أو غيرهم ، أقول: وقد نقل هذا الإجماع فلان وفلان وفلان وفلان ، وأحيل إلى المصادر .

والسؤال لماذا أذكر ذلك؟ لأبين أن هذا الإجماع قد اعتدّ به هؤلاء ، ولذلك نقلوه ، بعد ذلك أراجع كتب التفسير عامة ، يعني بعد هذه المرحلة تبدأ مرحلة التمحيص ، فأمامي كتب التفسير في الآية المقصودة ، أكاد أمر على معظم هذه الكتب المعتبرة في معرفة الخلاف في الإجماع ، يعني مثلاً في ظلال القرآن لا أرجع إليه ؛ لأنه ليس متخصصاً في هذا الباب ، كذلك كثير من كتب المتأخرين لا أرجع إليها؛ لأنها كتب مختصرة ، لكن الكتب التي تُعنى بنقل الخلاف وحكايته لابد أن أمر عليها في كل مسألة ، فإن وجدت الخلاف متقدماً، ولم يكن من قبيل التنوع نقضت الإجماع ، وإذا وجدت الإجماع متقدماً يعني عن الصحابة أو التابعين أو تابعيهم ، ولم يكن ذلك الخلاف من قبيل خلاف التنوع - الذي لا يضر ذلك الإجماع ولا يؤثر عليه- نقضت الإجماع ، وإن وجدت الخلاف متأخراً، ولم أجد بين المتقدمين خلافاً ، رجحتُ الإجماع ، وهذه المسائل مرت بي ، وبإمكانكم تراجعون الكتاب؛ لأنه أحياناً يذكر الإجماع ، مثلاً يذكر الطبري الإجماع ، ثم أجد الماوردي في القرن الخامس حكى الخلاف ، فأرجع إلى كتب التفسير المتقدمة ، فأنظر هل

هناك أحد ذكر الخلاف قبل الماوردي ، فإن لم أجد أحداً ذكر الخلاف ، فأنظر عند الماوردي إلى من حكى هذا الخلاف ، ماذا يقول؟ ، مثلاً يقول : قال ابن عباس كذا ، بما يوافق الإجماع ، وقيل: كذا ، أقول : قيل ، ما جاءت إلا بعدما حكى ابن جرير الإجماع ، إذن نحن لا نقبل هذا "القيل" ، وهذا المنهج الذي سلكته استنبطته من أهل الأصول بعد الدراسة الأصولية التي قدمت لها، وأخذت حيزاً من أول الكتاب .

وإذا وجدت الطبري في كل إجماع قال عبارته المألوفة :"وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل"، نقلتها تقديراً له ، مع أن هذه العبارة لا أعدها من عبارات الإجماع ، لكن تقديراً لهذا الإمام الذي يعد إماماً للمفسرين أنقل هذه العبارة استئناساً بها ، واعتماداً عليها، ثم أذكر السبب الذي حمل المفسر على ذكر الإجماع ، أختم بعد ذلك بذكر النتيجة .

لماذا أذكر السبب الذي حمل المفسر على ذكر الإجماع؟

الأصل أن كثيراً من التفسير مجمع عليه ، مثال ذلك : قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ [البقرة: ٥٤] (موسى) من هو؟ ،هو ابن عمران، بالإجماع ، (لقومه) من هم؟ ، هم بنو إسرائيل بالإجماع ، ما أحد يخالف في هذا ، إذن: كثير من التفسير بهذه الصورة مجمع عليه .

ولما كان الأصل فيه أنه مجمع عليه ؛ لذا صار المفسرون لا يذكرون الإجماع إلا عندما يحتاجون إلى ذكره ، أي: عند ورود عددٍ من أسباب أو دواعي نقل

الإجماع عند المفسرين.

وهذه الأسباب أو الدواعي لنقل الإجماع عند المفسرين جعلتني أحتار لفترة طويلة ، لماذا لا يذكر المفسرون الإجماع في هذه الكلمة؟ وهذه ؟! ، علماً أن الأقوال كلها مطردة على أن المعنى كذا ، ولا أجد خلافاً بينهم فيها ، لماذا لا يقولون: أجمع المفسرون؟! عرفت – فيما بعد – أن أكثر التفسير إجماع !، وإنما الخلاف الذي ورد عن السلف ، هو من قبيل خلاف تنوع ، وقليل منه هو من باب اختلاف التضاد ، وأصبح المفسرون لا يحتاجون لذكر الإجماع إلا عندما يحتاجون إليه، للاحتجاج به ، أو للرد على المبتدعة مثلاً .

مثال ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩]، اليقين عند كل أهل التفسير المعتبرين المراد به الموت ، وقد دل على ذلك القرآن ، ﴿ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٧]، فاليقين هنا أيضاً الموت، بالإجماع، وفي الحديث أيضاً ورد: (أما فلان فقد جاءه اليقين) فسمى النبي ﷺ الموت يقينا ، أيضاً قال ابن كثير – رحمه الله – : فأما اليقين فهو الموت بإجماع المفسرين . لماذا يذكر ابن كثير الإجماع ؟ رداً على طوائف من الصوفية الذين قالوا بأن اليقين هي مرتبة من وصلها سقطت عنه التكاليف ، فكأنه يقول ما أنتم حجة في تفسيرالآية ولا اعتبار بما تقولون ، إذن فما حكى الإجماع في هذه

الآية إلا لداعي ، وهذا ما استنبطته من خلال استقرائي لذكر الإجماع عند المفسرين .

وإذا كان الإجماع مشهوراً ، وقد نُقل الخلاف عن أحد من السلف . على سبيل المثال ابن عباس – رضي الله عنهما- ؛ لأنه أكثر من يحكى عنه الخلاف ، فإني في هذه الحالة لابد أن أحقق القول في هذا الرواية ، فأبحث عن إسنادها فإذا كان الإسناد ليس صحيحاً ، أو ليس من الأسانيد المعتبرة ، فإني لا أعتد بهذا الخلاف ، لشهرة الإجماع ، مثال ذلك مسألة: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١١] ورد عن ابن عباس أنه قال لعثمان : إني أرى الإخوة في لسانك يا عثمان ثلاثة وليسوا اثنين . فحينما وجدتُ إجماعا من الصحابة على أن الإخوة اثنان فأكثر ، ولم يختلف الصحابة ولا من جاء بعدهم على أن المراد بالإخوة في الآية : أخوين فأكثر ، إذن ما هو حال هذه الرواية عن ابن عباس؟ ، ذهبت أنقب عنها ، فوجدتها ضعيفة، فأثبت صحة الإجماع .

ومثلها أيضاً في قول الله – عز و جل- : ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، ذكر بعض المفسرين عن ابن عباس: أن الكرسي هو العلم ، بينما الرواية المذكورة والقول المشهور الذي حكي فيه الإجماع أن الكرسي هو موضع قدم الرب -سبحانه وتعالى- ، إذن: ما هو حال هذه الرواية ؟، ذهبت أبحث عنها فوجدتها ضعيفة ، وقد حكم عليها جماعة من أهل العلم بالحديث أنها ضعيفة ، إذن: فما دامت الرواية ضعيفة يثبت هذا الإجماع

ولا ينقض.

مداخلة : هذه مسألة مهمة ترد على بعض الذين يقولــون لا حاجــة إلى ...)) (إلى ماذا؟).

نعم ، فإني أحقق القول في صحة الرواية عمن رويت عنه المخالفة ، فــإن صحت الرواية ، ولم يكن قوله من قبيل الأقوال الشــاذة ، - وهــذه مســألة أصولية مهمة ، وهي أن بعض الأقوال يعد من قبيل الشاذ - ، فإذا عدّ من قبيل الشاذ فإنه لا يعتد به أصلاً في ذكر أقوال الخلاف كما حقق ذلــك الشــاطبي - رحمه الله - في كتابه العظيم: الموافقات ، وبيَّن أن الأقوال الشاذة لا يشغل بها عن الإجماع ، ولا يعتد بها في نقل الخلاف؛ لأنه قول شاذ ، وهو زلة عالم .

مثل ما حكي عن داوود الظاهري في قول الله - عز وجــل-: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]، قال -رحمه الله-: المحرم مــن الختزير هو لحمه ، دون سائر أعضائه .

بينما أجمع العلماء على دخول كل أجزاء الختزير بما في ذلــك الأحشــاء والشحم والجلد ، فكلها محرمة ونجسة . فيعدّ هذا القول مــن قبيــل الأقــوال الشاذة، ولذلك يقال بكل طلاقة لسان: أجمــــع العلماء على تحريم الختزيــر كله شحمه ولحمه ، وسر تخصيص اللحم بالذكر في قول الله - عــز وجــل- ﴿وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ من باب ذكر للغالب، أو المستفاد من الختزيــر، أو التعــبير بالجزء وإرادة الكل .

قلت: فإن صحّت الرواية ولم يكن قوله من قبيل الأقوال الشاذة نقضت الإجماع ، وإن ضعفت أو كان القول شاذاً ، أو تبين أن الإجماع سابق على وجود المخالفة أثبت الإجماع ورددت القول المخالف ، وقد أتوقف في بعض المسائل التي لا أستطيع أن أتبين هل الإجماع سابق أو لاحق ، هل هذا القول شاذ أو ليس بشاذ ، وأذكر هذا التوقف وأقول لم يتبين لي الحكم على هذه المسألة بأنها قد ثبتت أو أن هذا الإجماع صحّ أو لم يصح .

بعد أن أعددت الشرائح ذكرت المسائل الأصولية وغيرها ، وأظن أن الوقت لا يسمح بذكرها؛ لأن المسائل طويلة ، وقد ندخل في دوامة في خلافات أهل الأصول ، وأهل الأصول فيهم قليل جفاء ، مما ليس فينا يا أهل التفسير ، نحن أقرب إلى الأجواء الرطبة والكلمات الجميلة ، نحن أقرب إلى الأدباء .

وعليه ؛ فإني – أرى أن – نتجاوز هذه المباحث ، وحسبنا أن نمر بها مرورا سريعا كشرائح ، حتى نصل إلى المقصود ، وهي النتائج المهمة في كتب التفسير.

المسائل المتصلة بالبحث:

ذكرت في البحث المسائل المتصلة به ، ومن ذلك أني ركزت على الإجماع السُكوتي لأهميته؛ فإن أكثر الإجماعات الموجودة في كتب التفسير هي من قبيل الإجماعات السكوتية ، بل حتى في الفقه ،كإجماع الصحابة ومسائل اختلاف الصحابة ، وإجماع من بعدهم ، نقل العالم للإجماع ونقل غيره للخلاف ، خلاف الصحابة وإحداث قول آخر من بعدهم ، الأحكام المترتبة على الإجماع الصحيح، حكم منكر الإجماع .

العناية بالإجماع عند المفسرين:

في الفصل الثاني ذكرت الإجماع عند المفسرين ، فهل المفسرون اعتنوا بذكر الإجماع ؟

والجواب : نعم ، بل لا أخطئ القول إن قلت: إن أعظم مصادر الإجماع هي كتب التفسير، لماذا؟ لأنها مرتبطة بالقرآن، والقرآن شامل لكل الشريعة فتجد فيه مسائل العقيدة ، وتجد فيه قضايا الفقه ، وقضايا أصول الفقه، والقضايا المتصلة بالتاريخ ، وقصص الأنبياء ، وما يتصل بها ، وما يتصل بالسيرة النبوية، كل هذه القضايا يذكر فيها الإجماع ؛ فتجد إجماعات في السيرة والتاريخ واللغة والبلاغة والعقيدة والسنة والشريعة والمعاملات وكل المسائل ، وفي التفسير أيضاً ، فلو أراد أحد أن يجمع مسائل الإجماع في كتب التفسير على اختلاف الفنون ، لوجد مادة ثرية وهائلة جداً ، فتفسير الطبري وحده فيه ما يتجاوز الألف وخمسمائة إجماع !! ، فالطبري كان - رحمه الله- يعتني بذكر الإجماع .

ومن شدة اعتناء المفسرين بالإجماع ، قلّ أن يطلعوا على إجماع في أحد المصادر إلا ويقومون بنقله في تفاسيرهم ، كما كان هذا دأبهم في غير التفسير، كالإجماع في الفقه والعقيدة وغيرها.

وإضافة إلى ذلك لم تكن عنايتهم بالإجماع مقصورة على النقل فقط ، بل عنوا بمناقشته ، والاعتراض عليه من جهة أو تأييده بالأدلة من جهة أخرى ،

وأضرب لذلك مثالاً في قول الله – عز وجل– : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠]، حكى بعضهم الإجماع ، أن الخليفة هو آدم ، نقض هذا ابن كثير – رحمه الله – ، فقال: هذا قول، والقول الآخر خليفة، أي: خلائف يخلف بعضهم بعضاً ، وليس المقصود بها آدم عليه السلام ، ودلّل على ذلك ورجح القول الثاني وليس القول الذي اختاره بعض المفسرين .

ومن ذلك: المراد بـ (السلوى) من قول الله : ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ [البقرة: ٥٧] أو ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴾ [طه: ٨٠] حكى بعض العلماء أنه بالإجماع طيرا ، نقض ابن عطية هذا وقال : لا ، قد ورد أنه الطير وأنه العسل ، فلا يصح نقل هذا الإجماع .

ومثلها أيضاً في أول سورة المائدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ﴾ [المائدة: ١] ثم قال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ﴾ [المائدة: ٢]، حكى بعضهم أن الهدي : مقصور على بهيمة الأنعام . نقض أبو حيان هذا الإجماع وقال : بل حكي الخلاف فيه، وأثبت بأن الهدي قد يكون من بهيمة الأنعام، وقد يكون من غير بهيمة الأنعام .

أو يؤيدونهم بالأدلة من جهة أخرى ، أي: لم يقتصر جهد المفسرين على

حكاية الإجماع دون أن يكون لهم فيه دور ، سواء بالنقض أو التأييد أو التأكيد أو التقييد لذلك الاستدلال ، مثلاً في قوله -عز وجل-: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء: ١٢]، ذكر المفسرون أن الأخوة المقصود بهم أخوة الأم ، واستدلوا على ذلك بقراءة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (وله أخ أو أخت من أمه) ، وفي قول الله عز وجل : ﴿فَفِدۡيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٍ﴾[البقرة: ١٩٦] ،كثير من المفسرين يقولون النسك يراد به الشاة بالإجماع ، بدليل حديث كعب بن عجرة في الصحيحين لما جيء به إلى النبي ﷺ محمولاً ، ويتساقط القمل من رأسه قال: ما كنت أرى أن الجهد يبلغ بك ما أرى ، هل تجد كذا؟ ، ثم ذكر له الكفارة .

ما هي دواعي ذكر الإجماع عند المفسرين؟

لا يذكر المفسرون الإجماع في التفسير إلا لأمر يدعوا إلى حكايته ونقلـــه، ومنها :

أولاً : وجود الاشتراك في المعنى ، يعني: الكلمة تكون مشتركة بين معنيين أو أكثر؛ فيأتي المفسر ليقول: إن المعنى المراد في هذا الموطن هو كذا بالإجماع ، حتى يقطع الأقوال الأخرى أو المعاني الأخرى اللغوية .

مثال ذلك: قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ

بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾ [البقرة ٢٣١]، فبلغن : تأتي بمعنى: قاربن ، وتأتي بمعنى : انتهين ، بدليل الآية الأخرى : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾[البقرة ٢٣٢] فبلغن الثانية بمعنى : انتهين من عدهن فلا تعضلوهن أن يرجعن إلى أزواجهن الأوائل ، وحينما جاؤوا إلى الموضع الأول ماذا قالوا في معنى: "فبلغن"؟ ، قالوا: بلغن بمعنى: قاربن بلوغ انتهاء العدة بالإجماع ، وليس معنى بلغن ، في هذه الآية : انتهين من العدة؛ لأنه لو كان بمعنى: انتهين من العدة ، كيف يقال بعدها ، فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ! لا يمكن ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، الذي فيها وجود الاشتراك في المعنى.

ثانياً: تحرير محل النزاع في الآية ، حين يقع خلاف في الآية يأتي المفسر ليذكر موطن الإجماع ، ثم يذكر موضع الخلاف ، فموطن الإجماع ذكره من أجل الخلاف ، مثلاً: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٥٣] قالوا: الكتاب، هو التوراة بالإجماع ، واختلفوا في الفرقان ، إذن: ما ذكروا الإجماع في الكتاب إلا لأجل ذكر الخلاف في الفرقان، فمنهم من قال: الفرقان هو التوراة ، من باب عطف الأوصاف ، ومنهم من قال: الفرقان هي الآية أو الآيات الأخرى التي كانت مع موسى .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن

تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٠٣] ، قال ابن العربي –رحمه الله– في أحكام القرآن: قوله تعالى: (واذكروا الله في أيام معدودات) المخاطب بهذه الآية : الحاج بالإجماع ، واختلف في دخول من عدا الحجاج في حكمهم... .

فذكره من أجل أن يحرر محلّ التراع .

ثالثاً : الرد على المخالفين من الطوائف المنحرفة ، مثل معنى كلمة: (اليقين) في قول الله – عز وجل– : ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] كما أسلفنا قبل قليل ، ومثل: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴾ [الليل: ١٧]، فإن الرافضة يحملون هذه الآية على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد نقل كثير من المفسرين الإجماع على أن الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأنه هو المراد بها . والقاعدة المعروفة عند المفسرين: "أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب" ، لكن من نزلت فيه الآية هو الذي وقع فيه الخلاف ، الرافضة يقولون: هذه الآية نزلت في علي ، وأهل السنة قاطبة والمفسرون أجمعون يقولون بل نزلت في أبي بكر ، وعلي يدخل في عمومها ، وكذلك يدخل من بعدهم ممن يتصف بهذه الصفة .

رابعاً : للاحتجاج به في ترجيح قول على آخر ، في قول الله عز وجل : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١]، هذه اختلف هل هي في بدر، أو أحد، أو الأحزاب؟، ابن

جرير - رحمه الله - حين جاء لهذا الخلاف قال: لو نظرنا إلى الآية التي بعدها وهي قول الله - عز وجل-: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، فإنها نزلت بالإجماع في حق بني سلمة، وبني الحارث وذلك في أحد ، فيجب حمل الآية هذه والتي قبلها على أن تكون في أحد وليس في بدر أو الأحزاب ، فذكر الإجماع في الآية التي بعدها للاحتجاج به على ترجيح قول في الآية التي قبلها.

خامساً: دفع توهم معنى فاسدا ، مثاله السجود لآدم في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ ﴾ [البقرة: ٣٤]، والآيات المشابهة، ذكر المفسرون أنه قد وقع الإجماع على أن السجود هنا سجود تحية ، لا عبادة ، لماذا؟ ، لئلا يعتقد أحد أن سجود العبادة يكون لغير الله - عز وجل -، ومثله أيضاً: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠] في قصة يوسف عليه السلام.

سادساً: مخالفة تأويل الآية للظاهر أو الغالب في الاستعمال ، من ذلك قول الله - عز وجل - : ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٤] المقصود بالأنفس في الظاهر هو النفس؛ لكن المقصود بها في الآية في قصة بني اسرائيل الأخ أي: ليقتل بعضكم بعضاً، وهذا بالإجماع .

ومثلها أيضاً: ﴿ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ [ص: ٢٤] قال العلماء المقصود بها

ليس الركوع بل السجود ؛ لأن السجود يطلق عليه الركوع ، بدليل كلمة: (خرّ) والخرور لا يكون إلا في السجود.

السابع : أن لا يرد في ألفاظ الآية ما يدل على المراد بها صراحة مما لا يتم معناها إلا به ، فيذكرون المتمم ، ويحكون فيه الإجماع، مثل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] قالوا ذلك يوم القيامة ، هذا تتميم وحكوا عليه الإجماع ، أن هذه الآية إنما تكون في يوم القيامة وليست في الدنيا .

الإجماع وأنواع الخلاف :

هو مبحث دقيق لأننا الآن سنبحث في الاختلافات المذكورة في كتب التفسير ، كيف تؤثر على الإجماع ؟

أولاً: إذا كان الخلاف خلافا لفظيا ، فهذا لا أثر له على الإجماع، وبعضهم يسميه الخلاف المعنوي.

الثاني: اختلاف التنوع ، وهذا لا أثر للخلاف فيه على ما يحكى من الإجماع ؛ إذا كان الإجماع بصيغة تجمع بين الأقوال ، فأحياناً يأتي المفسر بعبارة جامعة بين الأقوال ، فهنا لا أثر للخلاف الواقع أبداً ، ولا ينقض به الإجماع ، ولا تؤدي إلى إبطال أحدها وعدم اعتباره ، لكن إذا حكى أحد المفسرين الإجماع على أحد تلك الأقوال فهنا يحتاج الأمر إلى تفصيل :

إن كان مراده أن الجميع متفقون على صحة المعنى فهذا صحيح ، وإن كان

مراده نفي ما عداه من الأقوال فهذا مردود ، مثال ذلك قول الله – عز وجل – في سورة ق: ﴿ بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ فَهُمۡ فِيٓ أَمۡرٖ مَّرِيجٍ ﴾ [ق: ٥] قيل القرآن ، قال الماوردي: وهو القرآن في قول الجميع ، وحكى المفسرون الخلاف، فقيل : البعث ، وقيل: القرآن ، وقيل الإسلام ، وقيل: محمد ، وهناك قولان آخران ، ستة أقوال ، فالذي حكى الإجماع إن كان مراده أن ينفي تلك الأقوال، فلا يصح هذا الإجماع؛ لأن الخلاف ثابت عن السلف على ستة أقوال ، وإن كان مراده أن هذا القول صحيح وأن الجميع لا ينقضه فهذا صحيح ، ولا إشكال فيه .

ما هي الأسباب التي توقع المفسر في المخالفة للإجماع ؟

تجد بعض المفسرين يخالفون الإجماع ، وجدت هذا عند المفسرين – رحمهم الله – ، يعني: يحكى الإجماع سابقاً ثم يخالفه، فما هي الأسباب التي توقعهم في هذه المخالفة؟

بالتتبع وجدت أن ذلك عائدا إلى عدد من الأسباب:

الأول : ضعف العناية بآثار السلف ، وخلاف السلف المتقدم ، وعدم التمييز بين صحيح الروايات وضعيفها. فننظر ماذا قال السلف في هذه الآية ، ثم بعد ذلك يكون القول أو الشرح أو التفسير بتلك الضوابط والحدود التي وضعها من قبلنا ، وقد أَبَنْتُ بقوة ودلّلت ما قد يفهمه بعض الناس ، أننا نتحرج ونقول: ما نتكلم إلا بما قال به السلف ، والجواب : لا ، نحن نقول : لا

نتعـــــدى أقوال السلف ، ففي ضمن تلك الدائرة التي قالها السلف نقول بعد ذلك: ما يفتح الله به علينا من الأقوال التي لا تكون مصادمة لمقاصد الشـــريعة ولا الأصول والضوابط، ولا أقوال من سبق ، فتكون أقوال السابقين كأنها بمثابة سد منيع وحاجز؛ لئلا يتجاوز الإنسان المعاني الصحيحة التي يتكلف بها السلف وفسروا فيها القرآن.

الثاني: كون المفسر يعتقد أشياء باطلة ثم يحاكم القرآن عليها .

فقد يعتقد المفسر أشياء باطلة ثم يحمل القرآن عليها ، فكثير من المؤولـــة وخصوصاً في باب الأسماء والصفات يحكون الإجماع ، وهم يقـــرؤون كــلام السلف في تفسير تلك الآيات بكل وضوح ، مثلاً عند الطبري وعند أبي حاتم ، وعند ابن مردويه، وعند عبد بن حميد ، وابن المنذر وغيرهم ممن نقلوا كــلام السلف في تأويل آيات الصفات ، ويحكون الإجماع ، والقول الذي جاؤوا به لم يعرف إلا في القرن الرابع وما بعده ، ولا يُعرف أن أحدا من المتقدمين مــن القرون الثلاثة تكلم بهذا المعنى ، ومع ذلك يقول : "أجمع المفســرون علــى أنّ المراد بها كذا"، أو يقول: "الإجماع منعقد على أن هذه الآيــة لا يــراد بهــا ظاهرها" ، كما قال الصاوي : "ومن اعتقد ظواهر آيات ونصوص الصــفات فقد كفر" ، أظنه قال :"بالإجماع" ، وأنا ما أستطيع أن أثبت كلمة الإجمــاع هنا ، لكني أظنه قالها، ونسأل الله أن يعفوا عنه.

الثالث : تفسير القرآن بمجرد اللغة ، فالذين يعتمدون على اللغة وحــدها ، وعلى ما تحتمله الآية من المعاني اللغوية ، يأتون بأقوال ينقضون بها إجماع مــن

سبقهم ، فيأتون بأقوال لا تعرف عن السلف ، من غير نظر إلى مراد المتكلم بالقرآن ، والمخاطب به ، كما ذكر شيخ الإسلام في مقدمة أصول التفسير .

الرابع: الاعتداد بالقول الشاذ ، فينقض به القول المجمع عليه .

الخامس: الاعتداد بقول قد انعقد الإجماع علي غيره قبل حدوثه ، فبعض الناس يعمد إلى قول أحد المفسرين ممن جاؤوا بعد أن حكي الإجماع وثبت ، فيعتدّ بمخالفته ويقول: لا إجماع في المسألة ، لماذا؟ قال: لأن فلانا حكى المخالفة، فنقول: من هو الذي حكى المخالفة؟ الرازي ، الماوردي ، ابن الجوزي في زاد المسير ، ولو نظر في الكتب السابقة ، التي حكت الإجماع قبل الماوردي، وقبل الرازي، وقبل ابن الجوزي - رحمهم الله جميعاً - ، لم تذكر خلافاً قبلهم ، فكيف ينقض الإجماع بهذا الخلاف المتأخر.

السادس: الاعتماد في نقل الخلاف على روايات ضعيفة لا تثبت عمن نسبت إليه.

السابع : عدم فهم الخلاف الوارد عن السلف ، فكثير منه اختلاف تنوع ، فيأتي من يحمله على التضاد فينقض الإجماع ، يقول : "لا ، هذه المسألة لم يجمع الناس عليها بل فيها خلاف ، فيها خمسة أقوال" ، نقول: نعم فيها خمسة أقوال لكن هذه الأقوال من قبيل اختلاف التنوع فلا ينقض بها الإجماع ، وهذا يقع عند بعض من لم يفهموا كلام السلف و لم يعرفوا طريقتهم في تأويل القرآن.

ملاحظات عامة :

نختم بهذه الملاحظات العامة:

- الحسن البصري أكثر السلف الذين تعزى إليهم الأقوال الشاذة المخالفة لما ثبت عن جماعته ، ولعل من أهم الأسباب في ذلك كون المعتزلة يعدونه منهم زوراً وبهتاناً ، ففي طبقات المعتزلة عدوا من أوائل الطبقة الأولى الحسن البصري؛ لأن واصل بن عطاء يعتبر تلميذا للحسن البصري ، ولذلك إذا أرادوا أن يجعلوا سنداً لقولهم، قالوا: قاله الحسن ، تبحث أين قاله الحسن؟ ما هو الاسناد الذي أثبتوه حتى يوصلوه إلى الحسن؟ ما تجد هذا الأمر ، وقد أثبتُ بالدلائل عن المحدثين وعمن ترجموا لرؤوس المعتزلة كعمرو بن عبيد وغيره أنهم كانوا يكذبون على الحسن ، فيأتي المتأخرون من المعتزلة الذين لا علم لهم بالإسناد ، ولا معرفة لهم بهذا الباب ، فينقلون هذه الأقوال عن الحسن ، فيُحرج المتكلم ، أنا أقول أحكي الإجماع عن فلان ، وهؤلاء يحكون الخلاف عن الحسن ، ماذا نقول؟ ، نقول كثير من هذه الأقوال لا تثبت عن الحسن البصري - رحمه الله -.

- أكثر المفسرين تشقيقاً للأقوال بما لا تكاد تجده عند غيره هو الرازي - رحمه الله - ، يعني يأتي للمسألة في الآية فيها خلاف على ثلاثة أقوال عند المفسرين المتقدمين مثلاً ، فيجعلها تسعة أو اثنا عشر أو ستة عشر بطريقة معينة يشقق الأقوال ، حتى إنك تتعجب من هذه القدرة العقلية على التشقيق ، ولعلّ النزعة الكلامية الموجودة عند الرازي -رحمه الله- جعلت عنده هذه القدرة ،

لكن لو رجعت إلى حقيقة تلك الأقوال التي يشققها لم تجد لها أصلاً في كـــلام السلف ، وإنما هي باعتبار الاحتمالات التي يمكن حمل الآية عليها ، بغض النظر عن كون هذه الأقوال رويت عن السلف أم لم ترو عنهم .

● الطبري هو أكثر المفسرين حكاية للإجماع ، والإجماعات كثيرة جداً في تفسيره ، سواء إجماعات في التفسير أو في غيره .

ومذهبه في الإجماع : عدم الاعتداد بمخالفة الواحد والاثنين ، فكـــان – رحمه الله – يخالف بين العبارات عندما يحكي الإجماع للدلالة علـــى حقيقـــة الإجماع من حيث وجود المخالف وعدمه ، مثال ذلك: عبارة: "وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل" ، "أجمع أهل التأويل" ، كل هذه العبارات ليست صريحة في الإجماع أو ليست على مذهب الجمهور في الإجماع بدليل أنه بنفســـه في نهاية المطاف يحكي الخلاف ، يقول: "وأجمع أهل التأويل على القول بـــذلك". ثم يقول: وقد روينا عن فلان أنه قال كذا ، وروينا عن فلان أنه قال كـــذا"، فهذا بناء على مذهبه من جهة، لكنه إذا جاء إلى إجماع منضبط قال: "أجمع أهل التأويل قاطبة لا خلاف بينهم" ، أو نحواً من العبارات التي فيهـــا عـــدداً مـــن المؤكدات على الإجماع ، فهنا تكاد أن تقول: إن الإجماع منضبط عنده .

● الإمام الواحدي – رحمه الله – صاحبي في رسالة الدكتوراه – رحمه الله رحمة واسعة –، متساهل جداً في حكاية الإجماع ، نصف الإجماعـــات الـــتي نقلتها عنه كانت غير صحيحة ، ولعل السبب في ذلك أنه كان إماماً في اللغـــة – رحمه الله – ، ولم يكن إماماً في أبواب العلم الأخرى ، و كـــان في تفســـير

البسيط عالة على شيخه الثعلبي ، وأنا الوحيد من بين زملائي الذي قابل تفسير البسيط على تفسير الثعلبي ، لأن تفسير الثعلبي ما طبع إلا بعد ما سجلت رسالتي ، فكانت فرصة لي ، وهناك شيء آخر وهو أني وجدت الدكتور ناصر المنيع انتهى من رسالته قبل أن أبدأ برسالتي ، وموضعه في تفسير الثعلبي يوافق موضعي، فأخذت رسالة الدكتور ناصر من أولها إلى آخرها أقابلها مع تفسير البسيط فلا أكاد أجد الواحدي في باب التفسير، في بيان المعنى يخالف شيخه الثعلبي ، لا في باب التفسير ولا في باب نقل الآثار ، ولا في نقل الأحكام الشرعية ، أما إذا جاء في توجيه العبارات والإعراب واللغة والصرف فهو ينصرف وشيخه لا يلحق به في هذا الباب.

● أما ابن عطية – رحمه الله – فهو مكثر من ذكر الإجماع في تفسيره ، ويعتمد كثيراً في حكاية الإجماع على تفسير الطبري، واستفاد من تفسيره جمع ممن جاء بعده ، وعلى رأسهم القرطبي – رحمه الله – وأبو حيان – رحمه الله –، ونقلاً عنه ، وابن عطية – في الحقيقة – من أكثر من رأيته منضبطاً في حكاية الإجماع.

● أما القرطبي – رحمه الله – فقد عني بجمع المسائل المجمع عليها في الشريعة تامة ، ولذلك لو سجل أحد من الزملاء في قسم الفقه أو في قسم الأصول الإجماع عند القرطبي ، أتوقع أنه يستوعب ثلاث أو أربع رسائل ، خصوصاً ما يتعلق منها بالأحكام ، إذا عرفت مصادره التي اعتمدها في تفسيره زالت الغرابة في سبب كثرة إجماعاته ، اعتمد على ابن عطية – رحمه الله – ،

وابن عطية مكثر ، واعتمد على ابن العربي في أحكام القرآن وهو مكثر أيضاً، وأيضاً النحاس يذكر الإجماعات ، ولم يكن القرطبي ناقلاً فقط ، بل كانت لـــه وقفات مع الإجماعات التي ينقلها مناقشة وتقويماً.

- اجتمع لي من الإجماعات في التفسير حسب الضوابط التي وضعتها من هذه الكتب الستة مائة وسبعة وسبعين ١٧٧ إجماعاً ، تم استخلاصها من كتب التفسير الستة التي شملتها خطة البحث وهي: تفسير الطبري ، وابن أبي حـــاتم ، والماوردي ، والواحدي ، وابن عطية ، والقرطبي ، ناقشتها بحمد الله جميعـــاً ، ميزت الصحيح من غيره على ضوء القواعد الأصولية والمنهج الذي ذكرتـــه في مقدمة الرسالة.

عدم صحة الإجماع :

أثبتُّ عدم صحة الإجماع في ٤٦ ستة وأربعين موضعاً لوجود الخـــلاف ، أما الباقي مائة وواحدا وثلاثين ١٣١ إجماعاً فمنها ما قطعـــت فيـــه بصـــحة الإجماع، ومنها ما استظهرت فيه الصحة ، أعني ما قطعت فيه بالصحة، وإنمـــا قلت: "الذي يظهر لي صحة الإجماع"، وهو الأكثر ، ومنه ما هـــو محتمـــل للصحة مع التأويل ، أو توجيه العبارة ، أقول :"نعم إذا أراد كـــذا فالإجمـــاع صحيح، وهذه لا تتجاوز عشرة ١٠ مواضع ، الطبري نقلت عنـــه ٢٤ أربعـــا وعشرين إجماعاً ، لم يصح منها ستة ، ابن أبي حاتم نقلت عنه ثلاثة ، الماوردي نقلت عنه واحداً وعشرين ٢١ إجماعاً ، لم يصح منها خمسة ، الواحدي نقلت

عنه تسعة وثلاثين ٣٩ إجماعاً ، لم يصح منها سبعة عشر ١٧ ، ابن عطية نقلت عنه ثمانية وسبعين ٧٨ إجماعاً ، لم يصح منها تسعة، القرطبي نقلت عنه واحـــداً وسبعين ٧١ إجماعاً، لم يصح منها ١٣ ثلاثة عشر ،

وبهذا نصل وإياكم إلى نهاية المطاف ، واعتذر إليكم جميعاً عن الإطالة ..

شكر الله لشيخنا الدكتور محمد على هذا الطرح الماتع ..

– مداخلة ((د.محمد منصور ، أستاذ دكتور في جامعة الأزهر الشريف والملك خالد)):

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله والصلاة والسلام على نبينـــا محمـــد ، حقيقة: فالمعاني التي ذكرها الأخ محمد الخضيري ، هي معاني شـــائقة أثـــارت شجوني ، وبالتأكيد أثارت شجون جميع الإخوة الحاضرين الذين أكـــرمهم الله واجتباهم لهذا العلم خاصة ، هذا العلم الذي يتصل اتصالاً وثيقاً بكتاب ربنـــا وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر شيخنا الغزالي في كتابه: هموم داعية .

فإن هناك هموماً عديدة لدى الباحثين والدارسين أثارتها تلك الدراسة:

أولاً : الرسائل الجامعية ، كما نعلم جميعاً ، ربما بقـــي بعضـــها حبـــيس الأدراج ، ومن هنا فإنه لابد أن يتعاون الذين أنعم الله عليهم بنعمة المال مع من أنعم الله عليهم بنعمة العلم من أجل نشر هذا العلم ، حـــتى تطبـــع الرســـائل الجامعية وتنشر وتوزع ، والأهم من هذا أن تطبّق في أرض الواقع .

أنا أحيي في د.محمد باعتباري متخصصاً في اللغة ، أحيي لغتـــه الرصـــينة

السليمة الصحيحة الفصيحة ، وأنتم تعلمون جميعاً أن هناك فرقا بين سلامة اللغة وفصاحة اللغة ، يذكر أن النبي ﷺ قال: ((أنا أفصح العرب ... من قريش ، ورضعت في بني سعد)) ، يقول العلماء: " لقد أخذ من قريش فصاحة اللغة ، وأخذ من بني سعد سلامة اللغة".

قضية العلاقة بين الأساتذة وبين الباحثين ، والنصح ، قضية إسلامية ، في غاية الأهمية، وطبعاً الشيخ قال: بأن شيخه قد قال له: لا تعدل بالعيش مع القرآن شيئاً ، وطبعاً (لا) هنا ناهية ، وهذا ينبهك لقضية – عن بعض أبنائي – عن الباحثين والدارسين ، وهي قضية أن جميع العلوم التي ندرسها ليست غاية في حد ذاتها ، وإنما هي في الإسلام وسيلة لا غاية ، فمن تخصص في اللغة ، في الفقه ، في التفسير ، في الحديث ، في علوم الفلك ، أو في أي باب من أبواب العلم ، يجب عليه أن يتخذ علمه وسيلة لمحاولة فهم بعض أسرار الله في كتابه، وأيضا سنة رسول الله ﷺ.

أما قصة الإجماع في التفسير فإنها تثير أيضاً قضية مهمة ، هذه القضية هي أننا نجد اختلافات ، ولا نقول خلافات؛ لأن الأمر إذا وصل إلى الخلاف فلا رجعة فيه ، الاختلافات الموجودة على مستوى عالمنا الإسلامي ، خاصة فيما يتصل بالقضايا الفكرية والعلمية ، وأن كل منطقة من هذا العالم الاسلامي قد تعنى بالتركيز على إشاعة الالتزام بمذهب معين من المذاهب الفقهية، ترسم حياتها مع هذا الفكر لذلك العالم ، وجميع ما قاله فقهاؤنا ، وهذا ربما يؤدي إلى اختلافات نلمسها نحن وخاصة بين شباب العالم الإسلامي ، وهذه اللحظات

القليلة التي سعدت بها مع أخي د.محمد الخضيري أنني قد تحدثت معه عن هذه القضايا ، وكنت أقول له: لم لا يكون عند العلماء على مستوى العالم الاسلامي في جميع التخصصات مسمى رأي الـ ..... ، فقال لي: تقصد الإجماع ؟ ، قلت: نعم ، وقد سعدت اليوم سعادة حين استمعت الآن إلى وقفات إيمانية منوعة ، الإجماع في الفقه ، الإجماع في التفسير ، الإجماع في اللغة .

الإجماع قضية في غاية الأهمية ... ، ومادام الباحثون والدارسون قد درسوا قضية الإجماع على هذه المستويات فنتمنى أن تخرج هذه الدراسات إلى حيّز التطبيق ، ثم نحاول أن نوصي ، - ونحن لا نملك إلا أن نوصي - أن هذه الدراسات لابد أن تطبق على أرض الواقع ، هذا حلم ، إن طبقناه لعادت الوحدة إلى أمتنا الإسلامية ، تلك الوحدة التي نرنو إليها جميعاً ، والتي ستكون السبب الأكبر في انتصار الأمة الإسلامية على جميع أعدائها .

أشار الدكتور إلى قضية صناعة اللوبي ، وهي لا تقف على هذا المعنى الظاهري ، وإنما تقف على قضية أدق وهي العلاقة بين الأستاذ والطالب ، فإن أحد الزملاء هنا قد حكى لي أنه قدّم أربعين موضوعاً حتى نوافق على موضوع من تلك الموضوعات الأربعين ، ولكن كان لنا منْقَبة في جامعة الأزهر أننا نعهد إلى كل قسم متخصص ونشكل لجنة من كبار الأساتذة ، تكون هذه اللجنة مسؤولة عن اقتراح الموضوعات في جميع التخصصات التي نفيد منها عالمنا الاسلامي ، وتكون هذه الموضوعات جاهزة ، ثم إنها فقدت أيضاً كما أشرت

سعادتك بأننا قد نضطر في موضوع معين ، هذا الموضوع يحتاج إلى تجهيز عدد من الباحثين ، ثم ينقطع هذا الموضوع ويبدأ موضوع آخر وهكذا ، واسمح لي أن أذكر للإخوة الحاضرين أنني قد خضت هذه التجربة بنفسي ففي أثناء إعداد بحوثي للأستاذية كتبت بحثاً تحت عنوان: قضية الاستشهاد في تاج العروس للزبيدي دراسة نقدية ، أخذت الجزء الأول فقط ، وقد خرج في أكثر من خمسمائة صفحة ، أكثر من المجلد الأول من تاج العروس ، كان من ضمن الوصايا أننا لابد أن نستمر في مثل هذا الموضوع ، وأن نبني نظرية الاستشهاد النظري عند العرب .

أُثني على قولك : "أن الإجماع هو أصح ألوان التفسير" ، كما أُثني على هذا الجهد الجهيد الذي بذلته حتى وصلت إلى هذه النتائج ، ولكن معذرة حين نقول بأن هذه الآية فيها خلاف !!، لا يوافق أحد على هذا ؟!؛ لأن أي آية هي منزلة من لدن حكيم حميد ، إنما نقول: تفسير هذه الآية فيه خلاف، كذلك حين نقول: تحرير محل النزاع في الآية ، لا ، لا نزاع في أي آية ، ولكن تحرير محل النزاع في آراء المفسرين حول هذه الآية .

مما يحمد لهذه الدراسة ، أنها قد أشارت إلى بعض الموضوعات التي يمكن أن يدرسها الباحثون ، والبحث في موضوع من هذه المواضيع ، سيكون بحثاً جاداً، وهناك نقاط أشرت إليها فضيلتك، وأردت أن أنوه أنني بحمد الله قد كان لي الشرف بالاتصال المباشر بالقرآن، أثناء الدراسات اللغوية ، وقد حققت بفضل الله البرهان للزركشي ، والإتقان للسيوطي ، تحقيقاً علمياً دقيقاً – أرجو أن

يكون هكذا – ثم قمت بدراسة للآراء النقدية التي قام بها السيوطي في كتابه الإتقان ، ولا أريد أن أركز على هذا ، لكن أردت أن أقول: إن معظم الدارسين والباحثين الذين يدرسون دراسات عجلى ، يقولون: إن فلانا قد جمع أقوال العلماء وما إلى ذلك ، لكن ليس كل جمع يعدُّ مجرّد جمع ، لكن الجمع نفسه يعدّ ... ، وقد أشرت إلى هذا في رسالتي للدكتوراه التي كان عنوانها: ... منهجه وأثره في الدراسات اللغوية، فاحتاج إلى جهد ، ثم إن جميع الذين جمعوا في الغالب ، كانت لهم آراء نقدية خاصة تؤثر على شخصياتهم المتميزة.

أشرت سعادتك إلى "لحم الخنزير" ، وهذا ذكرني بكتاب هو بين يديّ الآن؛ لأنني أقيم بعض الدراسات حول ... ، وهذا الكتاب في غاية الأهمية ؛ لأنه يركز على تلك الدقائق اللغوية ، وهو كتاب: "أسئلة القرآن المجيد وأجوبتها من غرائب أهل التنزيل" تأليف الرازي اللغوي ، وذكرني حديثك في مدى عناية المفسرين بقضية الإجماع ، بكتاب المحاور الخمسة للقرآن الكريم للشيخ محمد الغزالي، وحتى لا أطيل وأترك المجال لغيري، أسأل الله أن يجعل ما قلتَه في ميزان حسناتك وحسناتنا ، وأشكركم على هذه الدعوة ، جمعنا الله وإياكم على خير.

مداخلة د.عبدالله السرحان ، أستاذ البلاغة في جامعتي الأزهر والملك خالد.:

بسم الله الرحمن الرحيم

لدي بعض الاستفسارات والأسئلة لأني لم أسمعك تطرقت إليها :

أولاً : بحكم أن الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ هو أول من فسر القرآن كاملا ، ومن جاء بعده يأخذون منه في الغالب ، من أين استمد المفسرون الآخرون الذين جاؤوا بعد الطبري حكاية الإجماع ؟؛ لأن الطبري هو الأول ، ودائماً في البلاغة والفقه والتفسير يكون الأول هو المصدر لمن يأتي بعده في الغالب ، فمن أين استمد العلماء الذين اعتمدت عليهم – مثلاً – الإجماع إذا لم يسبقوا الطبري ؟

ثانياً : هل استقصيت كل الإجماعات من هذه الكتب الستة في بيان المعنى المراد ؟ وإذا كان الجواب لا، فما عدد المتروك من هذه الإجماعات؟ وهل يصلح البحث فيها مرةً أخرى؟

ثالثاً : هل العبارات والأساليب التي تحكي الإجماع عند هؤلاء المفسرين ؟ بمعنى أن أسلوب الطبري كذا ، "قال أهل التأويل قاطبة"، فهذه عبارة للإجماع وأنت اعتمدتها ، ما العبارة التي اعتمدتها عند ابن أبي حاتم والماوردي ..؟، هل نصصت عليها حتى إذا قرأتُ الرسالة استبان لي الأمر ؟ وجزاك الله خيراً .

– **الدكتور محمد الخضيري** : الدكتور عبدالله ، تخصص بلاغة ، وله دراسات قرآنية ، له كتاب أرسله إلي ، اسمه: "التدبر وعلاقته بالتأويل والاستنباط والفهم والتفسير دراسة بلاغية" ، وهو الآن يطبع في مركز تدبر .

- **مداخلة ((سعيد بن سعد الحماد))**

عندي استفسار : تعريف الإجماع يا شيخ عرفته في رسالتك فقلت: هو اتفاق مجتهدي عصر أو مجتهدي أمة محمد ﷺ في عصر على أي أمر كان ، ثم بعد ذلك ذكرت في المنهجية في المقدمة أنه إذا كان الخلاف قبل ذلك في حكاية الإجماع يعد الإجماع منتقضا ، فاحتمال أن العالم في القرن الرابع أو الخامس لما ذكر الإجماع ، كان في عصر من العصور مثلاً في القرن الثالث ، والمخالف في القرن الثاني ، فلماذا لا يعد هذا إجماعا ولا يعد نقضا؟ وإذا أردنا أن ننقض إجماع عالم من علماء القرن الرابع أو علماء القرن الخامس ، فلابد أن نتطلع في الأجيال السابقة كلها فأجد أن في كل جيل من الأجيال السابقة يكون فيه واحد خالف ، هكذا أقدر أن أقول: إني نقضت الإجماع ، أما يذكر في القرن السادس أو الخامس الإجماع ، والرجل الصحابي أو التابعي خالف احتمال الإجماع في القرن الثالث أو القرن الثاني ؟

- **الدكتور محمد الخضيري** : صبراً يا شيخ سعيد ، أنت تريد الآن ، أن لو نقل أحدهم الإجماع ، أو حكى أحدهم الإجماع متأخراً في القرن الخامس، ثم وجدنا مخالفاً في القرن الأول ، أنت تريد أن تقول أن الإجماع هذا قد يكون اتفاقاً لمجتهدي الأمة في ذلك القرن ، القرن الثالث أو القرن الخامس ، فكيف تنقض هذا الإجماع بخلاف متقدم .

- **الشيخ سعيد** : المسألة الأولى : التعريف يقول في عصر من العصور ، وكلمة عصر: دلّ على أنها في زمن محدد ، قد يكون في سنة محددة .

المسألة الثانية : مستند الإجماع ، لا أعلم أنك ذكرت في الرسالة مستند الإجماع.

- **الدكتور الخضيري** : إلا ذكرته ، وهو من ضمن الشرائح ، لكن تعدينا المسائل الأصولية كلها.

- **الشيخ سعيد:** لا ، أنا أقصد مستند الإجماع عند التطبيق ، مثلاً: دلالة السياق ، دلالة اللغة ، دلالة النص .

- **الدكتور الخضيري** : نعم، هذا صحيح .

- **الشيخ سعيد** : المسألة الثالثة ، ضابط الشاذ ، قلت: "إذا كان هناك قول شاذ خالف الإجماع ، فإن هذا القول الشاذ لا ينظر إليه" ، كيف نعرفه ، ما ضابط القول الشاذ ؟ ، وكيف نفرق بينه وبين القول المرجوح ؟ فقد يكون القول المرجوح يؤثر في الإجماع ، بينما الشاذ لا يؤثر في الإجماع ، فما الفرق بينهما ؟

المسألة الرابعة: هل هناك فرق بين حاكي الإجماع وذاكر الإجماع، الشيخ عبدالله ذكر هذه القضية ، التي هي مصطلحات الإجماع التي اعتمدت .

الأمر الآخر: هل هناك فرق بين من يحكي الإجماع، ومن يذكره من خلال استقرائه.

وهل هناك فرق في العلماء ، بين المفسرين أنفسهم ، مثل القرطبي ذكرت أنه ينقل الإجماع من غيره ، أي: ما يذكر الإجماع من تلقاء نفسه ، والشيخ ذكر هذه القضية يأتي الإجماع بعد الطبري ، وجزاكم الله خيراً.

– **مداخلة ((علي بن سعيد العبيدي – قسم العقيدة)) :**

لاحظت في أكثر الأمثلة التي ذكرتها ، تداخل مع باب العقيدة ، ذكـــرت اليقين ، والكرسي ، والساعة ، و (سيجنبها الأتقى) ، إلى آخره ، فما الســـر وراء هذا ؟ .

والأمر الثاني: مَنْ أكثر المفسرين حكاية للإجماع في بـــاب العقيـــدة ... ؟ جزاكم الله خيراً

– **الدكتور محمد الخضيري** : الأموال (ما موقعها هنا؟) فيها رسالة نزلت في السوق الآن "الإجماعات العقدية عند ابن تيمية" هل رأيتها؟ .

– **الشيخ علي بن سعيد:** ما رأيتها ، ولكن بصفة عامة .

– **الدكتور الخضيري** : نعم ، نزلت في مجلـــد أو مجلـــدين ، نزلـــت في الأسواق قريباً.

– **المقدّم:** حقوق نشر المواضيع لعلوم القرآن فقط ، ما نعطي التخصصات الأخرى.

– مداخلة ((أحمد الحصيني – كلية الشريعة – جامعة الملك خالد – الباحث عن موضوع..

مداخلتي لن تكون مداخلة علمية ، مثل ما ذكروا المشايخ قبلي ، فأنا في هذا الباب ذَكرت أشياء ذُكرت قبل فلن أذكرها ، ولكن بيني وبينك يا شيخ محمد علائق كثيرة :

أولاً: فأنا من كلية المعلمين سابقاً عينت معيدا فيها.

ثانياً: زاملت الأخ إبراهيم بن عبد العزيز الخضيري في الدكتوراه في الجامعة الإسلامية ، الفصل الماضي ، فيشق عليّ صراحة أن أتواصل معه حتى في الأخير ... على رسالة جوال ، والآن وأنت تتكلم في موضوعات ، يهمني هذا الحديث كثيراً ؛ لأنني أبحث عن موضوع لتسجيل الدكتوراه بعد مدة.

– **الدكتور الخضيري** : اذهب للحرم مثلي، واجلس في الصحن.

– **أحمد الحصيني** : وفي الماجستير كان اختيار الموضوع مشابه لهذا الحدث الذي يحصل الآن بالنسبة لي ، ولن أتكلم عنه الآن ، وأريد حقيقة يا شيخ أن أستفيد من مسألة ، أني أسجل موضوعا ، وأنا كتبت الآن موضوعات متعددة من خلال ما ذكرت ، خاصة الطبري ، لأنني أحب أن أقرأ له كثيراً .

– **الدكتور الخضيري**: وأنت على خير إذا قرأت فيه .

– **أحمد الحصيني** : أريد حقيقة أني عندما أتواصل معه في هذا الأمر أن أظفر بأمرين ، الأول : أني أكون أول من يحصل على نسخة من الرسالة .

- **د.محمد الخضيري** : رسالة الإجماع في التفسير ، الأول، لا ، قل من الأوائل.

- **المقدّم:** كل هؤلاء إن شاء الله سنعطيهم دفعة واحدة ، عند الشيخ أحمد سيعزمنا، ونعطي الجميع دفعة واحدة.

- **أحمد الحصيني** : كم عددهم ؟.

- **المقدّم:** عددهم ٢٣.

- **أحمد الحصيني:** سييسرها الله ، عندي اقتراح يشتري نسخة من السوق أوفر له من العشاء، جيّد العشاء يا شيخ ، قد أظفر بعد ذلك ببحوث ترقية.

- **الشيخ أحمد الحصيني** : الأمر الآخر يا شيخ أنا أعلم بانشغالك بالكثير ، لكن أتمنى أن يكون وصولي إليك فيه شيء من اليسر من أجل أن أسجل الموضوع في أقرب فرصة.

- **مداخلة** : صراحة كنت أتمنى من ضمن الكتب التي اخترتها "زاد المسير لابن الجوزي" ، فهو في نقله للأقوال المختلفة في الآية الواحدة ، وأحياناً في المفردة الواحدة ، يكاد يتميز بهذا في كتب التفسير ، فلو أعدت النظر بعد إخراج الكتاب جعلته ، فهو أولى من البسيط ، أو الوسيط ، في نظري ، ولا سيما أنك رددت أن ابن عطية متخصص في اللغة ، كان يغني عن البسيط في نظري ، ولك وجهة نظرك ومن أشرف معك ، وما أريد قوله : إن زاد المسير عنايته بالأقوال والإجماع في الأقوال ظاهرة بين كتب التفسير والله أعلم .

– مداخلة ((محمد عبد الرحمن – أستاذ مساعد في كلية الشريعة وأصول الدين في القاهرة))

لدي استفسار : إذا أجمع العلماء على أن المراد بحرف التفسير في قول الله – عز وجل– (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) هل لا يجوز لنا أن نتعدى هذا الحرف أم لا، خصوصاً في هذه الآية ؟ فقط، وجزاك الله خيراً.

– **المقدّم** :شكر الله لكم جميعاً ، مداخلات مثرية ، ونستمع الآن إلى تعليقات للدكتور محمد ، دقائق فقط ، ثم بعدها العشاء .

– **الشيخ محمد الخضيري** : أشكر من كل قلبي الدكتور محمد منصور على إفاداته وتعليقاته القيمة ، وعلى ثنائه الكثير الذي لا أستحقه ، ولكن هذا من عطفه على ابنه ، وتشجيعه له ..

– د.عبد الله السرحان ، سألني أسئلة – أسأل الله أن يعينني عليها – من أين استمد المفسرون إجماعاتهم ؟.. الذي يظهر لي أن غالب من يحكي الإجماع يعتمد طريقة الاستقراء ، وقد ذكرت في الجانب النظري أو الدراسة النظرية ، أن من مصادر ذكر الإجماع هو الاستقراء ، وذلك أن يأتي العالم فيستقرئ أقوال العلماء وينظر هل اختلفوا ؟، خصوصاً إذا كان متمكناً في باب الخلاف وفي علم الآثار (آثار من سبق) ، وعلى ضوء ما سبق ينقل ذلك الإجماع ، أو يحكي الإجماع ، وهذا يشمل المتقدمين ، وأنا أقول: والمتأخرين أيضا ، لماذا ؟ ، أنا الآن بإمكاني بعد أن طبعت كثير من الكتب المعنية بالآثار والحمد لله الآن،

المكتبة الإسلامية في باب التفسير أو في العقيدة أو في الحديث تكاد تقول إنها استوفت على شيء كبير ، لا يكاد ، يعني الذي سيأتي إنما هو زيادة ، يعني تفريع ، لكن في الأصول ، الأصول موجودة خصوصاً باب الخلاف يهتم العلماء به ، فهو من باب الإجماع الاستقرائي ، والإجماع الاستقرائي قد ذكره العلماء – رحمهم الله تعالى – ، وبينوا أنه معتبر إذا كان ذلك الاستقراء من عالم متمكن ، وقد بالغ في الاستقراء ، وهنا يأتي دوري في نقض الإجماع أيضاً بطريقة الاستقراء ، فحتى أتثبت من أن هذا العالم قد صدق أو صحّ له نقل الإجماع ، يعني: جاء بإجماع صحيح ، أنا أستقرئ مثل ما استقرأ ؛ فإذا لم ينقض ذلك الإجماع تبين لي أن الإجماع قد وقع ، لكن هنا الإجماع بالاستقراء لا يمكن أن يكون إجماعاً قطعياً ، في الغالب أنه يعتبر من أبواب الإجماعات الظنية.

– يقول في السؤال الآخر : هل استقصيت الإجماعات ؟

أقول : جردنا الكتب ، وحاولنا أن نستقصي ، لكن تبين فيما بعد أن هناك مواضع فاتت علينا، السبب : قصر المدة ، وكثرة الكتب ، أكثر من خمسة وسبعين مجلدا من الطبعات القديمة ، الآن الطبري في ستة وعشرين مجلدا ، والقرطبي خمسة وعشرين ، هذه خمسين ، هذا كتابين ، فخذ بعدها ابن عطية ، وابن أبي حاتم وغيرهم تقدر تقريباً ١٢٠ مائة وعشرين مجلدا ، فالاستقصاء في مثل هذا يحتاج إلى جملة من الباحثين الرصينين المتمكنين ، ولذا أقول بالإمكان أن يعيد الإنسان على بعض هذه الكتب وسيجد فيها مجالاً للبحث والجمع مرة

أخرى .

السؤال الثالث : يقول د.عبد الله : هل اعتمدت بالعبارات الأخرى ؟

أقول: نعم ، كل عبارة تدلّ على الإجماع ، أنا أجمعها ، لكن إذا كانت العبارة ليست من العبارات الصريحة ، مثلاً أن يقول ابن جرير - رحمه الله -: "وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل" ، هذه استبعدتها ، لكن إذا قال: أجمع ، أو جميع ، أو قال اتفقوا ، أو لا خلاف بينهم ، أو لم أجد فيه خلافاً ، فهذه العبارات اعتمدتها ، ونقلت الكلام فيها ، وعند قراءتكم لرسالتي ترون هذا فيها بإذن الله - عز وجل - .

- **مداخلة** : عبارة ابن جرير مشهورة ومعروفة ، لكن من جاء بعده هل رددوا عبارته هذه؟ أم أنه كانت لهم عبارات خاصة لهم ؟ ، وإذا كانت لهم عبارات خاصة بهم فهل عددتها؟ ، يعني هل جمعت الصيغ ؟ هل عقدت مبحثا في الصيغ؟

- **الشيخ محمد الخضيري** : لا ، أنا ما جمعت الصيغ ، لكن كثيرا منهم يحكي عبارة الطبري دون أن ينقلها .

- **مداخلة** : هذا يولّد بحثا آخر بعنوان : اصطلاحات الأئمة أصحاب الإجماع .

- **المقدّم:** خاصة بحث ترقية ، أما بحث الماجستير والدكتوراه فلا .

الشيخ محمد الخضيري : صدقني محتملة لرسالة ماجستير أو دكتوراة ، بالصيغ ، الشيخ سعيد الحماد جزاه الله خيراً ، يقول : في عصر من العصور : " لما ذكر

العلماء الإجماع ، ذكروا له شروطاً ، ومن ضمن هذه الشروط التي ذكروها : أن لا يكون إجماعهم في عصر من العصور مسبوقاً بخلاف؛ لأنه إذا سبق بخلاف، واستقر هذا الخلاف ، لا يمكن أن ينعقد إجماع بعده ، لماذا لا يمكن أن ينعقد إجماع بعده ؟؛ لأنه لا يؤمن أن يأتي أحدٌ من الأئمة أو العلماء فيقلّد واحداً ممن سبق ، ممن خالفوا ، فكيف يحكى الإجماع ، هنا يستحيل حكاية الإجماع ، وهنا تأتي مسألة استقرار الخلاف ، من عدم استقرار الخلاف .

- **مداخلة:** التعريف فيه إشكال ؟

- **الشيخ الخضيري** : لا ، التعريف يحتاج إلى شروط ، والتعريفات مختصرة ، لكن هذا من شروطه وضوابطه.

- **استقرار الخلاف ما هو ؟**

إذا استقرّ الخلاف في مسألة ، لم يجز نقل الإجماع بعده ، في عصرنا اختلف الناس في رمي الطيور بالبندقية ، أوّل ما جاءت البندقية ، اختلفوا في رمي الطيور بالبندقية ، هل هذا رمي بالمثقل أم بالمحدد ؟ ، وكان بعض العلماء يرى أن الصيد الذي يكون بالبندقية أنه وقيذ ؛ لأنهم ما عرفوا حقيقة البندقية ، ولا كيف تخرق جسد الصيد ، بعد ذلك أجمعوا على أن الصيد بالبندقية حلال ، لماذا؟ ؛ لأنه استبان الأمر للعلماء ، الخلاف الذي وقع بعد ذلك هو خلاف في أي شيء ، لم يستقر ؛ لأنه لم تتكيف هذه القضية للعلماء تكيفاً تاماً ، مثل بعض المسائل المعاصرة أوّل ما تنزل بالمسلمين تجد بعض العلماء من يفتي بحرمة هذا الشيء ، أو يضع فيه شيئاً ، ثم يمضي قول الناس وعملهم ، وقول العلماء

وفتاواهم على خلافه ، مثل من استحب الدخان أوّل ما جاء ، بعض العلماء استحبوه ، بناء على أنه يعين على العبادة ، حتى وضع في المساجد في بعض الدول ، لكن لما اتضحت المسألة ، لا أحد يقول باستحبابه ، يدور الكلام الآن بين أهل العلم على الكراهة والتحريم.

مستند الإجماع في قضية القرآن : المستند موجود وهو القرآن ، يعني في التفسير المستند هو القرآن ، فحين أقول مثلاً في قول الله - عز و جل - (فبلغن) أي: قاربن، هنا ما يحتاج إلى مستند ؛ لأنه الآن تفسير النص ، وتفسير النص هنا لا نحتاج فيه إلى مستند؛ لأن هذا يلزم منه التسلسل ، المستند يحتاج إلى مستند ، والمستند يحتاج إلى مستند ونستمر ، ما دام الآن تفسير النص أجمع العلماء على أنّ هذا النص أو هذه الكلمة تفسيرها كذا ، نكتفي بهذا ، نأتي إلى المستند من كتاب أو سنة أو إجماع أو قياس عندما نستدل على مسألة فقهية مثلاً ، فنقول ما مستند الإجماع في هذه المسألة الفقهية مثلاً ؟ ، مستندهم الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس ، عند من يقول بهما ، والله أعلم.

أما ضابط الشاذ : الآن ما أمتلك العبارة الرصينة التي تعبر عن ذلك ، ولكن هو القول الخارج عن أقوال أهل العلم ، ولا تكاد تجد من تابع ذلك القائل على قوله، ففي الأقوال الشاذة في التفسير سجّل أحد الزملاء، وهو: د.عبد الرحمن الدهش ، زميلنا في القسم ، وأنا أخذت الإجماع ، وهو أخذ الشاذ ، لكن بعد.

والغريب إن هناك من طلاب العلم من أخذ الشاذ في الأصول وهو الدكتور

السديس في الجامعة الإسلامية ، فيقول له أحد الإخوة ، الدكتور السحيباني: يظهر لي والله أعلم أن هذه الرسالة ستناقش يوم العيد ، قالوا له: لماذا ستناقش يوم العيد؟ ، قال: لأنه يوم شاذ، لا تناقش فيه رسالة .

فهذا القول الشاذ ، أما المرجوح فالعادة أن القول المرجوح يكون له اعتبار بنوع ما؛ إما لأن صاحبه استند إلى أدلة ، لكن هذه الأدلة ليست قوية ، أما القول الشاذ فهو منبت ، تجده غريبا ، نافرا ، عامة العلماء لا يتابعون من قاله على ذلك القول ، وهي كثيرة جداً ، لا تكاد تجد عالماً من علماء الإسلام إلا وعنده قول يشذ به ، ولذلك قالوا : "أن من تتبع أقوال أو شواذ أهل العلم ، تزندق " .

أما عن الفرق بين حاكي الإجماع ، والذي يستقرئ الإجماع: فلعلي أجبت عليه فيما قبل.

من العلماء من يحكي الإجماع لاعتباراته العلمية ، وتمكنه بطريقة النقل عن الأئمة، أو بطريقة الاستقراء ، وغالب من يأتون من المتأخرين فيما رأيت ، ينقلون عن المتقدمين.

- الاستقراء على المتقدمين لاشك أنه أسهل ؛ لأنهم أقرب إلى عهود الصحابة والتابعين وغيرهم. والاستقراء التام في مثل هذه الأمور صعب جداً ، لكن هو ظاهر ، هو من الأمور المظنونة ، أما الآن أقوم فأتتبع أقوال أهل العلم ، في جميع الكتب المتاحة بين يدي ، وأنظر في أقوال أهل العلم ، لا يمكن في هذه الحالة حسب ما يظهر ، أنهم كلهم يغفلون ذلك القول الذي لإمام من أئمة

المسلمين ، فيقول وقد أجمع العلماء أو لا خلاف بين العلماء يعني فيما استقرأنا.

- **الرد على تساؤل الأستاذ علي العبيدي** :إجماعات العقيدة ، ذكرنا بعض الأمثلة في العقيدة ليتميز بها فضل الإجماع ، وأن الإجماع أساس من أسس ضبط الدين لئلا يدخل إليه انحراف ، فأنت عندما تقول (اليقين) بمعنى: الموت إجماعاً ، أنت الآن تردّ على طائفة تريد أن تحرف المسار ، لكن لو جئنا به في بعض الكلمات التي ذكرت في بعض المسائل ، ما يتضح به فضل الإجماع وفائدته، فهو في باب الاعتقاد له أثر بالغ جداً ، ولذلك أنا أؤكد في مجال العقيدة دراسة الإجماع والاعتداد به ؛ لأنه من أعظم الوسائل للردّ على الطوائف الضالة .

- أما أكثر من يركز على الإجماع في العقيدة : ما عندي جواب في هذا على سبيل القطع والحقيقة، لكني أتوقع أنه شيخ الاسلام ابن تيمية -رحمه الله- وابن القيم بحكم اهتمامهما بأمر الاعتقاد ، فإنهما كثيراً ما يحكيان الإجماع ، أما بالنسبة للمفسرين القرطبي - رحمه الله- غالباً ما إذا جاءت آية فيها الرد على القدرية ونحوهم ، أنه يذكرها ويذكر رده فيها على هؤلاء الضالين ، فالقرطبي - رحمه الله- أيضاً له عناية في جانب الاعتقاد .

- **تساؤل الدكتور قاسم** : عن تفسير زاد المسير ، لماذا لم يقع اختياري عليه؟

وجدت أن زاد المسير هو عبارة عن كتاب نكت العيون للماوردي مع زيادات يسيرة ، بمعنى: أن زاد المسير هو نكت العيون ، لكن زاد المسير أكثر

بسطاً منه ، فقلت: أعتمد على المتقدم ، وأترك المتأخر نجعله للدراسة ، وليس لاستنباط الإجماعات ، خصوصاً أني تصفحت الكتاب تصفحاً إجمالياً ، فما وجدته يذكر إجماعاً إلا شيئاً لا يكاد يذكر ، فلأجل ذلك اخترت الماوردي ، قلت: لأنه متقدم ؛ ولأنه صاحب الفكرة الأساسية ، فأخذت النكت والعيون للماوردي ، وتركت زاد المسير، واعتمدت عليه في البحث عن الأقوال وتقصيها .

- **سؤال د.محمد عبد الرحمن** في إجماع العلماء على ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ :

أقول : السلف أجمعوا على أن المغضوب عليهم هم اليهود ، نحن هنا ما هي مهمتنا ؟ ، لما يجمع السلف على أن المغضوب عليهم هم اليهود ، وجاء إنسان قال: ليس المقصود بهم اليهود ، قلنا له : لا ، هذا مجمع عليه ، وما يجوز لك الخروج عليه ، لو قال : لا ، المقصود بهم البوذيون ، نقول : لا ، المقصود بهم اليهود ، طيب، لو أردنا أن نقيس على اليهود من شابههم فيها ، أخذت صفاتهم، قلنا: هذه مهمة المفسر ، أنه يأتي إلى النص ، فينظر إلى ما قاله السلف، فلا يتعداه ، بمعنى أنه لا يخرقه ، لكن يقيس عليه ، وأن يطوره ، وأن يفعِّله في الواقع ، فأقول مثلاً: الحداثيون والليبراليون من المغضوب عليهم ، نعم ؛ لأنهم يعرفون الحق ويتجاوزونه ، الرافضة الذين يسبون أصحاب النبي ﷺ، وينكرون أن القرآن الذي بين أيدينا قرآنا كاملاً ، ويشككون في نسبته ، هؤلاء من

المغضوب عليهم ، يعني: لهم نصيب من الغضب ، ولذلك قال سفيان بن عيينه : "من ضلّ من علمائنا ، ففيه شبه باليهود ، ومن ضلّ من عبادنا ففيه شبه بالنصارى" ، أخذاً من هذه الآية ، هذا هو التوظيف الأمثل للتفسير ، وفهم حقيقة دعوتنا للعودة إلى تفسير السلف ، وفهمه ، وجعله حداً لا يجوز تجاوزه أو التعدي عليه .

إذن: دخول اليهود والنصارى دخولاً أوّلياً ، ويقاس عليهم من شابههم في أخص صفاتهم.

- **مداخلة** : الغضب والضلالة هنا يعدّ غضباً نسبياً وضلالاً نسبياً.

- **الشيخ محمد الخضيري** : لكل منهم حظ من هذا ، وجزاكم الله خيراً .

انتهى بعون الله وتوفيقه ، وأعتذر مجدداً عن التأخير ، أسأل الله أن ينفع ويبارك .

قصة المفاجآت الخمس

د. محمد متولي منصور

ما علاقة هذا الموضوع بقصة رسالة خاصة والكلام فيها هش وركيك لا يرقى أبدا وما قرن به، والاعتراضات عليه كثيرة ولها وجاهتها).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، نحمده حمد الشاكرين ونشكره شكر الحامدين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين – صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين – ، ثم أما بعد :

فقد كتب كثير من المستشرقين عن القرآن الكريم منهم من كان منصفًا وهم قلةٌ، وأكثرهم غير منصفين، ولا عجب ، فأغلبهم مبشرون بدياناهم والكثرة منهم صليبيون لا يزالون يحملون الحقد على الإسلام ، فهم لا يكادون يجدون ثغرةً ينفثون منها أحقادهم وسمومهم إلا نفثوا منها، ولا روايةً واهيةً منكرةً إلا طبّلوا لها وزمّروا ، ولا عليهم لو زيّفوا الصحيح مادام ذلك يساعدهم على أهوائهم ولأجل أن يروجوا لأنفسهم عند المسلمين تستروا تحت شعار البحث العلمي وحرية الفكر والرأي .

والسؤال : هل يمكن للعقلية المنطقية أن تتفتق عن صنفٍ ثالثٍ من المستشرقين ؟ وهل حملت إلينا أحداث التاريخ وحقائق البحث العلمي معالم

ذلك ؟ وبتساؤلٍ أدقٍ : هل من فريق بين فريقي الإنصاف والطعن ؟؟ سيجيب على هذه التساؤلات فارس ميدان البيان في قصةٍ مُفاجِئة: تحمل خمس مفاجآتٍ؛ وقبل أن أشرع في الحديث أعرِّفُ الحضور بالضيف.

ولد الشيخ (محمد متولي منصور) في مصر قبل ما يقـــرب مـــن خمســـة وخمسين عامًا ، واتحدت مراحله الدراسية العليا في أمرين، أولهما : أنها كانـــت في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة ، والأخرى كان التفوق العلمـــي حليف ضيفنا يحصد في كل مرحلةٍ مرتبة الشرف التي تشْرف به ، بـــدءًا مـــن الإجازة العالية الليسانس عام ١٩٧٩م ، ثم شهادة التخصص وهي الماجستير في أصول اللغة العربية في الدراسات اللُّغوية عند الحريري في ضوء كتابـــه: (درة الغواص في أوهام الخواص) حصل عليها في عام ١٩٨٥م . أما الشهادة العالمية وهي الدكتوراه فكانت في أصول اللُّغة كذلك عن أطروحته ابن منظور منهجه وأثره في الدراسات اللُّغوية وقد حصل عليها عام ١٩٨٩م. أما السيرة العمليـــة فقد تدرج في مراتب العمل الجامعيّ التعليميّ من معيدٍ في عام ١٩٨١م ، وحتى نال الأستاذية في عام ٢٠٠٩م في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر بالقاهرة.

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصـــحبه أجمعين.

أما **بعد:**

فإن ديننا الإسلامي يفيض علينا أن من لم يشكر الناس لم يشكر الله، ومن هذا المنطلق فإنني أتوجه بعظيم شكري وجميل تقديري إلى الجمعيـــة العلميـــة السعودية للقرآن الكريم وعلومه -فرع أبها - وأخصّ بالشكر أخي الدكتور : محمد بن عبد الله بن جابر القحطاني ، الذي أصفه بأنه أولاً بحاثةٌ ، ثم إنّه دائمًا يحب أن ينفع إخوانه وأنتم تعلمون أن سيدنا رسول الله —صلى الله عليه وسلم- قد قال :" خير الناس أنفعهم للناس ". كما أشكر أخي سعادة الدكتور ناصـــر على هذه التقدمة التي لست أهلاً لها ولا من فرسان ميدانها، وأسأل الله أن يجزيه عني وعن الإسلام خير الجزاء، والشكر موصول لكم جميعـــاً أيهـــا الأســـاتذة الأكارم فكل واحدٍ منكم بفضل الله إنما يجلس على ثغرةٍ من ثغور الإسلام ينافح عن كتاب ربنا وعن سنة نبينا-صلى الله عليه وسلم - ، وأسأل الله أن يجعـــل هذا اللقاء في ميزان حسناتي وحسناتكم يوم يقوم الناس لرب العالمين ، وبعد،

فقبل أن أبدأ في قصة المفاجآت الخمس أقدم تمهيداً موجزاً، هذا التمهيـــد يتعلق بالاستشراق والقرآن ، وكما قال أخي د/ناصر في مقدمته: إنّ كثيراً من المستشرقين قد درسوا القرآن بغية أن يجدوا فيه مطعناً فتهتز ثقـــة المســـلمين في كتابهم الكريم ، وقليلٌ منهم من درس القرآن بتجردٍ ثم كان القرآن طريقاً لهدايته إلى الإسلام.

وهناك افتراءاتٌ كثيرةٌ من قبل المستشرقين أكتفي بذكر بعضها بين يـــدي هذا اللقاء فأقول: من افتراءاهم ضد القرآن أهم قالوا :أن سيدنا محمدًا –صـــلى الله عليه وسلم– هو الذي ألّف القرآن فقد استقى طريقة القرآن مـــن ســـجع الكهان السابق قبل الإسلام.

وهذه الدعوة استحدثت بشكلٍ آخر على يد المستشرقين. ويؤكدون أنـــه من محمدٍ –صلى الله عليه وسلم – بدعوى أن الله لم يتحدث العربية فـــالقرآن يعتبر كتاباً بشريًّا ، وهو عرضةٌ في نظرهم للنقد والتبديل، ويقدمون أدلةً واهيةً على ذلك فيعتبرون مثلاً اختلاف الأساليب بين العصرين المكي والمـــدني مـــن حيث قصر العبارات واللهجة الشديدة في تقليل أوصاف العقـــاب والثـــواب ، وتكرار الآيات في العهد الأول، ورواية قصص الأنبياء، والإكثار مـــن جـــدل اليهود والنصارى في العصر الأخير ، ثم يقولون: إنّ القرآن نـــزل بـــالمعنى وأن الرسول –صلى الله عليه وسلم – صاغه بألفاظه .

ومما قاله أحد الدعاة في عصرنا الحديث: أنّ العشرين سنةً القادمة هي سنيّ القرآن الكريم والدراسات القرآنية ، لكن سيظل المستشرقون الحاقـــدون علـــى الإسلام ينفثون سمومهم ضد هذا الدين ويجب علينا أن نُعنى بتمحيص آرائهـــم والرد عليها ردًا علميًّا.

آخر مفترياهم أيضًا قضية كتاب: (فرقان الحق) وهو كتابٌ كما تعلمـــون ألفه مسيحيٌّ من فلسطين وهذا الكتاب يقع في ٣٦٦ صفحةً ، وفيه ٧٧ سورةً واختار أسماء له تشبه أسماء سور القرآن الكريم تبدأ بسورة الفاتحة ، ومن أسماء

السور عنده (المحبة – المسبح – الزنا – الماكرين – الأضحى) وهو مترجمٌ للغة العربية. ابتدأ بمقدمةٍ مسمومةٍ ترسخ الخلط العقائدي وحرية الأديان، وقد صدر منه الجزء الأول وسيتبعه جزءٌ ثانٍ في ٣٠٠ صفحةٍ ، وجــزءٌ ثالــثٌ في ١٥٧ صفحةٍ ، وجزءٌ رابعٌ في ٣٠٠ صفحةٍ. ولنا أن نتساءل: مــا الســرُّ في عنايــة المستشرقين بالقرآن الكريم ؟ ولعل الإجابة هي : لأنّه الكتاب المقــدس عنــد المسلمين.

وهناك أقوالٌ كثيرةٌ يقولها المستشرقون ضد القرآن ، من هــؤلاء الحاخــام الأكبر في إسرائيل – سابقًا – يقول –وهو يخاطب مجموعــةً علــى وشــك الالتحاق بالجيش الإسرائيلي – : هذا الكتاب الذي يسمونه القرآن هو عدونا الأكبر والأوحد ، هذا العدو لا تستطيع وسائلنا العسكرية مواجهتــه. كيــف يمكن تحقيق السلام في وقتٍ يقدس العرب والمسلمون فيه كتابًا ، يجــب علــى حكام العرب أن يختاروا إما القرآن أو السلام.

وقال بعضهم –وكان ذاهباً إلى الجنود الإيطاليين في ليبيا ووجدهم يتغنــون ويقولون وهم فرحون مسرورون – كل واحدٍ منهم يقول : "سأبذل دمــي في سبيل سحق الأمة الملعونة ومحو القرآن ، ويقول لأمه :وإذا مت يا أمــاه فــلا تبكيني، وإذا سألك أحد عن عدم حدادك علي فقولي : لقد مات وهو يحــارب الإسلام ". إلى آخر تلك الأقوال التي يبثها هؤلاء الحاقدون ضد القرآن الكريم.

واجتذبُ أيضاً فأقول إنّ أبرز سمات منهج المستشرقين الذين درسوا الإسلام يقوم على الأسس الآتية:

١- تحليل الإسلام ودراسته بعقليةٍ أوروبيةٍ. فهم حكموا على الإسلام معتمدين على القيم والمقاييس الغربية المستمدة من الفهم القاصر والمغلوط الذي يجهل حقيقة الإسلام.

٢- تبييت فكرةٍ مسبقةٍ ثم اللجوء إلى النصوص واصطيادها لإثبات تلك الفكرة واستبعاد ما يخالفها. وللأسف أنّ بعض المسلمين الذين يعجبون بثقافات الغرب قد يسيرون بهذا الاتجاه ، وكنت أناقش أخي في مكتبه الدكتور محمد القحطاني منذ أيام وأقول له : إن منهجنا أن نستدل ثم نعتقد لا أن نعتقد ثم نستدل.

٣- اعتمادهم على الضعيف والشاذ من الأخبار وغض الطرف عما هو صحيح وثابت.

٤- تحريف النصوص ونقلها نقلًا مشوهًا.

المهم عشر سمات لهذا المنهج، منهج المستشرقين في دراستهم للقرآن الكريم .

من هذا المنطلق يأتي لقاؤنا في هذه الليلة المباركة ومع هذه الأرواح المباركة الطيبة.

وهذه المفاجآت الخمس يسعدني أن أخبركم أنها حدثت على أرض الحرمين الشريفين تلك الأرض المباركة المقدسة التي تهوي إليها الأفئدة ، وهذا ليس كلام البشر ولكنه كلام صاحب القوة والقدرة.

أستاذٌ يسمى الدكتور : جاري ميلر كان كندي الجنسية ، وكان أستاذاً للرياضيات والمنطق بجامعة تورنتو ، كتب مقالةً بالإنجليزية بعنوان: (القرآن

المذهل) وكان يعمل أستاذاً للرياضيات بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن ، وكان من كبار القساوسة يقول : (قرأت القرآن الكريم بعنايةٍ وتأملٍ وتدبرٍ من أجل أن أبحث فيه عن مغمزٍ أطعن من خلاله في هذا الكتاب ، فبدل أن يجد مغمزاً في القرآن الكريم إذا به يكتشف خمس مفاجآتٍ ؛

أما الأولى فيقول : وجدت في القرآن الكريم سورةً تسمى بسورة (مريم) برّأها ربنا في هذه السورة مما اتهمها به قومه ، ولم أجد في القرآن سورة تسمى بسورة خديجة بنت خويلدٍ ولا فاطمة بنت محمدٍ.

وباحثٌ مثلي عُني باللغة وعُني بالدعوة لا بد أن يميط اللثام عن هذه المفاجأة : سورة مريم كما تعلمون سورةٌ مكيةٌ آياتها ثمان وتسعون آيةً ، وغرض هذه السورة (تقرير التوحيد).

والسور المكية كما تعلمون جميعًا تُعنى بقضية العقيدة من ناحية التوحيد والرسالة والبعث والجزاء وما إلى ذلك ، هذه السورة الكريمة عرضت قصص بعض الأنبياء -عليهم السلام - وهم عشرة :زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى وهارون وإسماعيل وإدريس .

وعند القصص القرآني أودُّ أن أذكِّر نفسي وأذكركم أنني قرأت كتاباً لداعية عصره الشيخ محمد الغزالي تحت عنوان: (المحاور الخمسة في القرآن الكريم)، وذكر المحاور الخمسة الرئيسة في القرآن الكريم : هي الحديث عن الذات العليّة (الله)، والحديث عن الكون ، والحديث عن التربية والتشريع ، والحديث عن البعث والجزاء ، ثم الحديث عن القصص القرآني.

وقد ذكر لنا بأنّ أوسع محاور القرآن الكريم إنّما هو محور القصص القرآني.

(سورة مريم) اشتملت على مجموعةٍ من القصص ؛ القصة الأولى : قصة زكريا ويحيى -عليهما السلام -. القصة الثانية : قصة مريم وابنها عيسى -عليهما السلام -. القصة الثالثة :قصة إبراهيم مع أبيه وتحطيمه للأصنام.

ولي بعض التأملات اللُّغوية في هذه السورة فمما ورد فيها قول الله تعالى مخاطبًا مريم عليها السلام : ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾ [مريم:٢٥].

ثم قوله -تبارك وتعالى-: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴾ [مريم:٨٣].

حين رسم الأفّاكون رسوماً مسيئة لرسول الله-صلى الله عليه وسلم -؛ ماذا فعلت الأمة الإسلامية خرجت وهبّت وثارت وقامت المظاهرات هنا وهناك ووجدت بعضهم كتب على سيارته لافتات: (فداك أبي وأمي يا رسول الله). ثم هدأت هذه الثورة أو الفورة فهل هدأ الأعداء ؟!

أبداً سيظلون دائماً مستمرين في غيهم سائرين في بثّ سمومهم ضد الإسلام وضد القرآن وضد رسولنا-صلى الله عليه وسلم-. وحين سُئلت في بعض وسائل الإعلام ما هو الرد العملي على أمثال تلك الهجمات الشرسة ؟ كانت الإجابة : يجب علينا أن نؤكد صلتنا وصلة شبابنا بالذات بكتاب الله وسنة رسوله —صلى الله عليه وسلم-.

وحين ظهر هذا الكتاب: (فرقان الحق) وسئلت، ما رأيك في هذا؟

قلت : إن رأيي أنني أخاف على شبابنا من انبتات صلتهم بكتاب الله، ولا أخاف عليهم أبداً من آلاف الكتب التي تؤلَف معارضة لهذا القرآن الكريم ؛ لأن أسباب حفظ القرآن الكريم في القرآن ، وقد قفز إلى قرة شعوركم الآن قولــه – تعالى – : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩].

أقول هذا بمناسبة قوله تعــالى :﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم:٢٥]، وقوله –تعالى –: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ [مريم:٨٣].

أضعف صوت في اللغة العربية هو صوت: (الهاء). وأقوى صوت في اللغــة العربية هو صوت: (الهمزة). هل يمكن أن آتي بــ" أزّ " وأضعها مكان "هزّ" أو أن آتي بــ " هزّ " وأضعها مكان " أزّ " ؟

الإجابة :لا. لماذا؟ لأن مريم حين أجاءها المخاض وحين لجأت إلى جــذع النخلة أمرها ربنا أن تلمس جذع النخلة لمسًا خفيفًا حتى تستفرغ في الأخــذ بالأسباب وستكون النتيجة :﴿تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم:٢٥]. فهي في مرحلةٍ ضعيفةٍ وكل الأطباء يقولون: إن المرأة عند الحمل وعند الوضع وعنــد الرضاعة تكون في أضعف أحوالها. وذلك لأن (الهاء) هنا هي التي تناسب هذا الموقف فلا بد أن يأتي القرآن وأن يقــول : ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ

عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ [مريم:٢٥].

أمّا : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ فإنّ هذا (الأزّ) يتعلق بالشياطين ، والقضية تحتاج إلى منتهى القوة حتى يزعج الشياطين الكافرين وحتى يقلقوهم ؛ ولذلك فإن الوضع المناسب هنا أن يقول ربنا -تبارك وتعالى - : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ .

كذلك مما استوقفني في هذه السورة: (سورة مريم) ومعنا أساتذة التفسير قصة إبراهيم – عليه السلام – مع أبيه ، ورد الكلام بلفظ : ﴿يَٰٓأَبَتِ ﴾ في كل خطاب. وأنا مرةً قد أعددت محاضرةً تحت عنوان: (يا بُنيّ، في القرآن الكريم)، وذكرت بأنها قد وردت ست مراتٍ في القرآن الكريم ، والسياقات التي ورد فيها هذا النداء هنا ﴿يَٰٓأَبَتِ ﴾ في كل خطابٍ يدل على ماذا؟ يدل على شدة الحبِّ والرغبة في صون أبيه عن العقاب وإرشاده إلى الصواب، رتب إبراهيم- عليه السلام- الكلام في غاية الحُسن. كيف ؟ لأنه نبهه أولاً إلى بطلان عبادة الأصنام ، ثم أمره باتباعه في الاستدلال وترك التقليد الأعمى ، ثم ذكره بأن طاعة الشيطان غير جائزةٍ في العقل، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام مع رعاية الأدب والرفق.

فبم قابل أبوه هذا الأدب وهذا الرفق؟

إنّ أباه قابل استلطافه ولطفه في الإرشاد بالفضاضة والعناد ، ناداه باسمه و لم

يقابل قوله يا أبتِ بـــ (يا بني)، وقدّم الخبر وصدّره بالهمزة ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ لإنكار نفس الرغبة،كأنها مما لا يرغب عنها عاقلٌ، ثم هدده بقوله: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ﴾ أي: لئن لم تترك شتم وعيـــب آلهتي لأرجمنك بالحجارة، ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾.

أثبتت سورة مريم –عليها السلام – الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم، وأذكر على هذه النقطة بأنه ما أكثر الذين يقرؤون القرآن – وهم مـــأجورون عليـــه سلفًا ، لأن من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة لا أقول: ﴿الٓمٓ ﴾ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف –.

ولكن القضية هي : هل أثّر القرآن الكريم في نفوس هؤلاء الذين يقـــرؤون وفي نفوس الذين يستمعون إليه ؟ القرآن الكريم يثبت الإعجـــاز التـــأثيري في القلوب بقوله – تبـــارك وتعـــالى – : ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُ ٱلرَّحْمَـٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ [مريم:٥٨].

يقول ذلك المستشرق الذي هداه الله إلى الإسلام وهو يعلق علـــى هـــذه المفاجأة : "في القرآن الكريم سورة تسمى سورة مريم وليست هنـــاك ســـورة تسمى بسورة خديجة بنت خويلد ولا فاطمة بنت محمد ﷺ ".

والباحث الدؤوب يتساءل لماذا اختار هذا المستشرق خديجة بنت خويلـــد بالذات ، وفاطمة بنت محمد بالذات؟

طبعاً خديجة بنت خويلد أنتم تعلمون قصتها ولكن المناسب للمقام هنا أن أذكر جانبًا واحدًا من منزلة خديجة عند رسول الله-صلى الله عليه وسلم - ، يكفي أن نتذكر بأن الرسول-صلى الله عليه وسلم- كان يكثر من ذكر خديجة بعد وفاتها ، وأن السيدة عائشة-رضي الله عنها- لما رأته يكثر من ذكرها إذا بها تقول له : " خديجة خديجة والله ما كانت إلا عجوزاً شمطاء "، فغضب الرسول -صلى الله عليه وسلم - وقال لها : " لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ، ورزقني الله - تبارك وتعالى - منها الولد ". فآلت عائشة-رضي الله عنها - على نفسها ألا تذكر خديجة-رضي الله عنها- بعد ذلك بسوء أبداً.

ماذا قال المؤرخون ؟ طبعاً في الجعبة الكثير عن خديجة - رضي الله عنها -؛ يقول: إلا ثقتها في الرجل الذي تزوجته لأنها أحبته ؛ كانت تضفي جواً من الثقة على المراحل الأولى للعقيدة التي يدين بها اليوم واحدٌ في كل سبعةٍ من سكان العالم. ويؤرخ (مارجيليوث) حياة محمد-صلى الله عليه وسلم- باليوم الذي لقي فيه خديجة-رضي الله عنها - ، كما يؤرخ حادث هجرة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- إلى يثرب باليوم الذي خلت فيه مكة من خديجة-رضي الله عنها -.

يكفي أن نعلم - وأنتم أساتذة تعلمون هذا جميعاً - بأن لخديجة - رضي الله عنها - منزلة عند ربها ، قال ابن هشام حدثني من أثق به :أن جبريل - عليه السلام - أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : " أقرئ خديجة

السلام من ربها، فقال رسول الله : يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك، فقالت خديجة: الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام ".

ثم فاطمة بنت محمد-رضي الله عنها- لماذا بالذات أنتم تعلمون أن الرسول-صلى الله عليه وسلم- كان يلقبها (بأم أبيها) ويقول علماء اللغة أنها سميت فاطمة لأن الله-تعالى- قد فطمها وحفظها من النار. ولقبها النبي-صلى الله عليه وسلم- الزهراء، فكانت ريحانته وأحب بناته إليه. وعند فاطمة بالذات أذكر أنني في مجالات الدعوة وكنت أتحدث عن مواصفات ربة البيت المثالية وذكرت هذه القصة بإيجاز ؛ أن عليًّا - رضي الله عنه - قال لابن عبد :" ألا أخبرك عني وعن فاطمة بنت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكانت أحب أهله إليه وكانت عندي، فقال له بلى: وإذا به يقول له: لقد جرت بالرحى حتى أثرت في يدها ، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها ، فلما جاءك خدمٌ أمرتها أن تأتيك فتستخدمك خادمًا يقيها حر ما هي فيه، فجاءت فاطمة إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم - فوجدت عنده حُدّاثًا أي :أناسا يتحدثون ، فخرجت فجاءه الرسول —صلى الله عليه وسلم- وقال لها: ما كان حاجتك؟ فسكتت. - هنا أحتاج إلى فكر الدعوة أن أقول ما أكثر الدعاة الذين يوجدون على أرض الإسلام ولكن ما أقلّ الذين يفقهون الدعوة من هؤلاء الدعاة -. فرجعت وبعد ذلك سكت وبعد ذلك قال عليٌّ أنا أخبرك يا رسول الله :" لقد جرت بالرحى حتى أثرت في يدها واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها، وكنست البيت حتى اغبرت ثيابها، فلما

جاءك خدمٌ أمرها أن تأتيك فتستأذنك خادماً يقيها حر ما هـــي فيـــه "، وإذا بالرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول لها :" اتقي الله يا فاطمة واعملي عمل أهلك وإذا أويت إلى مضجعكِ فسبحي الله ثلاثا وثلاثين واحمـــدي الله ثلاثـــا وثلاثين وكبري الله أربعا وثلاثين فتلك مئة فيه خير لكِ من خـــادم ". بم ردت فاطمة؟ قالت :" رضيت عن الله ورسوله ".

مع كل هذا لا نجد في القرآن الكريم سورةً تسمى بسورة خديجـــة بنـــت خويلدٍ ولا نجد سورةً تسمى بسورة فاطمة بنت محمدٍ وفي ذلك بـــلاغٌ لأولي الألباب.

أما المفاجئة الثانية:

فيقول: ورد عيسى–عليه السلام– في القرآن الكريم خمساً وعشرين مرةً ولم يرد ذكر محمدٍ–صلى الله عليه وسلم– باسمه في القرآن الكريم إلا أربع مـــرات، حاولت أن أبحث عن هذه المفاجأة فقلت:

أولاً :إن الناس الذين يجلسون على الكراسي يدّعون أنه لا أحـــد جلـــس قبلهم، ولا أحد سيجلس بعدهم ولذلك يأتي الواحد فيلغي جميع قرارات الذين كانوا يجلسون قبله ويدّعي أنه أمةً وحده. وهذا من أسباب تخلف المسلمين.

القرآن الكريم يذكر محمداً –صلى الله عليه وسلم– أربع مـــراتٍ ويـــذكر عيسى–عليه السلام – خمساً وعشرين مرةً ، الرجل يدور في فلكٍ واحدٍ هـــو: هل القرآن من عند محمد–صلى الله عليه وسلم– وإلا من عنـــد الله – تبـــارك

وتعالى -؟ حتى لو كان القرآن من عند محمد-صلى الله عليه وسلم- على الأقل اسمه يذكر خمسا وعشرين مرةً كما ذكر النبي قبله مباشرةً خمسا وعشرين مرةً.

أنا تأملت في المرات الأربع التي ورد فيها ذكر محمد-صلى الله عليه وسلم- :

الموضع الأول في سورة آل عمران : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٤].

الموضع الثاني في سورة الأحزاب : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠].

الموضع الثالث في سورة محمدٍ : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد:٢].

الموضع الرابع في سورة الفتح : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ [الفتح:٢٩].

طُلب مني مرةً في وسائل الإعلام أن أتحدث على الهواء مباشرةً تحت عنوان:

(الرسول-صلى الله عليه وسلم- في القرآن).

فقلت: كيف أتحدث عن الرسول-صلى الله عليه وسلم- في القرآن الكريم؟

هل أذكر المواضع مثلاً التي ذكر فيها؟ أو أتحدث عن أخلاق الرسول-صلى الله عليه وسلم-في القرآن من خلال قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]. استعرضت القرآن الكريم من بدايته إلى نهايته فما وجدت غالبًا موضعًا إلا وفيه إشارةٌ إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم - ؛ والدليل على هذا أنكم بفضل الله تحفظون جميعًا قول رسول الله-صلى الله عليه وسلم - : "شيبتني هودٌ وأخواتها ".كل المفسرين وجدتهم يقولون :شيبتني هودٌ ؛ لأنه ورد فيها قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود:١١٢].

لكني عثرتُ على رأي لأحد كبار الدعاة يقول :مع اتجاهي إلى هذا الرأي إلا أنك لو استعرضت سورة هود-عليه السلام- لوجدت فيها كثرة الخطابات الشخصية الموجهة مباشرةً إلى رسول الله—صلى الله عليه وسلم-.

أول خطابٍ مباشرٍ في سورة هود للرسول-صلى الله عليه وسلم - : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴾ (هود:١٢).

وتستمر تلك الخطابات الشخصية من قبل الله – جل جلاله – لرسـوله – صلى الله عليه وسلم – باعتباره القدوة الحسنة والأسوة الطيبة إلى أن نصل إلى قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [هود:١١٢] (هود:١١٢). وأثرتُ في نفسي سؤالاً، مفاده : لمـاذا ذكر الرسول–صلى الله عليه وسلم – باسمه مجردًا في هذه الآيات بالذات ؟

وكانت الإجابة :أنك حين ترفع دعوى في المحكمة يكون هناك مدعٍ ومدعى عليه ولا بد أن تُذكر الأسماء مجردةً لإثبات الحق لأحدهما ، ولله المثل الأعلى، ذُكر محمد–صلى الله عليه وسلم – باسمه مباشرة في هذه المواضع لأن الله – سبحانه – يريد أن يُثبت قضيةً أو أن ينفي قضيةً ، يريد أن يقول ربنا – تبارك وتعالى – بأنه سيجري على محمدٍ –صلى الله عليه وسلم – ما يجري على جميع البشر : ﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] وأنتم تعلمون قصة هذه الآية وقراءة أبي بكر–رضي الله عنه– لها حين بُلّغ بوفاة رسول الله–صلى الله عليه وسلم – وحين استأذن ودخل عليه–صلى الله عليه وسلم – فوجده مُسجّى فكشف عن وجهه الغطاء فوجده مات حقاً فقبّله في وجنتيه وقال له : " طبت حياً وطبت ميتاً يا رسول الله إنها الموتة التي كتبها الله عليك فقد ذقتها ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدًا " ، ثم خرج إلى الناس المحزونين الباكين وهو يقول لهم قولته المشهورة :" أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن

محمد قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ". ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤]. التي قال عنها عمرُ -رضي الله عنه- وقتئذ: "والله لكأني لم أسمع هذه الآية من قبل ".

الموضع الثـاني : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٤٠]. هو نفيٌ لقضـية التبني كما تعلمون جميعًا.

الموضع الثالث : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد:٢].

وأذكر أنني حين كنت ضمن الوفد الذي ذهب إلى العـراق أيـام الغـزو لمناصرة الشعب العراقي علّقت على هذه الآيات، وأنت تعلمون بـأن رجـال التفسير يقولون: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ فمقتضى الإيمان ؟ أن تؤمن بستة أشياء : بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه ومره. لمـا قال القرآن بعد ذلك : ﴿ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾. كأن القـرآن يريـد أن يقول: لا إيمانٌ كاملٌ إلا بالإيمان ﴿ بما نزل على محمد وهو الحق من ربهـم ﴾ ونلاحظ في هذه الآية ﴿ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ تعريف الطرفين: (هو) و(ربهم)،

من أجل أن يقول بأن القرآن هو الحق ولا حق سوى القرآن.

الموضع الرابع : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ [الفتح:٢٩].

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ وهو مبتدأٌ وخبر لإثبات الرسالة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

اسم عيسى - عليه السلام - مثل ما قلتُ ورد في القرآن الكريم خمسا وعشرين مرة ، لكنك لو ذهبت الآن وفتحت المصحف لوجدته قد ورد ثلاثين مرة فقلت : لماذا قال هذا الرجل ورد خمسا وعشرين مرة ؟ علمت أنه يقصد اسم عيسى يعني عيسى ابن مريم و عيسى ورد خمسا وعشرين ، إنما كلمة (المسيح) أو (ما المسيح ابن مريم) تكمل لنا الثلاثين موضعاً التي ورد فيها اسم عيسى -عليه السلام-.

إذاً الرجل يقول: إن أكثر السور التي ورد فيها اسم عيسى -عليه السلام- هي سورة المائدة. فلو كان القرآن من عند محمد-صلى الله عليه وسلم- ما ذُكر اسمه أربع مرات فقط واسم عيسى -عليه السلام- خمساً وعشرين مرة.

المفاجأة الثالثة :

وأرجو أن ننتبه إليها بآذان قلوبنا يقول ذلك الرجل : وجدت القرآن الكريم يتحدى بنفسه ومع مرور الزمن منذ نزول القرآن إلى الآن أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان يقف شامخاً أمام جميع الطاعنين وجميع المشككين . قضيةٌ كبيرةٌ تحتاج إلى لقاء ، يعني نعد فيها ساعات وساعات ؛ لأن آيات التحدي في القرآن الكريم إنما تمثل لُبّ الإعجاز لأنها تكون للخلق كافةً والمكذبين خاصةً، الإتيان بمثل هذا القرآن أو ببعضٍ من القرآن .

القضية هنا : بحثت فيمن كتب في هذا الموضوع (آيات التحدي في القرآن الكريم) فوجدت مجلة الدراسات القرآنية التي أعجبت بها أيما إعجابٍ التي تصدرها الجمعية العامة لتحفيظ القرآن الكريم هنا عُنيت عناية كبيرة بقضية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم. واعتقد أن أساتذة التفسير يحلمون معي أن يأتي الوقت الذي يفسر فيه العلماء والباحثون القرآن الكريم تفسيراً موضوعياً.

وجدت موضوع النخيل في القرآن الكريم في هذه المجلة ، ومن بين هذه الموضوعات آيات التحدي في القرآن الكريم ووجدت أساتذةً زملاء لنا في جامعة الأزهر الشريف حصن العلم ومنارة الإسلام وجدهم قد تناولوا قضية آيات التحدي في القرآن الكريم ، ومن بين هؤلاء أخي وزميلي وزميل أخي الدكتور عبدالله الدكتور سعيد جمعة أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر الذي أصدر بحثًا نفيسًا أدعو الجميع لقراءته عنوانه: (دلالة المثلية في آيات التحدي في القرآن الكريم دراسة بيانية نقدية) .

كلمة: (من مثله) التي وردت في آيات التحدي ما المقصود بهذه الكلمة؟

المِثل المطلق في الكتاب والسنة وإجماع الأمة يراد به : إما المثل صورة ومعنى، وإما المثل صورة بلا معنى.

لمن التحدي في آيات القرآن الكريم ؟ إن التحدي كان وما زال للخلق أجمعين بدليل آيةٍ هي عمدة آيات التحدي : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]. لكن أعجبني أيضاً تناوله لآيات التحدي بين الترتيب اللزومي والترتيب المصحفي وكلاهما توقيف كما تعلمون جميعًا من قِبل الله -تبارك وتعالى- .

وهنا أثار قضية ، أنا أطرح هذه القضية على أساتذة التفسير لأنني لا أثبتها ولا أنفيها، هذه القضية يقول فيها : القرآن الكريم عندنا معاشر المسلمين كلامٌ دالٌ على معانيه دلالة مأخوذة بالطريق الواضح العادي بدلالة الكلام العربي ، فليس هو على ذلك بمحتاج إلى التفسير احتياجًا أصليًا ولكن الحاجة إلى تفسير القرآن إنما هي حاجةٌ عارضةٌ ، قضيةٌ أدعو أساتذة التفسير إلى مناقشتها ، هل حاجة القرآن الكريم إلى التفسير حاجةٌ أصليةٌ أو حاجةٌ عارضةٌ ؟

ذلك الزميل يقول: إنها حاجةٌ عارضةٌ نشأت من عدة أسباب، أهم هذه الأسباب:

أولاً: أن القرآن الكريم لم ينزل دفعةً واحدةً وإنما كان نزوله وتبليغه في

ظرفٍ زمنيٍّ متسعٍ جداً وقدره أكثر من عشرين عاماً كما نعلم، فكـــان يـــترل منجمًا على أجزاءٍ مع فواصل زمنيةٍ متراخيةٍ بين تلك الأجزاء ، وكان نزولـــه على ترتيبٍ معروفٍ يختلف عن الترتيب التعبدي لأن تاريخ الترول كان مقتضاه مناسبة الظروف والوقائع مناسبة ترجع إلى ركن من أركان مطابقـــة الكـــلام لمقتضى الحال ، وترتيب التلاوة التعبدي كان مقتضاه تسلسل المعاني وتناســـب أجزاء الكلام بعضها مع بعض.

آيات التحدي التي وردت في القرآن الكريم خمسة مذكورة في السور التالية كما تعلمون جميعًا : سورة البقرة –يونس – هود – الإسراء - الطور ، هكذا رتبت الآيات في المصحف الشريف حسب ترتيب السور ، لكن هل هذا هـــو ترتيب نزولها ؟ الإجابة :لا. ليس هذا ترتيب نزولها، ولا بدّ من معرفة ترتيـــب الترول حتى نقف على مراحل التحدي لنفهم المراد من المثلية المتحـــدى بهـــا. فترتيب الترول كان على النحو التالي:

سورة الإسراء ثم سورة يونس ثم سورة هود ثم سورة الطور ثم سورة البقرة. أول ما يلفت النظر في هذا الترتيب أنه قد بُني على جذرٍ واضحٍ يبين أن الضمير في: " مثله" لا يعود إلا إلى القرآن الكريم.

ثانيًا :أن الآيات بدأت بافتراض اجتمـــاع الإنـــس والجـــن : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ وهذا الافتـــراض لا يتصور عقلاً مما يعني أن نتيجة هذا الافتراض وهو المجيء بمثل القرآن لا يتصور

عقلاً.

ثالثاً :أن المدعوين أولاً للتحدي هم الإنس والجن ، ثم تدنى الأمر فطلب منهم دعوة من يستطيعون من دون الله، ثم تدنى الأمر إلى دعوة الشهداء ، وهم المناصرون لفكرة إمكانية المجيء بمثله وهؤلاء قلةٌ.

رابعًا :كانت الآية الأولى إعلاناً من الله—تعالى- على لسان نبيه بعجز الخلق جميعًا عن المجيء بمثله فقيل : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨]. هذا بلاغٌ من الله–تعالى- للخلق جميعاً، ثم جاءت ذات الآيات لترد على دعوى افتراء القرآن من عند الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقيل : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس:٣٨].

قال — تعالى – :﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [هود:١٣]. وقال : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الطور:٣٣]. كل ذلك في الآيات المكية الأولى، أما الآية المدنية وهي آية البقرة فليست ردًا على هؤلاء بل هي ردٌّ على من دخل الشك قلبه ولذا قيل :﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾

[البقرة:٢٣]. السور المكية خطابٌ للناس جميعاً أما المدنية فأغلبها خطابٌ لمن أقرّ بالأنبياءِ من أهل الكتاب والمؤمنين.

الملاحظ في الآيات الخمس – آيات التحدي – أنّ كل وجه من التحــدي غير الآخر ولا يوجد وجهان متماثلان في التحدي ، وها هي أوجه التحــدي حسب نزولها: مثل – هذا القرآن – بسورة مثله – عشر سورٍ مثله – حــديثٍ مثله –سورة من مثله.

سادسًا :أن هذا الترتيب من الممكن فهمه على أنه تدرج في التحدي مــن الأكثر إلى الأقل من حيث العدد ، ولكن بضربٍ من التأويل. فماذا يُفهم مــن الترتيب المصحفي؟

جاء ترتيب الآيات في المصحف كما قلت :البقرة –يــونس – هــود – الإسراء – الطور. ترتيب النزول يثبت ضربًا من التدني وهنا نقول : إنّ الترتيب المصحفي يعكس ذلك، أي: أنه يتدرج في التحدي من سورةٍ إلى عشر سورٍ إلى القرآن الكريم كله. وكأن القرآن الكريم يعرض قضية التحدي من الــوجهتين صعودًا ونزولًا وعلى من يريد المعارضة والتحدي أن يختار لنفسه . ومن هنــا يثبت العجز من كل وجه.

طبعًا كلامٌ كثيرٌ حول قضية التحدي لكن الخلاصة في سطرٍ واحدٍ :

إنّ دلالة المثلية دلالة وحيٍ.

وحين يقول القرآن الكريم : ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾ أي: فأتوا بسورةٍ

من عند الله والأدلة على ذلك كثيرةٌ :

أولاً : تعددت الآيات وتكاثرت لإثبات أنّ القرآن الكريم منزلٌ من عند الله، وصاحب ذلك نفي الريب عنه أعني عن الإنزال.

ثانيًا :لا يكاد يُذكر لفظ القرآن أو الكتاب إلا ويُذكر معه أنّه منزلٌ من عند الله، وعلى هذا فلفظ الكتاب ولفظ القرآن يلتصقان التصاقًا مع لفظ الإنزال والوحي ، وهذا يدل على أن أول شيءٍ يُعرف به القرآن الكريم أنه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ.

ثالثًا : حين سمعت الجن هذا القرآن ماذا قالوا ؟

﴿ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ [الأحقاف:٣٠]. وأنتم تعلمون من بعد موسى لماذا؟ و لم يقل من بعد عيسى ؟ لأن شريعة عيسى ليست شريعةً مستقلةً وإنما شريعةٌ مكملةٌ لشريعة موسى -عليهما السلام-.

رابعاً: في حديثٍ للنبي -صلى الله عليه وسلم- فرق فيه بين معجزته ومعجزة الأنبياء من قبله ، والحديث أنتم تحفظونه جميعاً رواه أبو هريرة : " ما من نبيٍّ من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشرُ وإنّما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلي ". إذن المثلية هنا مثلية وحيٍ وتنْزيلٍ.

المفاجأة الرابعة:

هذا الرجل "جاري ميلر" حصل على جائزة نوبل في السلام سنة ١٩٧٣م عن نظرية تسمى نظرية: (الانفجار الكوني العظيم)، وحين سؤل الدكتور أحمد زويل حين حصل على جائزة نوبل ، ما الذي ينقص العرب والمسلمين ؟ كانت إجابته : عندنا عقولٌ بشريةٌ ، عندنا أموالٌ ، عندنا كذا ، عندنا كذا .. لكن لا نجتمع على قلب رجلٍ واحدٍ. نريد أن نكون فريقاً واحداً، حتى أننا داخل أقسامنا العلمية ترى هذا قد أخذ موضوعاً في كذا، وهذا في كذا ..ألا نبدأ موضوعاً من أوله إلى آخره.

أما آن للعرب أن تكون لديهم موضوعية وأن يخدموا حقًا كتاب ربهم وسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم -. هذا الرجل حصل على جائزة نوبل ويقول : النظرية التي حصلت بها على الجائزة هي نظرية الانفجار الكوني العظيم ويقول : عملت أنا وفريقٌ من العمل أكثر من عشر سنواتٍ في المعامل ، وما إلى ذلك حتى وصلنا إلى هذه النظرية وحصلنا على هذه الجائزة.

ثم بعد أن هداني الله - تبارك وتعالى - لأن أقرأ القرآن الكريم إذا بي أجد الآية رقم ٣٠ من سورة الأنبياء تثبت (نظرية الانفجار الكوني العظيم) وهي : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠]. اللغويون يقولون: الرتق ضد الفتق ، والرتق هو إلحام الفتق وإلصاقه.

المفسرون لهم آراءٌ :الإمام الرازي يقول: اختلف المفسرون بالمراد بالرتق والفتق على أقوال:

١- أن المعنى كانتا شيئاً واحداً ملتصقتين ففصل الله بينهما ورفع السماء إلى حيث هي وأقر الأرض. وهذا القول يوجب أن خلق الأرض مقدم على خلق السماء ؛ لأنّه – تعالى – لما فصل بين السماوات والأرض ترك الأرض حيث هي وأصعد الأجزاء السماوية. يقول كعب : خلق الله السماوات والأرض ملتصقتين ثم خلق ريحًا توسطتهما ففتقهما بها.

٢- أن المعنى كانت السماوات مرتفعةً فجُعلت سبع سماواتٍ وكذلك الأراضون.

٣- وهذا هو الرأي الذي رجحه كثير من المفسرين ونميل إليه أن المعنى : أن السماوات والأرض كانتا رتقاً بالاستواء والصلابة ففتق الله السماء بالمطر والأرض بالنبات والشجر حتى يوجد في الأرض أقواتها ، ونظيره قوله – تبارك وتعالى – : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾ [الطارق:١١-١٢].

وهناك آراءٌ أخرى حول هذا لكن اجتذئ بذكر بعضها.

الحقائق العلمية حول (نظرية الانفجار الكوني العظيم) :

١- في عام ١٩٢٧م عرض العالم البلجيكي جورج لوميتر (نظرية الانفجار العظيم) والتي تقول بأن الكون كان في بدء نشأته كتلةً غازيةً عظيمة الكثافة واللمعان والحرارة ، أسماها البيضة الكونية ثم من تأثير الضغط الهائل

المتأتي من شدّة حرارتها حدث انفجارٌ عظيمٌ فتق الكتلة الغازية وقذف بأجزائها في كل اتجاه، فتكونت مع مرور الوقت الكواكب والمجرات والنجوم.

٢- في عام ١٩٦٤م اكتشف العالمان "بنزيوس" و"ولسون" موجات راديو منبعثة من جميع أرجاء الكون لها نفس المميزات الفيزيائية في أي مكانٍ سُجلت فيه سميت بالنور المتحجر ، وهو النور الآتي من الأزمنة السحيقة ومن بقايا الانفجار العظيم الذي حصل في الثواني التي تلت نشأت الكون.

٣- في سنة ١٩٨٦م أرسلت المحطات الفضائية السوفييتية معلوماتٍ تؤيد نظرية الانفجار.

٤- في سنة ١٩٨٩ م أرسلت وكالة الفضاء الأميركية (ناسا) قمرها الاصطناعي والذي أرسل بعد ثلاث سنواتٍ معلوماتً دقيقةً تؤكد نظرية الانفجار العظيم وما التقطه كل من "بنزيوس" و"ولسون" ولقد سمى العلماء هذه النظرية الانفجار العظيم وحصل كما قلت ميلر على جائزة نوبل في ١٩٧٣م حول هذه النظرية.

وما معنى هذه الآية من وجهة نظر الإعجاز العلمي للقرآن الكريم؟

- طبعاً ما أكثر الذين يؤيدون والذين يعارضون -.

معنى الآية : إن السماوات والأرض وما تحويه من مجراتٍ وكواكب ونجومٍ والتي تشكل بجموعها الكون الذي نعيش فيه كانت في الأصل رتقًا، أي: ملتصقتين. إلى آخر هذه الآية.

ما وجه الإعجاز في هذه الآية؟

وجه الإعجاز في هذه الآية : هو تقريرها بأن نشأة الكون بدأت إثر الانفجار العظيم بعد أن كان كتلةً واحدةً متصلةً، وهذا ما أوضحته دراسات الفلكيين وصور الأقمار الاصطناعية في نهاية القرن العشرين.

إنّ من روائع الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أن نجد تاريخ الكون منذ مولده حتى نهايته مسطرًا في ثمان آياتٍ محكماتٍ من آيات أم الكتاب، وستظل إشارات القرآن حول خلق السماوات والأرض منارات تهدي العلماء إلى فهم التاريخ الكوني فهمًا صحيحًا، تضم تلك الآيات آيةً واحدةً تتحدث عن مولد السماوات والأرض وهي الآية التي معنا.

هذه القضية شغلت المؤمنين والكافرين ؛ شغلت المؤمنين ليزدادوا إيماناً على إيمانهم . وشغلت الكافرين لسببين :

١- أنهم لا يشكون في وجود الله لأن وجود الله أكبر من أن ينكر، لأنه الفطرة التي لا يستطيعون أن يطمسوها.

٢- أنهم يبحثون عن الحقيقة لعلهم يؤمنون .

ومن ثم يجب أن نتدبر فاصلة نهاية الآية التي هي مناط حديثنا، فيها استفهامان وخبر:

الاستفهام الأول : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ .

الاستفهام الثاني ﴿أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ والمعنى: أما آن لهم بعد أن رأوا فتق الرتق أن يؤمنوا.

أما الخبر فهو: أن الماء حياة كل شيءٍ حيٍّ، وأساس كل شيءٍ حيٍّ.

المفاجأة الخامسة:

يقول: وجدت في القرآن الكريم سورة تسمى سورة: (المسد) ، نزلت هذه السورة تقريبًا في العام الرابع للبعثة النبوية، تثبت هذه السورة أن أبا لهبٍ وامرأته سيعيشان كافرين ويموتان كافرين، والرجل يقول : كان من الممكن لأبي لهبٍ أو لزوجته أن ينطقا ولو زورًا بهتانًا مرةً واحدةً وأن يقولا : لا إله إلا الله محمد رسول الله. لكن الله - تبارك وتعالى - عقد لسانهما عن النطق بكلمة التوحيد دلالة على صدق القرآن الكريم ، وقد جمعت أقوالًا كثيرةً وإعجازًا لغويًا في سورة (المسد) أستميحكم عذرًا في أن أذكره الآن .

المهم أن الرجل بعد أن اكتشف هذه المفاجآت إذا به يثبت له أن القرآن الكريم من عند الله - تبارك وتعالى - وليس من عند محمدٍ -صلى الله عليه وسلم - ، وشهد بعد ذلك أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتحول من قسٍّ نصراني إلى داعيةٍ إسلاميٍّ كبيرٍ.

نسأل الله- تبارك وتعالى - أن يهدينا جميعًا إلى الطريق المستقيم، وأن يجعلنا من المستمسكين بكتابه وبسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم - آمين .

وأعتذر إن كنت قد أطلت عليكم وأشكركم على حسن إصغائكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المداخلات:

الحمد لله الذي يسر لنا هذا اللقاء وليس عندي تعليق ولا اعتراض ولا شيء مما قد يتصور، لكني أريد فقط أن أُنبه على أن مثل هذه القضايا الكبرى التي ذكرت في هذا اللقاء مما يزيد المؤمن إيماناً، ونحن أيها الإخوة الكرام بحاجةٍ ماسّةٍ إلى أن نعود إلى القرآن الكريم عودةً جادةً لنهتدي به وندعو الناس إليه، وأذكر بأن مثل هذه القضايا التي نستمع إليها تزيد المؤمن قناعةً بأهمية هذا الكتاب العظيم كما أنها أيضاً تؤنبه لأنه يقصر في التعامل مع هذا القرآن ، والاستنباط الذي يأتي بهذه النتائج العجيبة.

فإذا كان أحد الكفار وقد منّ الله عليه بالإسلام قد وصل إلى هذه المفاجآت ، وأظن أن كثيراً من المسلمين لم يصل إليها وما ذلك إلا لأننا لا نحسن التفكر وقد قال الله – تعالى - : ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤]. جعل التفكر وسيلة لبيان القرآن مع بيان النبي – صلى الله عليه وسلم – له، فقسم من القرآن الكريم نعرفه ببيان النبي - صلى الله عليه وسلم - وقسمٍ آخر هو بالتفكر الذي نحتاج إليه، ثم إنّنا بعد هذا مدعوون بقوّةٍ إلى أن نقبل على القرآن الكريم وأن نفرح به .

وأُذكر بكلمةٍ أعجبتني قالها أحد شيوخ هذه البلاد ممن عرف بالشجاعة في قول كلمة الحق واجتهد - رحمه الله - بالدعوة إلى الله وهو الشيخ عبد

الرحمن الدوسري ، سئل سؤالًا :ما أهم شروط المفسر؟ فقال – رحمـه الله – أهم شروط المفسر : أن يكون أكثر الناس فرحًا بالقرآن الكريم، فمن كان فرحًا بالقرآن الكريم مقبلًا عليه وجد فيه بغيته.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لكل خيرٍ وندعوا دعـاءً نسـأل الله أن يتقبله للدكتور محمد ، وأن يثيبه على هذه الدرر التي استمعنا إليهـا في هـذا اللقاء.

١- الدكتور أسامة الحماد :

المسألة الأولى :ذكر تربية مريم – عليها السلام – وذكر اسم مريم – عليها السلام – ولم يذكر اسم خديجة ولا فاطمة – رضي الله عنهن – هذا يـوحي للإنسان بفكرةٍ جاءت في ذهني والدكتور يتكلم وهي :ويذكر سـورة باسـم عائشة–رضي الله عنها– كما بُرأت مريم –عليها السلام– بُرأت عائشة–رضي الله عنها–؟

المسألة الثانية: هل هناك علاقة بين قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ مع اسم السورة سورة الأنبياء؟

وهل هناك ارتباط بين نظرية الانفجار الكوني وبين الإعجاز الموجـود في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ حيث أن من اكتشف هذه النظرية هـم الكفار ؟

٢- الدكتور أحمد غريب :

أقول لك يا أستاذي: أنني أرى أنه في كل القرون كان من اليهود وكان من غيرهم أعداء للإسلام ، ولكن الإسلام باقٍ والحمد لله، ولا ننسى أنّ اليهود وهم الذين قالوا للأوس والخزرج نعرف في كتبنا أن رسولًا سيأتي وأننا سنكون معه ونحاربكم به، وهم الذين دعوا الأوس والخزرج إلى أن يذهبوا إليه وأن يدعونه إلى المدينة وينصرونه هذا النصر ، وعندما جاء كفروا به، ولا ننسى حبرهم الكبير-رضي الله عنه - عبدالله بن سلام اليهودي الذي عندما جاء وقال الله – تعالى – : ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ﴾ قال : " والله إني لأعرف النبي أكثر من معرفتي لابني ومعرفتي له أشد ". وعندما أسلم قال : " يا رسول الله إنّ اليهود قومٌ بهتٌ فانتظر ، فقال لهم ما تقولون في عبدالله بن سلام قالوا : "سيدنا وابن سيدنا" وعندما قال لهم عبدالله : لا إله إلا الله. قالوا: " كذاب وابن كذاب ، شرنا وابن شرنا". قال :ألم أقل لك إن اليهود قومٌ بهتٌ ".

وأقول لك إن المستشرقين في كل عصرٍ كما قيل : "الناس معادن وخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام"، فإن كان منهم كذا كانوا كذا .. وأذكر (أوليس بوكان) كان يعالج الملك فيصل-رحمه الله- وأعطاه المصحف ليقرأه فأسلم هذا الرجل وكتب كتاباً جيداً ترجمته دار المعارف اسمه: (القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم) أدعوكم إلى قراءته ، فيه إنصافٌ جميلٌ جداً ، هذا الرجل قرأ التوراة كاملةً والإنجيل كاملًا وأورد ما فيهما من آيات العلم وأثبت

أن القرآن الكريم ما زال بنصه الذي نزل به أمين الوحي جبريل عليه السلام ، لم يتغير كما بدلت التوراة والإنجيل.

أيضًا أنا ترجمت له مادة إعجازٍ ، فهل تعلم أن في دائرة المعارف البريطانية مادة اسمها: إعجاز، لإعجاز القرآن الكريم. ترجمها واحدٌ اسمه: "جستف جولن باون" هذا الرجل ترجم مادة الإعجاز وقال : إنّ القرآن الكريم مؤلفٌ.

وعلمت من خلال ترجمتي لهذه المادة التي ترجمها هذا الرجل أنه قال: إعجاز القرآن للباقلاني وإعجاز القرآن للخطابي وللرماني وإعجاز القرآن للقاضي .. قرأ كل مادة إعجازٍ وقال إن القرآن مؤلف. فهم هكذا في كل عصر وعصر .

ولكن أريد أن أسأل: الهمزة القوية في قوله: ﴿تَؤُزُّهُمْ﴾، والهاء الضعيفة في ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ﴾. فما سر التعبير بالهمزة في قوله: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ ﴾ ولم يقل (فجاءها المخاض) ؟

أعقب على ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ ﴾ و ﴿بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ مثله : يعني أنّ القرآن حقيقةٌ ولا يستطيعون ، فلما رأى سبحانه أنهم لا يستطيعونها قال لهم (من مثله) وهو ما يخصه أي : ومن تفيد التبعيض كما تعرف، أي: من بلاغته يعني جزئيةٌ مما يخص القرآن وحتى هذا عجزوا فيه.

٣- الدكتور عبد الله السرحان:

لدي بعض الاستفسارات أرجو من فضيلته أن يعلق عليها:

أولها : هل هذه المفاجآت هي مفاجآتٌ للمستشرق أم مفاجآتٌ لنا؟؟

أعني من قرأ القرآن الكريم وتوقف أمام سورة مريم فمثل هذه المفاجآت لم أفاجأ بها حينما أقرأها ، هل المفاجآت له هو أم لنا نحن جموع المسلمين أو المثقفين؟

ثانيها :بالنسبة لكتاب (الفرقان الحق) سعادتك قلت له أربعة أجزاء الذي صدر جزءٌ واحدٌ أم أجزائه الأربعة صدرت؟؟ لا جزء واحد صدر.

٤- الدكتور عبد الحمد الإحسائي:

لدي ملحوظةٌ تتعلق بمسألة الحقائق العلمية أو الإعجاز العلمي أو ما يتعلق بها : هناك أنواعٌ من الانخداع - ربما الزائد على الحد المطلوب - في هذه المسألة، ونحن نؤمن بالقرآن وأنه من عند الله وأن ما فيه حق ، ربما هذه الإشارات العلمية قد تكون دقيقةً أو متطابقةً مع ما يكتشفه العلم لكن ما يكشفه العلم هل هو ثابتٌ وحقيقةٌ أم أنه أحيانًا تكون نظريات نخشى أن ننخدع بها ، وأن نقول أن لها مطابقٌ هو القرآن ويأتي يوم من الأيام تتغير نظرتنا لهذه الأمور أو تأتي بحوثٌ أخرى ربما تنقض ذلك فماذا نقول للناس؟؟

ثانيًا :لماذا نستشهد كثيراً بإنجازٍ آخر غربيٍّ في حياتنا ، واليوم قدمت لنا في مسألةٍ تخص القرآن الكريم المفاجآت الخمس وزميلي د/ عبد الله سرحان يقول: إنه إذا كانت مفاجأةٌ له فهي ليست مفاجآتٌ بالنسبة لنا وأنا معه في هذه المسألة ، لماذا نقول المدرب الأمريكي كذا .. والتصنيع الأمريكي كذا ... ثم

أيضًا التفسير الأمريكي أو المفاجآت الأمريكية التي وجدها عالمٌ أمريكيٌّ كنت أتوقع أن أجد المفاجآت التي التقطها الدكتور محمد متولي ؟! وإن كان شـــرحه لهذه المفاجآت قد أفادنا كثيراً فشكراً جزيلاً .

٥- الدكتور سعيد محمد عبد الحي الشافعي:

أستاذنا الكريم لي موافقة وإضافتان وتذكره:

الموافقة :ففيما يتعلق بعيسى ابن مريم - عليه السلام — أقول: أنا أتفق معك أيها الشيخ الجليل في أن عيسى ذكر من باب قوله - تعالى - : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف:١١١]. يثبت القرآن الكريم أمر الإعجاز العلمي في خلقه ، ولي بحثٌ في هذا الأمر بعنوان (البلاغة والإعجاز في الربع الثالث من سورة آل عمران) حقيقةً أما ذكر محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد كان لقضايا ذات أهميةٍ كبيرةٍ منها مثلاً : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. في خواتيم سورة الأنبياء إنما جيء بهذا المشهد عقب قوله - تبارك وتعالى — مصورًا لحظة القيامة : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [(الأنبياء:١٠٤].

كذلك أيضًا ذكر محمد - صلى الله عليه وسلم - في قضية أخذ الميثـــاق :

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

فحقيقةً كان ذكر سيد الخلق – عليه السلام – سواءً كان بالإشارة أو بـــالنص بأسمائه كما ذكر الشيخ الجليل إنما كان لمواقفٍ تدعو للتأمل وتدعو للتدبر وإن قلّت أو جاءت على قلةٍ في القرآن الكريم.

أما الإضافة الأولى:

آيات التحدي أيها الشيخ ليست قاصرةً على مجال التحدي بنص القرآن بل الأمر أعمق من ذلك وأوسع فقد راح القرآن الكريم يتحدى حتى في مجال الخلق والتكوين العملي ، همست فيما بيني وبينك في هذا الموضوع منذ أيام خلت فقد راح القرآن يتحدى حتى في مجال الخلق والتكوين على مستوى التكوين البشري كقوله — تعالى – في خواتيم سورة الحج : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾ [الحج:٧٣]. وتحدٍ أيضاً في مجال الخلق : ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [لقمان:١١]. إلى آخره وهو مجال يؤكد الأمرين ، فأنا أقول آيات التحدي

ليست قاصرةً على مجال التحدي بنص القرآن الكريم ، بل الأمر أعمق لنتوصل إلى قضية الخلق والتكوين. أقول دراسة هذا الأمر هو مجال يؤكد أمرين : التحدي بالكلمة والتحدي بالعلم حتى تلجم الأفواه التي تتكلم عن المغالطة في عالمنا المعاصر.

الإضافة الثانية: لو أننا أسقطنا (نظرية النظم) عند شيخ البلاغة عبد القادر على نصوص القرآن الكريم لطالعتنا بالكثير والكثير من أمر الإعجـــاز القـــرآني الذي ألجم العرب لجامًا وهم أرباب الفصاحة والبلاغة حتى راح بعضهم يقول : ما سجدت لأني صدقت ؛ ولكنني سجدت لأعترف بفصاحة الكلام المـــترل على محمدٍ -صلى الله عليه وسلم -.

ختاماً أذكر هذه العبارات التي قالها أحد الذين اعترفوا بحق القرآن وبحقيقة القرآن يقول هذا الرجل تعليقًا على قوله – تعالى- : ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، يقول : ما من حديثٍ مستحدثٍ وما مـــن طريـــقٍ مستطرقٍ إلا وكان القرآن الكريم أشار إليه أو تكلم عنه صـــراحةً أو اكتفـــى بالتنويه والإشارة.

٦- الدكتور عبد العظيم:

أوافق تمامًا سعادة الدكتور محمد القحطاني، وليس هناك ما يقال بعد هـــذه المحاضرة ولكن هناك أمنية من الجمعية العلمية للقرآن الكريم أن تقوم بنشر هذه

المحاضرة وجزاكم الله خيرًا.

٧- الدكتور أحمد رجب :

سؤال : ما هو الواجب الشرعي للدعاة ولطلبة العلم بعدما سمعنا هذا الكلام ، الموجودون الآن قلةٌ لكن الذين ما سمعوا هذا الكلام كثيرٌ جداً فما هو الواجب الشرعي للدعاة ولطلبة العلم بعد ما سمعنا هذا الكلام؟

٨- الدكتور محمد مصطفى :

ما هو موقف علماء القرآن والتفسير والعربية من كتاب: (فرقان الحق) ألا يجب إظهار مواقع الضعف في تفاهات هذا الكتاب ، وخصوصًا أفاجئ أنا وكثيرٌ أمثالي أنني أول مرةٍ أسمع عن هذا الكتاب المؤلف أم أن الحكمة في التجاهل ؟ هل هم يتجاهلون قصدًا ؟

يقول الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – :" لو أن قذيفةً مداها ألف ميلٍ تثير شبهة ضد الإسلام فإنه لابد أن توجد قذيفةٌ ترد عليها ولو مداها أربعون ميلًا ". وتجاهل المسلمين عن الشبهات التي تثار حول الإسلام تجعل مثيري الشبهات ينجحون فيما أرادوا ، ومثل هذا التجاهل عن هذه الشبهات مثل الشرطي الذي يتناوم ويتغافل عن اللصّ حتى لا يصطدم به، فيكون اللص قد نجح في جريمته وكان له الذي أراد، فهل الحكمة في التجاهل أم في كشف ذلك الكيد والردّ عليه حتى لا يُغش الناس به، لأنّ عامة الناس لا يعرفون الإعجاز ولا يعرفون البلاغة ولا هذه التفاهات وليس لهم قدرة على النقد فواجب علماء

البلاغة والعربية والمفسرون والدعاة أن يردوا على هذا ويحـذروا مـن ذلـك الضلال .

١٠- الدكتور محمد محمود :

لفت نظري قوله :إنّ القرآن ليس بحاجة إلى تفسيرٍ والتفسير قضيةٌ عارضةٌ ، وهذه مسألةٌ قال بها بعض أهل العلم أيضاً ، فقد سئل أحد العلماءِ المعاصـرين عن أفضل تفسير لكتاب الله – تعالى – فقال : قلب الرجل المسلم ، ونشـاهد تأثير القرآن الكريم حتى في الأعاجم. قرأت مرة للدكتور العريفي -حفظه الله- أنه لما ذهب إلى ماليزيا في وفدٍ للقاء الشباب هناك لتوجيههم وإرشادهم سمـع صوتًا يخب فسأل الطلاب الشباب ما هذا الصوت قالوا :هذا قسٌّ ينصح كـل يومٍ أحدٍ. قال :ألم تذهبوا له ؟ قالوا :ماذا نقول إذا ذهبنا إليه ؟! قال :تنصحونه أو ترشدونه. قالوا أنت يا شيخ. قال :هلموا. فخرج بهم إليه فوجد قسًّا شـابًّا ووجد إلى جواره شيخًا قسًّا ووجد امرأةً أيضًّا ، والظاهر أنها بمرتبةٍ علميةٍ طيبةٍ. فأخبرهم عن نفسه وقال :هل سمعتم باللغة العربية ؟ قالوا : لم نسمع بها. قال :ما رأيكم لو طرحت عليكم نصين تحكمون أيهما أكثر تأثيرًا وجاذبيـةً ؟ قـالوا: نسمع. قال :فقرأ بالمقالة الأولى صدرًا من سورة مريم ورتلها ترتيلًا طيبًا جيـدًا كما يرتل القرآن الكريم. قال : هذا مقطع، والمقطع الثاني :يقول الشيخ ألفـت كلامًا من عندي ورتلته كما يرتل القرآن فكان إجماع الثلاثة أن الكلمة الأولى لها جرسٌ خاصٌ وتأثيرٌ عجيبٌ.

ما أريد أن أقوله في هذه الملاحظة : هناك من يقول إن كتب التفسير حجبت الناس عن تفسير القرآن فما السبيل إلى تدعيم هذه النظرية لكي نوجد من أبناء المسلمين الفهم ، ولقد بذلنا جهدًا كبيرًا بتحفيظهم كتاب الله – تعالى – كنسخٍ مكررةٍ للقرآن الكريم في كل صقعٍ وفي كل قريةٍ من أنحاء العالم الإسلامي ؟

١١- الدكتور عبد الله حسين الشهري :

ما ذكر من مفاجآت قد تكون عند البعض حقيقةً أنها مفاجأة لكن بالنسبة لأهل القرآن وأهل التخصص في التفسير ليست كذا ، هناك عيسى –عليه السلام– ورد خمسا وعشرين مرةً لكن لم يرد باسمه بصورة خاصة ، وفي عيسى أو موسى – عليهما السلام – ليست هناك سورة باسم موسى.

بالنسبة للتحدي فالقرآن كتاب رب العالمين ما أنزل إلا ليتحدى العالمين جميعًا إنسهم وجنهم. أيضًا ما يتعلق بالحكم فليس أبو لهب حكم عليه بالكفر فقط ، الله – سبحانه – حكم على الكفار بالكفر في مواقف كثيرةٍ وحكم عليهم أنهم سيموتون على الكفر وحكم بهزيمتهم ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ ﴾ [القمر:٤٥] وعرفها الصحابة بعد فتراتٍ ، وحكم للصحابة بالنصر وحكم للإسلام بالنصر ولكن تتحقق فيما بعد، يعني: ليست كلها في لحظتها.

فهذه المفاجآت قد تكون لهذا الشخص الذي هداه الله تعالى للإسلام فعلًا، لأنهم يعتمدون على البحث والتحري والتدقيق لعله تكون لهم ، لكن بالنسبة

للمسلمين في أشياء كثيرةٍ نقرأها في القرآن الكريم عندنا مسلماتٌ وهي عنـــدنا واضحةٌ جليةٌ حتى فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات ، ولكن بالنسبة لهـــم قـــد تكون لهم مفاجأة أو شيء جديد فنحن نعلم أن القرآن الكريم تلين به القلـــوب وتذهب به الشياطين ويكون الجمع مبارك ، لكن هم إذا وجدوا مـــن يتـــأثر بالقرآن أو يكون أثر القرآن عليه قويًا كما قال شيخنا الآن يعني لأنّـــه جديـــدٌ عليه، ويلمس فيه الإعجاز فعلًا أما بالنسبة للعرب ففيما أراه أن القرآن حقيقـــةً هو معجزةٌ وهو دليلٌ للإيمان لكن ما يستكشفونه قد لا يكـــون عنـــدنا مـــن المفاجآت.

١٢- الدكتور قاسم بن أحمد:

طرأ في ذهني وأنا أسمع هذه المعاني قول أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- عن القرآن الكريم :" لا تنقضي عجائبه " فتحديدها بهذه المفاجآت الخمسُ لا ينبغي أن يكون. فالقرآن آلاف بل ما شاء الله – عز وجل - أن يكون ، إذا نظرنا مثلًا باعتبار أن هذه الأخبار عن هذه القضية التي وقعت لا تقوم إلا من المخبر الذي يعلم كل شيءٍ فإنّها لا تنقضي.

يعني أضرب مثلاً: حين يقول الله – تعـــالى - : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة:٢٧٦]. ونظرنا أن اقتصـــاد العالم الآن مسحوقٌ وممحوقٌ فهذه من المفاجآت ونزلت على الرسول - صلى الله عليه وسلم - قبل أن يرى هذا التدهور.

مثال: في الآية التي ساقها الباحث : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠]. هذه نزلت على رجلٍ أميٍّ كيف أن أيًّا من الأبحاث تقول :أن أصل الحياة من الماء مفاجأةٌ أخرى.

مفاجأةٌ أخرى مثال : الله – سبحانه وتعالى – يقول في العلاقة بين المنافقين واليهود بالذات أنها علاقةٌ أخويةٌ حيث وصفهم بقولـــه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [الحشر:١١]. الواقع الآن نحن الآن سنة: ١٤٣١هـــ، أي: مرت ١٤٣١ســـنة من يوم نزلت الآية. هل العلاقة الحميمية بين المنافقين واليهود يمكن أن توصف بوصفٍ غير الإخوة؟ فهذه مفاجأةٌ ؟

يعني الأخوة بين المنافقين وأهل الكتاب بعضهم من بعض، فمنـــهم يمـــرر مخططات اليهود ، ومنهم من يروج لها، ومنهم من يعادي أهل الحـــق الـــذين يرفعون راية الحق ، ومنهم يقف في وجه الأحرار المؤمنين الصـــادقين الـــذين ينادون بكرامة الأمة وإعلاء شأن الأمة. إلا المنافقين يقفون في الصف الأول مع إخوانهم اليهود في الخير فإا أحسوا بالخطر ينفلتون منهم. فهل هذه مفاجأةٌ أم لا يا إخوان ؟!

حين يأتي القرآن ويصف اليهود بأنّهم أهل خيانةٍ وأنهم ليسوا أهل ميثـــاقٍ.

ماذا يتجلى الواقع اليوم عنهم في كل مؤتمرٍ في كل اتفاقيةٍ لا نجـد إلا الخيانةٌ وهذه مفاجأةٌ!

١٣- الدكتور فاضل :

أهل التفسير يرون أن نمضي التفسير لأن القرآن يفهم بدون مفسرين.

١٤- الدكتور إبراهيم :

الإخوة الذين يعترضون على العنوان بأنّ القرآن مليءٌ بالقصص والمفاجآت والتي قال الدكتور عنها قصةً ، فهو يتحدث عن موقفٍ أو قصةٍ واحدةٍ و لم يتحدث عن قصص القرآن ، فأول كلمةٍ في العنوان هي التي تدل على أنه يتحدث عن موضوعٍ واحدٍ والمفاجآت لا تنقطع حتى في المستقبل.

كأن يتتبع الجنين نطفةً علقةً مضغةً فوجد المضغة تتحرك قال : هي الإسقاط، وهذا تفسيرٌ لقول الله : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء: ٨٥] فسعادة الدكتور يقول قصةً وليست قصصًا.

أشكركم على هذه المداخلات وأرى هنا أن الهجمة شرسة على العنوان وقد كنت أحسبه مفاجأة فانهار هذا الظن ! لكن كل أملي أن ترد على هذه المداخلات والاعتراضات في عشر دقائق.

رد المحاضر:

هناك لُحمةٌ بين أهل اللغة والتفسير والفقه والقرآن وأنا أتمنى ألا أموت إلا

حين أجد دراسةً للقرآن الكريم متكاملةً من جميع أصحاب التخصصات وأنــتم تعلمون أنه من تبحر في علم وصل إلى سائر العلوم ، هذا الكلام قديمٌ وليس من بنات أفكاري فيه نصٌّ لابن فارسٍ يقول فيه : " إن العلم بلغة العرب واجــبٌ على كل متعلقٍ من العلم بالقرآن والسنة والفُتيا بسببٍ ، حتى لا غــنى بأحــدٍ منهم عنه وذلك أن القرآن نازلٌ بلغة العرب ورسول الله عربيٌّ فمن أراد معرفة ما في كتاب الله – جلّ وعزّ – وما في سنّة رسوله – صلى الله عليه وســلم – من كل كلمةٍ غريبةٍ أو نظمٍ عجيبٍ لم يجد من العلم باللغة بدًا " . يســتدرك الرجل قائلا: لسنا نقول إن الذي يلزمه من ذلك الإحاطة بكل ما قالته العرب لأن ذلك غير مقدور عليه ولا يكون إلا لنبيٍّ بل الواجب علم أصــول اللغــة والسنن التي بأكثرها نزل القرآن الكريم وجاءت السنة ".

أشكر أخي محمد جابر القحطاني الذي أضاف إلي هذه المعلومة القيمة أن يكون المفسر أكثر فرحاً بالقرآن الكريم. وأنتم معي في أن هذا ما نفتقده لا ما نفقده لأن الخير موجود – بإذن الله –.

وجل الملحوظات على العنوان: لماذا كانت المفاجآت خمسًا ؟ الذي يحاكم على هذا هو الإنسان الذي نحاكمه نحن الآن ؛ لأنه تدبر القرآن الكريم أكثر منّا وفهم هذه المفاجآت وأسلم.

وأنا أحيانًا أقول لطلابي : ماذا تعرفون عن القرآن وعن السنة خذوا ورقةً واكتبوا لي ماذا تعرفون عن الله ؟ أتحدى أن تكتبوا صفحةً! ماذا تعرفون عــن رسول الله ؟ أتحدى أن تكتبوا صفحةً! إنما ماذا تعرفون عن الرياضي فــلان أو

المغني فلان سيكتبون! وتلك ثقافةٌ أريد بها شبابنا ونحن مطلوبٌ منّا أن نأخذ بأيدي هؤلاء الشباب إلى الحق وإلى الطريق المستقيم .

لماذا لم يكن في القرآن كما قال أخي الدكتور سعيد سورةٌ باسم السيدة عائشة ؟ لأن هناك مناقب للسيدة خديجة - رضي الله عنهما - كلنا نعرفها كشفها هذا الرجل. أول من آمنت به على مستوى المسلمين كلهم هي السيدة خديجة - رضي الله عنها -. ظلت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خمسا وعشرين سنةً ما تزوج الرسول - عليه السلام - عليها وما تزوج إلا بعد وفاتها. وكان كما نعلم جميعًا في السنة والسيرة يحبُّ عائشةً - رضي الله عنها - حبًا شديدًا ويقول :" اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك " ، وهذا لونٌ من ألوان الوفاء.

والذي يحاكم في المفاجآت الخمس هو صاحبها الذي اكتشفها، وإنما أنا مجرد ناقل لها ومعقب عليها ليس إلا، ولم أدع أنني من اكتشفها، كيف ؟ وقد أكرمني الله بأن ألفت كتاباً عنوانه: (من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم) استعرضت فيه لونًا من الألوان الإعجاز في المفردات، والإعجاز في الأساليب ، وقد ارتبطت بالقرآن الكريم ارتباطًا وثيقًا فحققت كتاب: (البرهان للزركشي) وحققتُ كتاب: الإتقان للسيوطي وهكذا.

وأما عن سؤال: هل هناك علاقة بين قوله – تعالى - : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ وأن هذه السورة تسمى سورة الأنبياء؟

اعلم أخي أن هناك علمًا وربما نخدمه الخدمة المناسبة هو علم: المناســبات، وعندنا الآن برنامج في إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة كنت أشترك فيه قبل أن آتي يتحدث عن المناسبات بين الآيات وبين السور. فهناك ارتباطٌ وثيقٌ.

اتفق مع أخي د/ أحمد غريب في قوله: في المستشرقين منصفون وفيهم أعداء وهذا هو الوضع الطبيعي لكن الأعداء كثرٌ والمنصفون قلّةٌ. عندنا أقسامٌ اسمهــا الاستشراق في كلية أصول الدين وعندكم أيضًا يدرســون آراء المستشــرقين ويفندوها ويردون عليها.

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ ﴾ عندنا قاعدة تسمى زيادة المبنى تدل على زيــادة المعنى. فطبعًا المعنى هنا يقتضي أن لا بد أن يكون فأجاءها و لم يقل فجاءها.

أخي الأستاذ عبدالله.. ما المفاجآت التي اكتشفناها نحن في القرآن الكريم ؟ هذا سؤالٌ نحن مسلمون وهذه عقيدتنا وهذا كتابنا وأنا أقول : دائمًا أنا أدخل المسجد وكل واحدٍ منّا يمسك المصحف وأنا منهم ونقرأ جزءًا أو أكثر لكن لو قرأ واحد آيةً وأخذ يتأمل فيها ويتدبر ويستخرج لآلئها الثمينة ودررها الغاليــة أيهما أكثر ثوابًا ؟ الإجابة أنت تعلموها.

(الفرقان الحق) طبعاً هذا موجودٌ على النت يا أخي وقضية أنه نُشر منــه جزء وأجزاءه الثانية ستأتي ، هذه المعلومات موجودةٌ وسأزودك بها - إن شــاء الله -.

اتفق مع أخي الدكتور عبد الحميد الذي أتيت معه توًا من مدينة رسول الله

- صلى الله عليه وسلم- قضية الإعجاز العلمية أنا أخاف أن ننجرف مع هؤلاء الذين يعارضون كل شيءٍ يتصل بالقرآن الكريم. طبعاً أنا أتفق أنه ليست في البحث العلمي هناك حقيقةٌ علميةٌ فما أُقر الآن على أنه حقيقةٌ قد ينقض في الردّ، هذا يأتي بأدلةٍ أقوى من الأدلة التي استقرت عليها القضية العلمية فينقض هذه القضية وهكذا.. ولذلك حتى عندنا في النحو نقول :إننا لا نقيس القرآن الكريم على القواعد النحوية بل نقيس القواعد النحوية على القرآن الكريم.

لماذا نستشهد بإنجاز الغرب في حياتنا؟ ما الذي أنجزناه نحن؟ قل لي ؟ ما الذي أنجزه العرب ؟ نملك ثروةً بشريةً ونملك الاقتصاد ؛ قديماً - وطبعًا هذه ليست مجاملةً لأننا في المملكة - قالها الملك عبد العزيز - موصياً أبنائه - : سيظل الإسلام بخير مادامت مصر والمملكة على وفاقٍ " وكان الرجل حكيمًا لأن هنا الثروة الاقتصادية وهناك الثروة البشرية . وإذا التقت الثروتان كان ذلك لصالح الإسلام.

د/ سعيد الشافعي أشكره للموافقات وعلى الإضافات فجزاه الله عني خير الجزاء. أخي د/ إبراهيم خالد: نشر المحاضرة طبعاً هذا تلقيه في ساحة الكرام.

د/ أحمد رجب ما هو الواجب الشرعي للدعاة وطلبة العلم؟

واجبنا هو العمل. لو كان عندي فسحةٌ من الوقت لقلت إنّ أحد أشياخنا المحفظين للقرآن علّم شابًا القرآن الكريم فالشاب أخذ يقرأ القرآن كله في ليله كما كان يفعل الصحابة والتابعون فأبوه اشتكى لشيخه والولد يقرأ القرآن الكريم كله في ليلة واحدة ، فطبعًا هذه قضيةٌ تنبه إلى قضيةٍ من أخطر القضايا ،

والكتاب الذي كتبه شيخنا الغزالي (كيف نتعامل مع القرآن الكريم ؟) فشكاه الشيخ فقال له :أنت يا بني تقرأ القرآن في ليلة قال :نعم. قال :تذكرني وأنت تقرأ القرآن تخيلني وأنا أحفظك القرآن ، فتذكر شيخه فلم يقرأ إلى نصف القرآن. الليلة الثاني قال له :تذكر يا بني واحدا من الصحابة اخترە أنت وأنت تقرأ القرآن ، فلم يكمل ربع القرآن. الليلة الثالثة تذكر الرسول – صلى الله عليه وسلم – فلم يكمل قراءة جزءٍ من القرآن. الليلة التي بعدها تذكر جبريل – عليه السلام – فما أتم ربعين وإلا ثلاثة. الليلة الأخيرة قال له تذكر المولى – تبارك وتعالى – الذي نزّل القرآن فما قرأ إلا بداية سورة الفاتحة إلى قوله – تعالى – : ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ . وأنت عارفٌ شيخنا ابن القيم الذي كتب (مدارج السالكين في إياك نعبد وإياك نستعين) والشاب جلس يرددها، وتقديم المفعول به للاختصاص أعبدك أخصك بالعبادة ونستعين به هل فعلا يخص ربه بالعبادة أم هو فعل توقف؟ .هذا وانتقل الشاب إلى رحمة الله – تعالى– .درسٌ تربويٌّ رائعٌ :كيف نتعامل مع القرآن الكريم؟

الدكتور محمد جميل :ما موقف علماء القرآن والعربية والتفسير من كتاب (فرقان الحق) ؟ طبعاً هناك ردودٌ كثيرةٌ وموجودةٌ عندي – بحمد الله – ، هناك علماءٌ – بحمد الله – من هذه الأمة يفندون هذه الشبهات ويردون عليها وهناك من ردوا على هذا الكتاب. حكاية التجاهل :لا ، المفروض أننا لا نتجاهل بل نرد على جميع الشبهات التي وردت من هؤلاء.

الدكتور محمد المتكلم على قضية التفسير وهل هي عارضةٌ أو أصليةٌ في القرآن الكريم؟ هذه القضية ألقيتها في ساحة أساتذة التفسير.

الدكتور عبد الله الشهري ليست مفاجآت عندنا لكنها عندهم هم. والقرآن ما أُنزل إلا للتحدي طبعًا هذا الكلام ليس له فقط ، لكن ربما الرجل ركز على هذه المفاجآت وأنا بحمد الله في برنامج لغة القرآن أشرت فيه إلى أمورٍ كثيرةٍ لا نسميها نحن مفاجآت هو الذي يسميها مفاجآت.

الدكتور قاسم اتفق معه تمامًا. التحديد بالخمسة هو الذي حدده ، وما جلبته من أمثلةٍ طبعًا أتفق معك فيها ، ولا ننظر إليها على أنها مفاجآت ولكنها حقائقٌ ، (يمحق الله الربا ويربي الصدقات) وستظل الأمة متشرذمة ما دامت بعيدةً عن كتاب الله وأن يكون إسلامنا للأسف في غالبه شكليٌّ. وشكر الله لكم جميعًا.

قصة رسالة: (الشاهد الشعري)

د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وولي الصالحين، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصـحابه أجمعين.

أما بعد: فحياكم الله -أيها الإخوة الكرام- في هذه الليلة، وفي هذه الأمسية التي نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلها أمسيةً مباركة.

ينظم هذا اللقاء إخوانكم في فرع الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه (تبيان) في أبها، ونشكر الإخوة في المكتب التعاوني للدعوة والإرشـاد ودعـوة الجاليات على استضافتنا في مقرهم هنا، ونحييكم جميعاً في هذه الأمسية التي هي من ضمن سلسلة اللقاءات العلمية التي تعقدها الجمعية العلمية السعودية للقرآن وعلومه ممثلةً في فرعها في أبها، في مشروع نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به، معنون له: بـــ ((قصة رسالة)).

سلسلة اللقاءات العلمية للجمعية:

سبق أن عقدنا قبل هذا اللقاء عدة لقاءات في هذه السلسلة:

- كان أول لقاء في قصة رسالة: (قواعد الترجيح عند المفسرين) للدكتور: حسين الحربي.

- ثم رسالة: (قواعد التفسير) للدكتور:خالد السبت. (لا توجد ضمن اللقاءات مع أهميتها فحبذا لو أدرجت))

- ورسالة: (الإجماع في التفسير) للدكتور: محمد الخضيري.

- وقبل ذلك رسالة الدكتوراه للدكتور: حكمت بشير ياسين. (يذكر اسمها).

- ثم رسالة: (منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير) للدكتور: فهد عبد الرحمن الرومي. (لا توجد ضمن اللقاءات مع أهميتها فحبذا لو أدرجت))

الهدف من عقد هذه اللقاءات العلمية للجمعية:

والمقصود من عقد هذه اللقاءات -أيها الإخوة الكرام- التعريف بالرسائل المتميزة في الدراسات القرآنية.

وقد حرصنا أن نستضيف أصحابها ليعرضوا لنا قصة رسالتهم، وأبرز ما جاء فيها من نتائج، وما توصلوا إليه من قضايا علمية في موضوع الرسالة.

اللقاء السادس من ضمن هذه السلسلة:

وهذا هو اللقاء السادس من ضمن هذه السلسلة، وضيفنا في هذا اللقاء هو حبيبنا وأخونا د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري (الأستاذ المشارك في جامعة الملك سعود، ومدير عام مركز تفسير للدراسات القرآنية، والمشرف العام على ملتقى أهل التفسير) وهو معروف لديكم جميعاً.

له مشاركات إعلامية كثيرة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيده توفيقاً

وسداداً، لا أريد أن أزيد التعريف به ولا أن أعرف به أكثر فهـــو معـــروف، والمعروف كما يقولون: لا يحتاج إلى تعريف؛ فنترك له المجال هذه الليلة ليتحفنا بقصة رسالته للدكتوراه: (الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم).

خطة برنامج اللقاء:

سيكون برنامج هذا اللقاء ساعة ونصف، ساعةً منها لضيفنا نترك له فيهـــا المجال ليعرض لنا ما عنده، ثم نصف ساعة للمداخلات من الإخوة الحاضـــرين، وبعد ذلك سيكون تناول طعام العشاء، فحياكم الله جميعاً ونسأل الله ســـبحانه وتعالى أن يجعل هذه الأمسية مباركة، وأن ينفع بهـــا. والآن نتـــرك الميـــدان لفارسه.د.عبد الرحمن وفقه الله تعالى.

- **قصة رسالة: (د. عبد الرحمن بن معاضة الشهري):**

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمـــد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

أحمدُ الله سبحانه وتعالى أن هيأ لي هذا المجلس مع زملائي وإخواني في كلية الشريعة في أبها، والزملاء هنا في أبها أيضاً، وأشكر الإخوة في فـــرع الجمعيـــة العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه في أبها على تنظيمهم لهذا اللقاء، وأرجو -إن شاء الله- أن يكون فيه ما ينفع ويفيد في إلقاء الضوء على فكـــرة هـــذه الرسالة العلمية، وقصة هذه الرسالة.

وأحيي الإخوة في الجمعية العلمية على فكرتهم لإقامة مثل هذه اللقـــاءات، وقد استمعتُ لبعض اللقاءات السابقة التي تحدث فيها الإخوة الـــزملاء عـــن رسائلهم، وكانت مفيدة جداً، ومع أنّ البحث الذي قدمته بحث متواضع ليس فيه ما يستحق التوقف عنده في مثل هذه اللقاءات، لكني أزعم أن فيـــه فائـــدةً لطالب العلم المبتدئ في البحث العلمي؛ لأن مثل هذه التجارب ربما تفيـــده في تجاوز كثير من العقبات التي تعرض له في تسهيله للرسالة واختيار العنوان أثنـــاء البحث، فأرجو أن يكون في هذا اللقاء ما يفيد في هذا الجانب.

عنوان الرسالة: (الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم) من حيث أهميته، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به.

فكرة الرسالة:

فكرة الرسالة نبعت من اهتمامٍ سابقٍ لي باللغة العربية، وبالشعر على وجه الخصوص، ما إن انتهيت من الفصل التمهيدي لدراسة الدكتوراه، عرضتُ هذه الفكرة على أحد الأساتذة الذين يُدرِّسون في الدراسات العليا، وهو أُســـتاذي أ.د.محمد بن عبد الرحمن الشايع (الأستاذ المشارك حينئذ في قسم القرآن وعلومه في جامعة الإمام) فعرضت عليه فكرة بحث: (ظاهرة الشواهد الشعرية في كتب التفسير) وهل يمكن أن لو طرح مثل هذا الموضوع أن يقبـــل في القســـم أو لا يمكن؟ فقال لي: لو وضعت خطة علمية لهذا الموضوع أو على الأقـــل خطـــة مبدئية؛ بحيث إنك تستطيع إقناع القسم العلمي بذلك، فبدأت أجمع أفكـــاري

حول الموضوع، وكنت على إطلاع جيد لا بأس به في موضوع الشعر الجاهلي بالذات، ومنذُ كنت هنا -في أبها- أثناء الدراسة وأنا أجمع الدواوين الشعرية وأعتني بها وأقرأ فيها؛ فكانت رؤوس الأفكار عندي موجودة. بدأتُ أتتبع تفسير الطبري -على وجه الخصوص- بحثا عن الشواهد الشعرية الموجودة فيه، وبحثت عن بعض الدراسات السابقة في الموضوع؛ فوجدتُ رسالةً علميةً سبق وأن حصلت عليها في معارض الكتب، باسم: (الشواهد الشعرية في تفسير الإمام الطبري دراسة أدبية) للدكتور:محمد المالكي (مغربي يعمل في جامعة المحمدية في المغرب). فلما قرأت الكتاب وجدت أنه قد ناقش ظاهرة استفادة الإمام الطبري من الشواهد الشعرية، وركز على جانب النقد الأدبي عند الإمام الطبري؛ فظهر لي أن الرسالة تُعنى بالجانب الأدبي وتصب في قسم الأدب.

استفدت منها في بلورة الفكرة أكثر، وأخذت أقرأ تعامل الإمام الطبري مع الشواهد الشعرية: كيف يستشهد بالشعر؟ ومتى يحتاج إلى الشعر؟

ومن المعلوم أن الاستشهاد بالشعر له صلة بأصول التفسير من جانب التفسير اللغوي للقرآن الكريم، فعندما يقوم المفسر بالتفسير اللغوي لأي مفردة من المفردات وتركيب من التراكيب فإنه يحتج غالباً بالشعر؛ فكانت هذه النقطة المدخل إلى هذا الموضوع.

شرعتُ أضع الخطة العلمية لهذه الرسالة، وبعد مداولات طويلـــة[1] أجيـــز

---

(١) للأسف الشديد أن الموضوعات عندنا في الأقسام العلمية تطول طولاً غـــير مـــبرر في بعـــض الموضوعات؛ فلذلك لابد من تضافر جهود الأساتذة والزملاء في الأقسام العلمية في توفير الوقت واقتصاده على طلاب الدراسات العليا، فأنا أذكر أن هذا الموضوع بقي في القسم مـــع مجلـــس الكلية ومجلس القسم سنة وشهرين ثم أُجيز، وهذه للأسف ظاهرة تتكرر كثيراً في المجالس العلمية، ويقصّر الأساتذة –الحقيقة– في قراءة الخطط قراءة واعية تقدم للطالب نصيحة علمية مبنية على معرفة وتكون مفيدة ومضيفة للطالب بشكل كبير وإنما يغلب على كثيرٍ من أعضاء الأقسام أنه ينظر إليها نظرة عاجلة، أو يرمي بكلمة أحياناً لا يلقي لها بالاً، فيقول: هذا موضوع مبحوث ، أين بحث؟ فيقول: بحث في مصر، وأنت تبحث في مصر كلها، فإذا بها إما: مجرد بحث لا يمـــت للموضوع بصلة، أو أن الموضوع في تخصص آخر.

فأذكر من ضمن ما قيل في بحثي بعد أن وصلنا تقريباً سنة وشهر، قال واحد عابر: هذا موضوع مبحوث، طبعاً وأي طعن في موضوع الرسالة فالغالب أن الجرح مقدم على التعديل والجرح غير مفسر، فلما رجعت قلت: أنا كتبت لكم الدراسات السابقة وبذلت جهدي .

ما هي الدراسة التي أشار إليها الشيخ؟ قالوا: هناك دراسة في الموضوع نفسه للأستاذ: عبد العال سالم مكرم اذهب وابحث عنها، فقلت: أنا كتبتها ضمن الدراسات السابقة وبينت أنها لا تمـــت للموضوع بصلة! قالوا كتبتها ؟! لقد كلفتني هذه الشبهة شهرين. فالخلاصة أنه ينظر للموضوع من بعض الزملاء وبعض الأساتذة في الأقسام أنه ينظر للطالب بنظرة استخفاف، والأســـتاذ في القسم العلمي وخاصةً أعضاء اللجان العلمية المؤثرة عليهم مسئولية كبيرة في قبول الطلاب وفي تأخيرهم، وينبغي أن يراعوا مثل هذه المسألة؛ فيحرصوا على أن لا يقولوا إلا خيرا إما: أن تقول خيرا وتضيف إلى المسألة العلمية جديدا، وإما أن تسكت لأنها تؤثر على الطالب وتؤخره شـــهرا شهرين ثلاثة أربعة وهذا محسوب على الطالب من مدة الرسالة. ولعل الكثير من الباحثين الذين عاصروا منكم وجربوا يعرفون قيمة مثل هذه المسائل؛ ولذلك فبعض الطـــلاب ربمـــا لا يقبـــل

==

الموضوع وقُبل ولله الحمد.

ولكن موضوعي: (الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم) ظاهره يوحي بأنّ له علاقة باللغة العربية -وهو كذلك فعلاً- فلما أجيز الموضوع ووُوفق عليه من مجلس الكلية، قالوا: عيّن لك مشرف مساعد من كلية اللغة العربية في قسم النحو، فاذهب إليه وتفاهم معه.

أخذت الموضوع بنوع من التساهل، وانتظرت أسبوعين أو ثلاثة حتى يصدر القرار، ولما ذهبت إلى المشرف المساعد: (شيخي وحبيبي وأستاذي د. تركي العتيبي) وهو أُستاذ جاد ولا يقبل أنصاف الحلول، وحقيقةً ما كنت أعرف عنه ذلك، فذهبت له يوما في الكلية قلت: أبحث عن د. تركي العتيبي، أريد التعرف عليه، أنا طالب عنده، فقالوا لي: هو عميد البحث العلمي وغير موجود في الكلية، فقلت: خيراً إن شاء الله، تأخرت يومين أو ثلاثة، فلما ذهبت للدكتور في العمادة وعرفته بنفسي -وأنا منبسط الأسارير أو سعيد- التفتَ إليَّ وقال: ما شاء الله الآن تحضر؟! وصله القرار يبدو لأنه عضو في مجلس الدراسات العليا، وسبق أن مرّ عليه القرار أول ما مر. كان يحسبني عالما به من ذاك الوقت وأنا ما علمت إلا! فما زلت أهدئه، حتى أقنعته أنه مرّت علي ظروف صعبة، فبدأنا في كتابة الرسالة على حسب الخطة المتفق عليها.

==

موضوعه ولا يجاز من القسم إلا قبل انتهاء الفيزا بشهرين أو ثلاث، ثم يقال له بعد ذلك: أطلب تمديد أو يحرم من مرتبة الشرف الأولى؛ وذلك أنه تأخر. إلى آخره!

ومعلوم لديكم أن الأنظمة في الدراسات العليا تفرض على الطالب التقيد بالخطة التي وافقت عليها عمادة الدراسات العليا، فيعطون الطالب الخطة ويختمون على كل صفحة فيها؛ حتى لا تسول له نفسه أن يغيّر أو يبّدل، وأثناء مناقشة الرسالة يزودون المناقشين بنسخة من المختومة طبعاً إلا من لا يحرص عليها؛ حتى يلتزم الطالب بالخطة، وإذا أراد الطالب أن يغير في الخطة لابد أن يراجع مراجعات طويلة في مجلس القسم ومجلس الكلية إلى آخره..

خطة البحث:

قسمت خطة البحث إلى بابين، وقدمت لهما بتمهيد؛ تحدثت فيه عن أهمية الشعر في فهم القرآن، وهذه الفكرة – أعني أهمية الشعر في فهم القرآن- فكرة غائبة للأسف الشديد حتى عند كثير من المتخصصين، وأنا درّستُ اللغة العربية ومرّت عليّ كل مراحلها، لا يعتني -حتى الذين يدرّسون الشعر الجاهلي والنحو- بربطه بفكرة فهم القرآن الكريم، وفهم الإعجاز فيه.

وهذه النقطة قل من ينبّه إليها، ولعلّي اليوم أتحدث عن هذه النقطة بالتفصيل؛ لأنها من أهم المباحث التي خرجتُ بها من هذه الرسالة.

في المقدمة تحدثت عن نشأة الشعر، وهي مباحث تمهيدية: تعريف الشعر، والمقصود به، الحكم الفقهي للشعر، وحكم الاستشهاد به في تفسير القرآن الكريم...إلخ .

وكان من أبرز من تحدث عن هذه المسألة هو: أبو بكر الأنباري رحمه الله

في كتابه: (إيضاح الوقف والابتداء) وله كلام جميل في هذا الموضوع، تحدث فيه على من ينعى على النحويين أو اللغويين استشهادهم بالشعر في فهم القرآن الكريم، ويقولون: إنكم جعلتم القرآن الكريم فرعاً وجعلتم الشعر أصلاً تستشهدون به عليه! وقالوا: غاية ما هنالك إننا عندما نريد أن نتبين اللفظة الغريبة من القرآن نستدل عليها بالشعر.

وممن تكلم كذلك في تقرير هذا الموضوع الشيخ عبد القاهر الجرجاني رحمه الله في كتابه: (دلائل الإعجاز) وأفاض فيه بشكل رائع جداً، وقد استفدت منهما كثيراً.

ثم في الباب الأول تحدثت فيه عن الشعر وموقف علماء السلف من الاستشهاد به في تفسير القرآن الكريم، واشتمل على فصلين:

تحدثت في الفصل الأول عن: الشاهد الشعري، ماذا أقصد به؟ فتحدثت عن تعريف الشاهد الشعري، وماذا أقصد به؟ وبحثت عن تعريفات له و لم أعثر على تعريف جامع مانع كما تعودنا دائماً في كتاباتنا العلمية على انتقاء التعريفات الجامعة المانعة، بسبب تأثير أصول الفقه علينا، وأصبح هذا هاجس يلاحق الباحث، أن يُعرّف كل مسألة تعريفا جامعاً مانعاً. يذكر د. أحمد الذروي بالخير فهو الذي علمنا هذا.

عرّفتُ الشاهدَ الشعري، طبعاً لم أجد تعريفاً سابقاً في هذا الموضوع إلا تعريف للتهانوي رحمه الله في كتابه: (كشاف اصطلاحات الفنون) قال: "الشاهد عند أهل العربية هو: الجزئيُّ الذي يستشهد به في إثبات القاعدة؛

لكون ذلك الجزئي من التنزيل أو من كلام العرب الموثـــوق بعربيتـــهم" وقـــد استدركت على هذا التعريف وقلت: إن هذا التعريف عليه ملحوظتان:

إحداهما: أنه قيّد وظيفة الشاهد بإثبات القاعدة، والحقيقة أنّ وظيفة الشاهد عند علماءِ العربية تتجاوز إثبات القاعدة وتأكيدها إلى الحكم بصـــحة اللفظـــة والتركيب، وبيان ما قد يعتري القاعدة من الشذوذ أحياناً، وعدم الاطـــراد إلى آخره..

ثانيها: قوله: " هو الجزئي ... إلى آخره ". قلت: المقصود موضع الشـــاهد فحسب لا الجملة المشتملة على ذلك الشاهد، سواءً كانت شاهداً شـــعرياً أم نثرياً، في حين أن المقصود بالشاهد هو جملة الشاهد كله.

المهم أنني اخترت اختياراً في تعريف الشاهد فقلت: "هـــو الشـــعر الـــذي يستشهد به في إثبات صحة قاعدةٍ أو استعمال كلمةٍ أو تركيبٍ؛ لكونـــه مـــن شعر العرب الموثوق بعربيتهم" .

وأيضاً تحدثت عن بعض المسائل المرتبطة به، فتحدثت عن أنواع الشـــواهد الشعرية الموجودة في كتب التفسير، وهي مسألة استقرائية، فقبـــل أن أكتـــب الرسالة قرأتُ كل كتب التفسير التي أخذتُ على عاتقي أن أكتبَ فيها، فأنتَ عندما ترجع إلى كتب التفسير التي استشهدت بالشعر تجد أنها كثيرة، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب التفسير إلا ويستشهد بالشعر؛ ولذلك اشـــترطتُ علـــى نفسي أن ألتزم بدراسة كتب محددة، وهي:

١- (جامع البيان) للإمام الطبري، وقد اشتمل على ألفين ومائتين وســـتين

شاهدا.

٢- (الكشاف) للزمخشري، وقد اشتمل على ما يقارب تسع مائة وثمانين شاهدا، وتفسير الزمخشري تميز بأنه يُعتبر الأول في التفسير البلاغي للقرآن الكريم، وفتح الباب في كتابه التفسير إلى الاستشهاد بشعر المحدثين، أمثال: أبي تمام، والمتنبي، وقال: إن هؤلاء وإن كانوا من المتأخرين -خاصة أبو تمام بالذات- وكان من المحدثين، ولا يحتجُ العلماء بشعره في اللغة وفي النحو، إلا أنه هو الذي جمع ديوان الحماسة، وما أكثر ما يستشهد الشعراء بقولهم: قال الحماسي، قال صاحب ديوان الحماسة.. وكذا فنعتمد على روايته ونعتمد على شعره، وقد احتج به في موضع واحد وليس كثيراً .

٣- (المحرر الوجيز) لابن عطية الأندلسي، و(المحرر الوجيز) يمثّل تفاسير المغاربة والأندلسيين، وهو من أمتن كتب التفسير، وهو محرر ووجيز كما سماه صاحبُهُ أو كما سماه من سماه؛ لأنه لم يثبت أنه سماه المحرر الوجيز.

٤- (الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي، وهو أوسع كتب التفسير التي درستها، اشتمل على خمسة آلاف شاهد تقريباً، شملت كل الشواهد النحوية واللغوية والبلاغية وغيرها.

٥- (مجاز القرآن) لأبي عبيدة، وهذا الكتاب هو عمدة كتب غريب القرآن والتفسير في جانب التفسير اللغوي بالذات، فالشواهد التي احتج بها أبو عبيدة احتج بها كل من جاء بعده؛ لذلك يعتبر من أبرز وأهم كتب غريب القرآن التي احتج صاحبها بشعر العرب؛ لأن أبا عبيدة من أوثق علماء العربية وعلماء

الرواية، وهو من تلاميذ أبي عمرو بن العلاء البصري، وأبو عمرو بــن العــلاء البصري كما يقولون هو الذي روى نصف شعر العرب، وهو من أوثق الرواة على الإطلاق، وينافسه في الكوفة: المفضل بن محمد الضبّي صاحب المفضليات، وهذان الاثنان هما مَنْ روى شعر العرب، وهناك حماد الراوية، وخلف الأحمر، لكن ليسوا في درجة هؤلاء الاثنين من حيث الثقة والعدالة ودقة الرواية، فــأبو عبيدة يحتل هذه المكانة؛ بسبب كونه من تلامذة أبي عمرو بن العلاء، وأيضــا لأنه أول مُصنف يُصنف على هذا المنهج، أو أقدم ما وصل إلينا علــى الأقــل كتاب: (مجاز القرآن).

اشتمل مجاز القرآن على تسعمائة وخمسين شاهدا بالضبط؛ ولذلك ذكرتُ في البحث أن كل من احتج بالشعر في التفسير فهم عيالٌ على أبي عبيــدة، وإن كنتم ربما تسمعون كثيراً من الذم لأبي عبيدة من المفسرين، يقولون: إنه أول من فتح الباب لتفسير القرآن باللغة، وإنه يفسر القرآن برأيه؛ وذلك يــروى عــن الأصمعي وعن الإمام أحمد وعن بعضهم؛ حتى قال الإمام أحمد عــن الفــرّاء: مازلتُ -يعني أحسن الظن بالفرّاء أو كلمة نحوها- حتى رأيته صنف كتاباً عن القرآن؛ فرأى أنه يفسر القرآن بكلام العرب دون الرجوع لتفسير السلف، طبعا هذا في البداية؛ ولذلك اشتهر عن الأصمعي أنه كان لا يتكلم في القرآن الكريم، وبلغ أبا عبيدة أن الأصمعي يعيب عليه تصنيف كتابه: (مجاز القرآن) فذهب إليه في حلقته وقال له: ما تقول ما هو الخبز يا أصمعي؟ قال: الخبز هو الخبز الذي نأكله، قال: سبحان الله تكلمت في كتاب الله!! واستشهد له بقولــه تعــالى:

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ [يوسف:٣٦]، قال: ما قلت ذلك برأيي وإنما هو شيءٌ بدا لي من كلام العرب فقلته، قال: وأنا كل الذي كتبته في كتاب المجاز هو شيء بلغني وعرفته عن العرب فكتبته.

وبعد ذلك أصبح كتاب: (مجاز القرآن) عمدة الإمام الطبري في تفسيره، حيث ضمنه كتاب (مجاز القرآن)كاملا: مرة يسكت، ومرة يذم، ومرة يقول: قال بعض أهل العربية من أهل البصرة ولا يذكره، وتارة يقول: وقال بعض من يدعي علم العربية من أهل البصرة، لكنه أخذ كل الشواهد: إما أنه يحتج بها، أو يرد عليها أحياناً، أو يناقشها.

٦- (معاني القرآن) للفرّاء، وقد درسته من ضمن البحث، وأيضاً قد استوعبه الإمام الطبري كاملاً؛ ولذلك كان كتابا: (مجاز القرآن) لأبي عبيدة و(معاني القرآن) للفرّاء من أبرز مصادر الإمام الطبري في تفسيره: (جامع البيان)

٧- (معاني القرآن) للأخفش وهو مثل سابقيه، ويعتمد عليه الطبري كثيرا، فإذا قال: قال بعض نحويي البصرة. فالمقصود به الأخفش الأوسط.

وقد جمعتْ د. هدى قرّاعه في تحقيقها لكتاب: (معاني القرآن) للأخفش في ذيل الكتاب، كل ما نقله الإمام الطبري ونسبه إلى الأخفش.

٨- (غريب القرآن) لابن قتيبه رحمه الله، وكذا كتابه: (تأويل مُشكل القرآن) والكتابان أيضا من أهم الكتب التي بدأت بالاستشهاد بالشعر قديماً؛

لأن ابن قتيبة توفي سنة ٢٧٦هـ فهو متقدم أيضاً.

هذه الكتب هي التي اعتمدها ودرستها كاملةً واستوعبتها في هذا البحث، وقد درستُ غيرها ولم أغفلها، بيد أنني لم اشترط ذلك على نفسي في البحث، فقرأتُ -مثلا- كتاب: (الدر المصون) كاملاً للسمين الحلبي، وهو من أوسع كتب الاستشهاد، وقرأت كذلك: (البسيط) للواحدي، كاملاً، وهو أيضاً من أوسع كتب التفسير التي استشهدت بالشعر، وقد بلغت شواهد الواحدي ما يقارب الخمسة آلاف شاهد، ومعظمها في النحو وفي توجيه القراءات.

هذه هي الكتب التي أخذت على نفسي أن أدرسها في هذا البحث .

وتكلمت في الباب الأول أيضا عن الشاهد الشعري الذي يحتج به، وهذه مسألة مبحوثة قديما عند النحويين، وأبرز من اعتنى بدراسة الشواهد والاستشهاد بها هم النحويون؛ ولذلك ذكرت في المقدمة عددا من الدراسات مثل: كتاب: (شرح أبيات سيبويه) لأبي جعفر النحاس؛ لأن كتاب سيبويه وشواهده الشعرية قد دُرست دراسة واسعة وشرحت قديما؛ حيث استشهد بألف وخمسين شاهدا من الشواهد الشعرية. فمن الدراسات: (شرح أبيات سيبويه) لأبي جعفر النحاس، و (شرح أبيات سيبويه) لابن السيرافي، و (تحصيل عين الذهب) لـ الشنتمري، و (شرح أبيات سيبويه) لعفيف الدين الكوفي، و (شواهد الشعر في كتاب سيبويه) وهذا الأخير كتاب قيم جدا، للدكتور خالد جمعه، أظنه كويتي، وهو دكتور قديم حصل على الدكتوراه عام ١٣٨٧ أو ١٣٨٨هـ.

(حبذا لو ذكر هنا اليقين أو تحذف الجملة).

أيضا تحدثت عن سبب توقف الشعراء أو توقف العلمـــاء في الاحتجـــاج بالشعراء عند سنة ١٥٠هـــ تقريبا، وذكرت بعض ما نقلته عن العلماء؛ لأنـــه هناك دراسات اعتنت بهذه المسألة، من أجودها كتاب د. محمد حســـن جبـــل (وهو من أساتذة كلية اللغة العربية في المنصورة) له كتاب بعنوان: (الاحتجاج بالشعر في اللغة) وهو كتاب قيم جدا، استفدت منه في هذا المبحث في الشاهد الشعري المحتج به.

ومن الأشياء التي ذكرتها وربما تكون إضافة هي: عيوب الشاهد الشـــعري، وهو في المبحث الرابع من الفصل الأول، تحدثت عن عيوب الشاهد الشـــعري التي تعتريه في كتب التفسير، والتي أشار إليها العلماء، وكانت كل المادة العلمية التي أنقلها في هذه المباحث مأخوذة من الكتب؛ لأني كما أشرت قبـــل قليـــل بدأت في الكتابة بعد أن جمعت المادة العلمية، وقد ألزمني د. تركي -جـــزاه الله خيرا- بجمع المادة العلمية في بطاقات وترك الكتابة على الحاسب الآلي في هذه المرحلة؛ فتركتُ الحاسب الآلي وبدأت _فعلا_ أكتب في بطاقات، وجمعتُ كل الشواهد الشعرية في تفسير الطبري كاملةً، كتبتها بيدي وكتبت تعليقات الإمام الطبري عليها، ثم جمعتُ كل ما ذكره ابن عطية، ثم القرطبي، ثم ابن قتيبـــه في مجاز القرآن؛ حتى تجمع عندي أكثر من أربعة عشر ألف بطاقة! وكلها كتبتـــها بيدي! وكنت أراجع د. تركي وهو من أنشط المشرفين الذين رأيتهم.

ولا يغيب عن حضراتكم أن مشرفي الأساسي هو د. محمد الشايع، الذي

عرضت عليه الموضوع أول مرة، وهو المشرف الرئيس، وكنت أعرض عليه الرسالة بشكل شهري، كل شهر أمرُّ عليه وأعرض عليه ما كتبت، لكن د.تركي كان لابد أن أزوره أسبوعيا (يوم الاثنين) وكان دقيق الموعد، لو تأته الساعة الحادية عشرة ودقيقة فقط لا يمكن أن يستقبلك! بل أذكر من المواقف الطريفة أنني ذهبت إليه وهو عميد للبحث العلمي، فانتظرت عند السكرتارية الساعة الحادية عشرة إلا خمس دقائق، فجاء الشيخ ودخل إلى مكتبه وأنا جالس، فتركته حتى يحين موعد الساعة الحادية عشرة ، وقلت في نفسي: دعه يدخل ويأخذ قسطا من الراحة ثم أدخل عليه، ثم قليلا رأيته يتكلم بالهاتف؛ فاستحييت أن أقاطعه، قلت: أنتظر حتى ينهي اتصاله؛ حتى صارت الساعة الحادية عشرة ودقيقة، انتهت المكالمة؛ فدخلت عليه فقال لي: كم الساعة قلت: الحادية عشرة ودقيقه، قال: وموعدنا متى؟ قلت: الساعة الحادية عشرة ، قال: إذن انتهى اللقاء!! قلت: يا شيخ أنا جالسٌ هنا في المكتب قبل الساعة الحادية عشرة!!، ولم تنفع فيه الشفاعة؛ فخرجت -والله- وأنا أجرُّ أذيال الخيبة!!

والشاهد: أني كنت كلما التقينا نقرأ البطاقات التي كتبتها، ويعلق عليها وأذهب فأراجع؛ حتى أصبحت محققة، فالمسائل المكتوبة في البطاقات كان لابد أن أبحثها وأوثقها وأستعد لمناقشة كل بطاقة منها حتى يؤذن الظهر، فكنت أنتظر أذان الظهر بفارغ الصبر في جامعة الإمام! ومشينا على هذا المنوال، وكان الشيخ -حفظه الله- لا يقبل عذرا ولا تخلُّفا بل إنّه -جزاه الله خيرا- من حرصه على هذا اللقاء أذكر أنه كان في أجازة من عمادة البحث العلمي في الصيف

وكان يأتي الساعة: الحادية عشرة من أجل هذا الموعد فقط، فالحقيقة: د. تركي نموذج رائع يحتذى في الإشراف، لكن لابد له من باحث صبور: يصبر على الشدة، ويصبر على الحر، ويصبر على المرض؛ حتى يستمر مع د. تركي؛ ولذلك فبعض الباحثين في قسم النحو يبدأ الشيخ يشرف عليهم فترة ثم يُعفى بناء على طلبه، فلا يبقى معه في نهاية السنة إلا ثلاثة أو أربعة، وكان دائما يذكر لي عن الحوادث: فلان اعتذرت عن الإشراف عليه؛ فيزيدني هذا حماسا ونشاطا حتى لا يعتذر عن الإشراف علي، جزاه الله خيرا.

قسمت عيوب الشاهد الشعري إلى أقسام:

الأول: العيوب المسقطة للشاهد تماما، كأن يكون الشاهد –مثلا– من خارج عصور الاحتجاج؛ فهذا عيب مسقط للشاهد بالكلية.

أو تكون عيوب مضعفة للشاهد، كأن يكون مجهول القائل ولو كان في عصر جاهلي، فعندما يقولون: هذا شاهد جاهلي لكنه مجهول القائل؛ فيعتبر من العيوب المضعفة وليست المسقطة، وقد نقلت كل ما ذكره المفسرون في كل موضع من الطعن في الشاهد الشعري بالوضع أو بالصنعة، وهذا موجود وذكرت له أمثلة.

أيضًا ما اعترف واضعه بوضعه وذكرت له مثالا هنا، وإن كان هذا المثال في نفسي منه شيء: يذكرون أنّ الإمام أبا عبيدة له قصة تُذكر في كتب الأدب وهي: قوله: أدركت أبا عمرو بن العلاء في احتضاره فقال لي: يا أبا عبيدة والله ما كذبت على العرب في شيء رويته عنهم قط إلا في حرفٍ واحد، قال: وما

هو؟ قال: في قصيدة الأعشى التي يقول فيها:

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطع ** واحتلت الجزع فرعين فانفرعا

وأنكرتني وما كان الذي نكرت ** من الحوادث إلا الشيب والصلع

هذا الشاهد يستشهد به الطبري، ويستشهد به المفسرون عند قوله تعـــالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [هـــود: ٧٠]، ويستشهدون به على أنّ نَكِرَهُ و أنكَرَهُ بمعنى واحد، ثم يستشهدون بهذا الشاهد، فيقول أبو عبيدة فقال: نَكِرَهُم وأنكَرَهُم سواء، قال الأعشى ثم ذكر الشـــاهد، واستشهد به الطبري على المسألة نفسها فجمع، وهذا الشاهد قد نقل أبو عبيدة عن يونس بن حبيب البصري أن أبا عمرو بن العلاء قد اعترف له فقال: أنـــا الذي زدت هذا البيت في شعر الأعشى إلى آخره فذهب؛ فأتوب إلى الله منه.

والبيت في ديوان الأعشى المطبوع، وقد ذكر المحقق مـــا قيـــل في وضـــع القصيدة برمتها على الأعشى، وأقوال المحققين ترد كثيرا من أبيـــات القصـــيدة ومنها هذا الشاهد، وقد نسب وضعه إلى حماد الراوية، والمشهور أنه لأبي عمرو بن العلاء كما في مراتب النحويين لابن عمرو.

ولما كانت هذه المقولة فيها طعن في الإمام أبي عمرو بن العلاء وهـــو مـــن أوثق الرواة، فأنا متوقف حقيقة، وهي ليست مروية بسند كســـند البخـــاري، والأسانيد التي تروى بها الشعر ويروى بها التاريخ والأدب ليســـت كأســـانيد المحدثين؛ ولذلك تحدث العلماء الآن والمحققون عن التفريق بين أسانيد الحـــديث

وأسانيد التفسير وأسانيد التاريخ ونحوها.

وحين رجعت للطبري وجدتُ أنه لم يستشهد بهذا الشاهد فقــط، وإنمــا استشهد قبله بقول الشاعر وهو: أبو ذؤيب الهذلي:

فنكرنه فنفر وامترست به هوجا هاديه وهاد جرشع.

وهذا من فطنة الإمام الطبري أنه لم يكتف بهذا الشاهد وإنما جاء بشــاهد آخر موثوق به لأبي ذؤيب الهذلي، وهذا منهج يتبعه الإمام الطبري في حال أنه سقط هذا الشاهد فيأتي بشاهد آخر.

ومن الأشياء التي مرت علي في البحث: أبو بكر ابن الأنبــاري صــاحب كتاب: (الإيضاح والابتداء) يُذكر في ترجمته أنه أوسع من يحفظ شواهد الشعر من أجل التفسير؛ فيقولون في ترجمته أنه كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد يستشهد بها في التفسير، ولكن للأسف ليس عندنا من كتب الإمام ابــن الأنبــاري في التفسير ما يؤكد هذا أو ينفيه، لكن طبع له جزء في تفسير بعض الآيات، طبــع مؤخراً في الأجزاء التي تخرج في لقاءات الحرم لقاء العشر الأواخــر؛ فوجدتــه يستشهد على اللفظ الواحد أحيانا بتسعة شواهد أو عشرة ؛ فعلمت أن هــذه الكثرة لأنه يستشهد بأكثر من شاهد على المسألة الواحدة، هذا سبب الإكثار.

وأيضاً هناك بعض العلماء الذين كانوا يعنون بشواهد التفسير منهم: ابــن عطية من علماء القرن السابع يقولون: إنه كان يحفظ خمسين ألف شاهد يحتج بها في تفسير القرآن. والخلاصة: أن من عيوب الشعر التي ذكرتها مــا اعتــرف واضعه بوضعه، وذكرت بقية العيوب التي قيلت في شواهد الشعر في التفســير،

تأخرها مثلا، أو فصله عن القصيدة، فأحيانا يؤخذ صدر البيت ويعزل عن البيت كاملا، أو يعزل عما قبله فلا تظهر دلالته للقارئ؛ ولذلك أدعو -وكنت أتمنى أن أقوم بهذا العمل- أن يقوم باحث بعمل عبد القادر البغدادي في: (خزانة الأدب) مع شواهد التفسير، فماذا صنع؟

عمد إلى الشواهد التي استشهد بها الرضي في كتابه: (الشافي) فاستخرج هذه الشواهد (وهي ألف شاهد من الشواهد النحوية والصرفية) وبدأ يصنع بها كما صنع أبو الفرج الأصفهاني في كتاب: (الأغاني) يأخذ الشاهد ثم يأتي بالقصيدة كاملة، ويأتي بالشاعر ويترجم له، ثم يذكر وجه الاستشهاد ما قبل الشاهد وما بعده؛ فيتضح للقارئ دلالة الشاهد بشكل كبير جدا، وهو مفيد جدا.

وخزانة الأدب تعتبر موسوعة من الموسوعات التي لا يستغني عنها النحوي ولا المفسر، فلو قام باحث بمثل هذا العمل في كتب التفسير -خاصة كتاب الطبري أو على الأقل الكتب التي ذكرتها هنا- فيأتي بالشاهد ويأتي بالقصيدة، فإنّ هذا من أنفع ما يكون لطالب العلم في فهمه للشواهد التي استشهد بها المفسرون، وأيضا يدخل الطالب بذلك في جو لغة العرب التي يحتج بها خاصة عصر الجاهلية والصدر الأول في الإسلام؛ لأن الدخول في هذا الجو يجعل فهم إعجاز القرآن الكريم ميسورا للبحث.

وذكرت أيضا في الفصل الأول: (مصادر الشعر المحتج به) ووجدت أن أبرز المصادر التي استخرجت منها الشواهد هي: كتب المختارات (المفضليات)

لمفضل بن محمد الضبي، المتوفي سنة ١٧٨هـ، وهذه هي أول المختارات التي حفظت لنا، وقد وقفت مع كثير من شواهد هذه المفضليات في بعض الدورات العلمية وهي رائعة جدا، فعندما تدرس القصائد في المفضليات وتستخرج منها الشواهد، تجد أن المفسرين لم يأخذوا إلا بعض الشواهد وتركوا الكثير؛ فيستطيع الباحث أن يأتي بشواهد أخرى، فلو كلف أستاذٌ طلابه وقال مثلا: لو استخرجت لي من قصيدة الأعشى مثلا الموجودة في المفضليات، أو من قصيدة أبي ذؤيب أو غيره الشواهد التي تدل على التفسير، أو مثلا إذا كان في تفسير الطبري هنا شاهد واحد تجعل الطالب يرجع إلى المفضليات فيأتي بعشرة شواهد على هذه المسألة؛ فإن ذلك يثري الطالب ويثري الملكة اللغوية لديه، وفيه تعريفه كيف يستشهد، وغيرها .

أيضا من المصادر المهمة: (الأصمعيات) وهي تكملة للمفضليات، ومن أهم المصادر التي وجدتها (ديوان الحماسة) لأبي تمام، وهو من الكتب التي اعتنى المفسرون كثيرا بالاستشهاد به، و(مجاز القرآن) لأبي عبيدة يعد من كتب المصادر في شواهد التفسير أيضا.

ثم يتفاوت المفسرون بعد ذلك في الشواهد، فبعضهم عالم مثل: الإمام الطبري، فهو لغويٌ ونحويٌ ومحدثٌ وفقيهٌ قبل أن يكون مفسرا؛ ولذلك يقول الإمام ثعلب (وهو من الأوائل الذين أخذ عنهم الإمام الطبري، درس عليه دواوين الشعر، توفي سنة ٢٩٠هـ والطبري توفي ٣١٠هـ يعني عاش الطبري بعد ثعلب٢٠ عاما) قال ثعلب يوما لتلاميذه وكان معهم أبو بكر بن مجاهد

المقرئ المعروف -وأبو بكر بن مجاهد يعتبر من تلاميذ الطبري أو من أصحابه يعني من أقرانه لكنه يعد نفسه تلميذا له- قال: من بقي في تلك الناحية من بغداد من أهل النحو؟ قال فقلت: لم يبق أحد. مات فلان ومات فلان و لم يبق إلا الطبري، قال: أبو جعفر؟ قال: قلت: نعم، قال: إن كان بقي فيكم أبو جعفر فقد بقي فيكم علم غزير أو نحو كثير.

ويقولون كان ثعلب قليل الشهادة للآخرين، فلا يثني على أحد ولا يذكر أحدا بتقدمٍ خاصة في صناعته بالنحو؛ فهذا دليل على أن الإمام الطبري كان مقدما في علم النحو، وقد درس منهجه في النحو أحد الأساتذة في جامعة الإمام وهو: الدكتور صالح، وكتب رسالته في الماجستير في منهج النحو من خلال البسيط ودرس في الدكتوراه الواحدي، وخرج بأن الطبري يميل في مذهبه النحوي إلى مذهب الكوفيين.

وميزة الإمام الطبري أنه حافظ للشعر؛ ولذلك قال ثعلب -إضافة إلى شهادته قبل قليل-: "إن كان بقي فيكم أبو جعفر فقد بقي فيكم علم كثير، وقد قرأ علي دواوين الشعر قبل أن يجتمع الناس عندي بمدة طويلة". ومعنى ذلك: أنه قد قرأ عليه النحو في شبابه، وأذكر في ترجمة الطبري أنه سافر إلى مصر مرتين: المرة الأولى، وهي في أول العشرينات من عمره، والثانية: وعمره ثمان وعشرون عاما تقريبا، قال أحد الذين رأوه في مصر: "رأيت أبا جعفر الطبري وهو في جامع الفسطاط بالقاهرة يشرح للناس ديوان الطرماح بن حكيم، وكان القائم به في ذلك الزمان قليل، كان يحفظه ويشرحه"، وديوان

الطرماح بن حكيم ديوان مليء بالغريب وجزيل الشعر، والطرماح شاعر من شعراء الخوارج المميزين، فالإمام الطبري كان يحفظ الشعر ويحفظ الدواوين؛ فكان من أوسع هذه المصادر التي ذكرتها.

والزمخشري كثيرا ما يقول: قال صاحب الحماسة ابن عطية الأندلسي، فيعتمد عليه اعتمادا كبيرا، ويعتمد على كتب المختارات؛ فلذلك التوصية التي نخرج بها من هذا، هي : ضرورة العناية بهذه الكتب: المختارات، المفضليات، الأصمعيات، وديوان الحماسة، وجمهرة أشعار العرب للقرشي، إضافة للمعلقات، هذه من أوثق المصادر التي ينبغي على أستاذ التفسير أن يعتني بها، وربما أقول يحفظها أو على الأقل يحفظ المعلقات؛ حتى يستطيع أن يشرح لطلابه هذه الشواهد؛ لأن بيننا -وأنا نشأت على هذا- وبين الشواهد التي في كتب التفسير نفرة، أعرفُ بعض الزملاء يقول: أقرأ في الكتاب فإذا جاء شاهد شعري قفزت من الشاهد إلى غيره، والمفترض أن يقف عند الشاهد ويبين وجه الاستشهاد؛ لأن هذا الشاهد وثيقة مهمة جدا بل تكاد أن تكون الوثيقة الوحيدة بين أيدي العلماء؛ لاستخراج معاني هذه المفردات والتراكيب من لغة العرب.

وتحدثت أيضا عن صله الشاهد الشعري بالتفسير اللغوي، وأثبت أنها صلة وثيقة.

وتحدثت أيضا في المبحث السابع عن التشكيك في الشعر الجاهلي وخطره على تفسير القرآن، وتحدثت كذلك عن فكرة "مرجليوث" في الطعن بالشعر

الجاهلي، أيضا حينما نقل هذه الفكرة طه حسين ودارت حولها دائرة، والعلماء – ولله الحمد – تنبهوا لها ، وهذا من ذكائهم رحمهم الله وخاصة الرافعي في كتابه: (تحت راية القرآن)، ومن أجود من قرأت له نقدا لكتاب طه حسين د.محمد أحمد الغمراوي في كتابه: (النقد التحليلي) نقد فيه كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين، وطبعا كتاب في (الشعر الجاهلي) لطه حسين كتاب جيد في مجمله لكنه أساء في موضعين:

الموضع الأول: أنه أنكر الشعر الجاهلي وزعم أنه –كله– موضوع، وكل الشعر المنسوب للجاهلية هو من عمل حماد الراوية. وهذه كذبة صلعاء.

والمشكلة الثانية: أنه عندما تعرّض لقصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال: إن للقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللتوراة أن تحدثنا ولكن هذا لا يعني بالضرورة وجودهما في التاريخ!

إن فكرة القدح في الشعر الجاهلي والطعن فيه فكرة خطيرة؛ لأن الرجل أنكره برمته، أما قضية إنكار الموضوع من الشعر فهذه قديمة، وقد كتب فيها الإمام محمد بن سلام الجمحي في كتابه: (طبقات فحول الشعراء) كلاما رائعا جدا، قال: "وأهل الصنعة في الشعر يعرفون الموضوع ويعرفون الرديء كما يعرف المحدثون صحيح الأحاديث وضعيفها" . لكن طه حسين أنكره برمته.

والحقيقة: أنه كان في الكتابات التي كتبها طه حسين خيرا؛ لأن الناس كانوا لا يعتنون بالشعر الجاهلي فلما قال ما قال، كتبت عشرات الرسائل وحققت مئات الدواوين الجاهلية، وبدأ العلماء يهتمون بها وينقبون عنها

ويستخرجونها، وكانوا قبل ذلك لا يعتنون بها، ولم يكن قبل ذلك يعتني بالدواوين إلا المستشرقون، لكن عندما قال هذه الكلمة بدأ العلماء: أحمد شاكر وتلاميذه ومحمد أبو الفضل إبراهيم فقد حقق ديوان امرئ القيس تحقيقا رائعا، ثم بدأت تتوالى بعد ذلك التحقيقات؛ ولذلك انظروا إلى دواوين الشعر الجاهلي بالذات حظيت بعناية رائعة جدا؛ ردةً للفعل، وأفضل كتاب كتب بعد ذلك جرّاء آثار هذه التشكيكات كتاب: (مصادر الشعر الجاهلي وقيمته التاريخية) لـ أ.د ناصر الدين الأسد (أردني)، وهذا الكاتب هو من تلاميذ طه حسين، وقد رد عليه في هذا الكتاب ردا علميا رائعا، ليس ردا مباشرا وإنما أثبت فيه موثوقية الشعر الجاهلي وبأدلة علميه من أقوى ما يكون، وهو من الكتب المقررة في كليات اللغة العربية، وهو كتاب مشهور جدا.

ثم تحدثتُ في الفصل الثاني عن موقف المفسرين من الاستشهاد بالشعر في التفسير: فتحدثت في المبحث الأول عن منهج الصحابة في الاستشهاد بالشعر، وكان يمثل أبرز من يستشهد بالشعر من الصحابة عبد الله بن عباس؛ لذلك أفردته في المبحث الثاني وجعلت المبحث الأول لما وجدته من آثار عن الصحابة رضي الله عنهم غير ابن عباس في الاستشهاد على بيان معاني القرآن الكريم بالشعر، ثم المبحث الثاني أفردته لمسائل نافع بن الأزرق التي رويت عن ابن عباس، ولا أنكر حقيقة فضل أخي الدكتور يحيى؛ فقد عرضت عليه هذا المبحث وأفادني فائدة لا أنكرها.

المبحث الثالث كان عن منهج التابعين وأتباعهم، هذه الطبقات الثلاث

وجدتُّ فعلا أنهم قد رسخوا لهذا المبدأ، وابن عباس وعائشة رضي الله عنهما وتلاميذهما كانوا يتوارثون هذا المنهج، منهج الاستشهاد بالشعر في بيان معاني القرآن الكريم؛ ولذلك عندما تدخل في تفاصيل سيرتهم العلمية تجد أن هذا المنهج ظاهراً عندهم، وابن عباس كان له مجلس خاص بالشعر ومجلس خاص بالتفسير.

ثم تحدثت في الباب الثاني عن مناهج المفسرين وأثر الشاهد الشعري، وفيه ثلاث فصول:

الفصل الأول: منهجهم في الاستشهاد بالشعر، منهجهم في إيراد الشاهد الشعري، مدى اعتمادهم على الشاهد الشعري، هل الشاهد الشعري هو الدليل الوحيد الذي يعتمدون عليه أم لا؟ منهجهم في شرح الشاهد الشعري، هل المفسرون يكتفون بإيراد الشاهد فقط أم أنهم يبينون وجه الاستشهاد ويشرحونه؟ بالتأكيد تجد فيهم من يفعل هذا، ويفعل هذا. فالإمام الطبري هو من أبرز من يشرح الشواهد الشعرية ويبين ما فيها؛ ولذلك تجد أحيانا شرحه لشاهد أفضل من شرح الذين شرحوا الشاهد الشعري في أثناء القصيدة من شروح الشعر الجاهلي.

أيضا: منهجهم في توثيق الشاهد الشعري، حيث تجد أن المفسرين بعضهم له عناية، فيقول: قال الشاعر وهو أبو ذؤيب الهذلي، قال الشاعر وهو فلان الحماسي، وهو فلان بن فلان، قال الشاعر ثم يذكر البيت ثم يقول: وهو لأبي ذؤيب، مثل الإمام الطبري كان يعتني بهذا الموضوع؛ فيذكر الشاهد والقائل

حتى يطمئن الذي يقرأ.

أيضا: أغراض إيراد الشاهد الشعري، ما هي الأغراض التي كانوا يوردونه من أجلها؟ فتجد أن من أغراض إيجاد الشاهد إثبات أن هذه اللفظة لفظه عربية صحيحة، وأحيانا يأتي بالشاهد ليثبت أن هذه اللفظة تستعمل عند السياق عند العرب، وهذا يقتضي منه أن يورد الشاهد كاملا أو يورد الشاهد ومعه بيت قبله أو بعده، وأحيانا يورد الشاهد لكي يثبت مثلا عادة من عادات العرب كانت موجودة، ونحو ذلك من الأغراض التي أورد المفسرون الشواهد الشعرية من أجلها.

ثم في الفصل الثاني: تحدثت عن مناهج أصحاب معاني القرآن وكتب غريب القرآن، وعلى نفس الطريقة تحدثت فيها عن المقصود بأصحاب المعاني، ثم منهجهم في إيراد الشواهد إلخ.

وفي الفصل الثالث: تحدثت عن أثر الشاهد الشعري في تفسير القرآن، وكان هذا من أهم الفصول في الرسالة.

أثره في إيضاح المعنى، وكيف أن المعنى كان قبل الاستشهاد غير واضح ثم بعد أن استشهد المفسر بالشعر اتضح المعنى، وهذا يزيد المعنى القرآني وضوحا.

وكذلك أثره في توجيه القراءات، وهذا مما اعتمد عليه المفسرون كثيرا، وهو الاعتماد على الشعر في توجيه القراءات.

وكذلك أثره في الجانب العقدي عند المفسرين، وهذا المبحث أضفته؛ لأني وجدتُ بعض الأمثلة أو بعض الشواهد التي يحتج بها المفسرون على مسائل

عقدية خاصة في باب الصفات، ومن أبرزها:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف أو دم مهراق

ونحو هذا الشاهد جعلتها تحت هذا المبحث.

وكذلك تحدثت عن أثره في الجانب الفقهي، فهناك بعض الشواهد التي وجدتها وهي ليست كثيرة ويمكن الإفادة منها في الجانب الفقهي.

وكذلك أثره في الترجيح بين الأقوال، وهذا كثير، فيأتي المفسر بشاهد شعري يرجح به قولا على قول.

وكذلك – وهو من المباحث المهمة- أثره في بيان الأساليب القرآنية، هذا تجده كثيرا عند الزمخشري في كتاب الكشاف؛ لأن بيان الأساليب القرآنية يدخل في باب البلاغة، والطبري لا يحرص على ذلك كثيرا، أكثر ما حرص عليه الطبري بيان الغريب، وتوجيه القراءات، أما القرطبي وابن عطية فقد استشهدوا كثيرا بالشواهد الشعرية في بيان الأساليب العربية، مثل: الالتفات، ونسبة اللغات للقبائل، فيقول: هذه لغة تميم ثم يستشهد ويقول: قال فلان من بني تميم، فهذا من الأشياء التي كانت واضحة في كتب التفسير أنهم يستشهدون بالشعر لإثبات اللغة، بأنّ هذه لغة طيء وهذه لتميم إلخ.

وكذلك أثره في الحكم بعربية بعض الألفاظ، وهذه أيضا كانت ظاهرة في كتب التفسير.

وكذلك أثره في بيان الأحوال التي نزل فيها القرآن، أيضا هذا موجود لكن ليس كثيرا؛ فيستشهدون لبيان المقصود بـ(النسيء) مثلا في قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة:٣٧]، ببعض الشواهد التي تدل على أن النسيء عادة من عادات العرب في الجاهلية.

أيضا من المباحث التي ذكرها هنا: أثره في معرفه الأماكن، وهذا أشبه ما يكون بجانب جغرافي في كتب التفسير، أنهم يذكرون مثلا في قوله: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ [التوبة:٢٥]، فيقولون (حنين) هي موضع في الطائف، ويستشهدون بالشعر، ويثبتون أن هذه منطقة من مناطق الطائف إلخ.

المبحث الحادي عشر، وهو مبحث مهم جدا، حاولت أن أدرجه في الرسالة بأي طريقة وهو: صلة الشعر الجاهلي بإعجاز القرآن، وهذا في الحقيقة بحث مستقل يستحق أن يفرد برسالة علمية مستقلة، كيف هي الصلة بين الشعر الجاهلي بالذات وبين إعجاز القرآن الكريم ؟، والتي دعت طه حسين أن يذهب إلى التشكيك بالشعر الجاهلي من أجلها.

فعندما نأتي لدراسة القرآن الكريم نريد أن نتأكد عندما يقول الله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ [يوسف:٢] ويثبت في أكثر من آية أن القرآن الكريم عربي، ويقول أبو عبيدة: مجاز القرآن والقرآن نزل بلغة العرب؛ ففيه ما فيه من حذف وتقييد وإطلاق ونحو ذلك من الأساليب العربية، ما هو المحفوظ لنا من لسان العرب في وقت نزول القرآن الكريم؟ يقول أبو عمرو بن العلاء: ما قالت العرب من النثر أضعاف ما قالت من الشعر، ولكن لم يحفظ لنا من النثر عشره،

وأكثر ما حفظ لنا من كلام العرب هو الشعر بالرغم من ضياع الكثير من الشعر و ذهابه بموت الرواة وعدم التقييد، إلا أن الجزء الذي حفظ لنا الكثير منه هو (المفضليات) للضبي، يحتوي على ما يقارب ثلاثة آلاف بيت، وديوان الحماسة قريب منها، ودواوين الشعر الجاهلي الموجودة مثل: ديوان امرئ القيس، وهناك عدد هائل من الشعر الجاهلي موجود بين أيدينا ويمكن أن نستفيد منه في دراسة لغة العرب ولسانها قبل الإسلام.

الآن عندما تريد أن تدرس لسان العرب قبل الإسلام وتتعرف على خصائص الكلام، وعلى وجه البلاغة فيه، لابد أن تعود للشعر الجاهلي، وقد تنبّه لهذه المسألة الباقلاني في كتابه: (إعجاز القرآن) لكنه –للأسف– لم يوفق في معالجتها بشكل أفضل، فقد قال: تعالوا بنا إلى أجود ما اختاره العلماء من شعر الجاهلية ولنأخذ مثالا على ذلك قصيدة امرئ القيس: " قفا نبكي من ذكرى حبيب ومنزل "، وننظر ما فيها، فأخذ أبو بكر الباقلاني يقرأ القصيدة ويستخرج ما فيها من مساوئ ومن طعون من وجهة نظره، يقلل من شأن بلاغتها وما فيها من الترابط، ويقول: ولو قال كذا لكان أحسن ولو قال كذا لكان أحسن! .

والحقيقة أن هذه سقطة من أبي بكر الباقلاني؛ لأنه من أنت حتى تقترح على امرئِ القيس أن لو قال كذا لكان أحسن ؟.

وامرؤ القيس هو أمير الشعراء بدون منازع، وقد أعجبتني كلمة كنت مؤمنا بها لكن لما قرأتها للرافعي ازددت إيمانا بها وهي: أن امرئ القيس ربما ينظر إليه بعضنا على أنه شاعر ماجن، وأن معلقته تصف التصابي والغزل، نحن لا

ننظر إليها من هذه الزاوية ونتجاوز المعنى الذي فيها تماما، ولكننا نتوقف عند الأسلوب وعند اللغة وهذا هو الذي يهمنا في موضوعنا في الاستشهاد بالشعر في التفسير؛ ولذلك كان العلماء لا يتحرجون من الاستشهاد بالشعر في المعنى القبيح في تفسير القرآن ومنهم ابن عباس ومن بعده؛ لأنهم يقصدون المعنى أو اللفظ والأسلوب، فيقول الرافعي في تقديمه لكتاب -ربما الكثير منا لا يعرفه- اسمه: (أمير الشعراء في العصر القديم) كتبه باحث من كلية دار العلوم عام ١٣٥٠ هـ تكلم فيه عن امرئ القيس وقدم له الرافعي بمقدمة في خمس صفحات فقط، - والكتاب نادر اشتريته من أجل مقدمة الرافعي ثم وجدته مصوراً pdf، - والشاهد أن المقدمة التي كتبها الرافعي مقدمه رائعة جدا في النظر إلى شعر امرئ القيس، قال:

" امرؤ القيس ليس مجرد شاعر وعربي يتكلم كما يتكلم العرب، وإنما هو عند من جاء بعده أشبه بما يكون مصنع للّغة العربية، ينتج والآخرون يستعملون؛ فهو ينتج الصور ويبتكر، والشعراء من بعده يستعملون شعره؛ ولذلك فهناك كثير من الأساليب عليها ختم امرئ القيس، هو أول من ابتكرها، هذا مصدر تميز امرئ القيس، أما كونه يقول:

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة...

فلا يعنينا بشيء، وأجود قصائده هي المعلقة: قفا نبكي من ذكرى حبيبي ومنْزل....

وقصيدته اللامية: أناعم صباحا أيها الطلل البالي....

وقصيدته: سما لك شوق بعدما كان اقصرا الرأي...

هذه أبرز قصائده والبقية جيدة لكن هذه أجودها، عندما تقــرا قصــيدة امرئ القيس بهذه الروح ستعرف قيمة معلقته ولماذا قدمها العلمــاء دائمــا؟. يصدرون بها كتب الاختيارات كما صدر البخاري صحيحه بحــديث: (إنمــا الأعمال بالنيات)".

والمقصود: أنه عندما جاء الباقلاني ينقد القصيدة للأسف قلل من شــأنها، واقترح فيها اقتراحات غير مناسبة من وجهة نظري، ثم لما خرج بكونها قصيدة متهالكة قال:"بالله هل تقارن هذه القصيدة بكلام الله!".

وهذا خطأ منهجي؛ لأنه عندما قلل من شأن هذه القصيدة -وهي أجود ما اختاره العلماء- ثم جاء ليفضّل القرآن الكريم عليها، يكون قد فضّل القرآن على شيء ضعيف عنده، والمفترض أن يكون قد عظّم شأنها واستخرج ما فيها مــن مزايا وحاول أن يتوقف عند أسباب تقديم العلماء لها، ثم يقول – بعد ذلك-: وبالرغم من كل هذه المزايا إلا أنها لا تقارن بالقرآن.

وهي كذلك فعلا بالرغم من مزاياها وروعتها ودقة ما فيها من معــاني إلا إنها لا تقارن بما في كتاب الله؛ ولذلك وفق -أيما توفيق- الأســتاذ الــدكتور: محمد أبو موسى في قراءته لهذه القصيدة، وسار في قراءته لها كما فعل مصطفي الرافعي في المقدمة هذه؛ لأنه قال: "وقد يفهم بعضهم من كلام امرئ القيس ما لا يريده" ثم حلل بيتا واحدا فقط، وقال: "وهكذا ينبغي أن يفهم شعر امــرئ القيس".

ولذلك أقرر أنه ينبغي أن تدرس أشعار امرؤ القيس وأبي ذؤيب الهذلي والنابغة الذبياني والأعشى دراسة متكاملة، ويستخرج منه أساليبهم واستخدامهم للأدوات واستخدامهم للتقديم والتأخير؛ فإن لكل شاعر من هؤلاء الشعراء مزيته الخاصة؛ ولذلك من أوجه الرد على المشككين في الشعر الجاهلي أن يقال لهم: هذه قصائد للأعشى، وهذه لزهير، وهذه للنابغة، هؤلاء الشعراء في كل قصيدة من هذه القصائد تجد فيها شخصية مختلفة، فإذا قرأت قصائد أحد الشعراء وتعرفت على أسلوبه ثم عرض عليك منها ما لم تقرأ تستطيع أن تجزم بأن هذه لزهير وهذه لامرئ القيس؛ لأن فيها روح هذا الشعر، لكن عندما تأتي للقرآن لا تجد فيه شخصية بشريه أبداً، تقرأه من أوله إلى آخره ولن تجد فيه ذلك أبدا، أما الشعراء فمعروف ما عندهم: فزهير عرف بالغزل، وامرئ القيس بالخوف، والنابغة بالاعتذار، وهذه لفتة جميلة جدا نحن في زماننا هذا للأسف الشديد أيها الإخوة - صفوة طلاب العلم وأساتذة اللغة العربية وأساتذة التفسير والعلوم الشرعية- قصرنا في دراستنا للشعر الجاهلي بهذه الروح، وهي دراسة الشعر الجاهلي للدخول لإعجاز القرآن من بوابته، وليس فقط دراسة الشعر الجاهلي وتفكيك عباراته والاكتفاء بذلك، وإنما دراسة الشعر الجاهلي بهذه الروح.

كتب الشيخ محمود شاكر كلاما نفيسا في مقدمته لكتاب: (الظاهرة القرآنية) لمالك بن نبي، ذكر فيه هذه الحقائق، وقال: "إنه لا يمكن أن يدخل إلى إعجاز القرآن إلا من بوابة الشعر" ؛ ولذلك يقول عبد القاهر الجرجاني: "إن

الذي يصد عن دراسة شعر العرب فإنه يصد عن دين الله من حيث لا يشعر"، يصد عن الدين نفسه؛ لأن هذا هو المفتاح للتشرب باللغة العربية التي كانت في زمن نزول القرآن، فعندما يحفظها الطالب وتصبح هــذه الألفــاظ الجاهليــة الفصيحة في فمه وفي يده وفي لسانه وهو يكتب، تسهل عليه بعد ذلك معرفــه أساليب القرآن، وكيف أن القرآن جاء بالأساليب التي تعرفها العرب.

وأضرب لكم مثالا: عندما تقرأ في الشعر الجاهلي تجد الإبل حاضرة بشكل كبير في شعرهم؟ فشعرهم مليء بوصف الإبل: في الظعــن، في الارتحــال، في الإقامة، في السفر، في الديات؛ لأنها كانت قوام حياتهم الاقتصادية، يرحلــون ويحملون عليها متاعهم، ويدفعونها ديةً لقتلاهم، ومهرا لزوجاتهم، يعني هي رأس المال؛ ولــذلك عنــدما قــال الله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية:١٧]، كان يحيلهم إلى شي يعرفونه كما يعرف الواحد راحــة يــده؛ ولذلك ما حفظ عن واحدٍ منهم أنه قال: ما بها الإبل؟ وإنما ســكتوا؛ لأنهــم وجدوا حقيقة ما أحالهم عليه فعلا، وإن تعجب فقل مثل هذه الآية لنا اليــوم ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ ما هــو الــذي يســتلفت نظــرك ويستوقفك في الإبل؟؛ ولذلك لا تستطيع أن تفهم فعلا موضع هذه الآية إلا إذا عرفت حضور الإبل في حياة العرب الجاهلية، وتجد هذا ظاهرا في كتبهم.

تجد أن العرب كثيرا ما يبدؤون بالنسيب والحديث عن المحبوب ويكررونه، والقرآن الكريم جاء بنفس الأسلوب؛ ولذلك أكثر من ذكر الجنة وأوصافها وما فيها من التفاصيل؛ لأنها تحبب إلى الله وتزيد العباد رغبة إليه ورهبة منه.

ومن الأشياء التي يمكن أن يستفاد منها الآن قضية دراسة مقاصد السور، فبعض الناس الآن ليس مقتنعا بأنّ لكل سورة من القرآن الكريم مقصدا أساس تدور حوله، عرفه من عرفه وجهله من جهله، أنا أزعم أن قصائد الجاهلية وخاصة قصائد الشعراء الكبار لها مقصد واحد تدور حوله، وأن الذين يكتبون في نقد الشعر الجاهلي ويقولون: إن من عيوب القصيدة أنها مفككة وليس فيها حسن تخلص فبينما هو يقف على الأطلال ينتقل مباشرة إلى غرضه الأساس من القصيدة! وهذا غير صحيح أبدا بل إن غرضها واحد، والشاعر متقن في انتقاله ولكن كيف تقرأ القصيدة؟!.

فلذلك أقول: إن دراسة مقاصد السور ليس بدعا من القول؛ لأن هذا مقصد كان يقصده المتكلمون، وهم يديرون قصائدهم على معنى واحد.

ومن ذلك على سبيل المثال زهير بن أبي سلمى في قصيدته: أمن أمي أوفى دمنة..

هذه القصيدة أنشأها في مدح هرم بن سنان والحارث بن عوف، لكن يأتي الذين ينقدون فيقولون: إنه ابتدأها بالغزل والوصف، ثم مدحه في أربعة أبيات:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرهم .. إلخ

ثم بدأ في الحكمة وختم، وليس معقولا أن الغرض الذي ساق من أجله القصيدة كلها يذكره في أربعة أبيات ويذكر أكثر من تسعين بيتا في المقدمات! هذا غير صحيح! بل إنها من أولها إلى آخرها في مدح الهرم بن سنان، بل إن دلالة الأبيات التي في الغزل وفي الوقوف على الأطلال وفي الحكمة أدل على مدحه من القصائد المباشرة في مدحه؛ لأن الصعوبة تكمن في أن تدس غرضك الأساسي في أبياتك، وأسهلُ شيءٍ أن تصرح بمدح من تريد أو بالغرض الذي

تقصده، ولكن من هو الذي يحسن قراءة هذه القصيدة ويدخل مـــن المـــدخل الصحيح في فهم ماذا يريد هذا الشاعر؟

وإذا وفق الناقد في دراسة قصيدة من قصائد بعض الشعراء الكبار عـــرف المفتاح الذي يمكن أن يدخل منه إلى قصائد هذا الرجل، وسيجد أنها تكـــاد أن تكون مطردة، وأن هذه شخصية واحدة، ولكنّ قليلا جدا من يحسن مثل هذا؛ ولذلك يقول أبو عمرو بن العلاء: "فرسان الحرب قليل وفرسان الشعر أقـــل"، ويقول أحدهم : "العالم بالشعر أندر من الكبريت الأحمر"؛ ولذلك تجـــدون في شروح الشعر الجاهلي -للأسف الشديد أن كثيرا منها مفقود- وكان من أقوم الناس بشرحها أبو سعيد السكري، في شرح أبي سعيد السكري لديوان الهذليين كلمات جميلة، وكانوا مولعين بالاختصار؛ فلذلك عندما بحثت في قصيده امرئ القيس: قفا نبكي من ذكرى.. متى قال هذه القصيدة؟ وجدتُ عبارةً جميلةً لأبي بكر الأنباري قال: وهذا البيت يتحسر فيه على صباه، وهذا يدل علـــى أنهـــم كانوا يعرفون مداخل هذه القصائد وكيف يفهمونها، ولكنهم لم يصرحوا بكل ما يعرفوه، و لم يكتبوه؛ ولذلك فات علينا علم كثير بفوت مثل هذه المؤلفات في نقد الشعر.

أسأل الله أن ينفعنا وإياكم بما قلنا في هذه الجولة المختصرة والسريعة، والتي لم أقف فيها على كل ما في الكتاب، طبعا الرسالة طبعت منـــذ ســـنة في دار المنهاج، وتمنيت أني أحضرت نسخة لكل واحد، لكن أظن أن بعضكم وصلته نسخة، ولو تكرم د. محمد فسجل أسماءَ المشايخ حتى تصلهم نسخة عن طريقه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد ...

فهرس الموضوعات